

ميكل مرتين

الاستعمار الإسباني في المغرب

(1860 - 1956)

ترجمة عبد العزيز الوديعي

منشورات التل

ميكل مرتين

الاستعمار الإسباني في المغرب

منشورات التل

الكتاب يعتبر أحد أهم المصادر التاريخية التي حلت آليات أشكال السيطرة الإسبانية على منطقة شمال المغرب، ورسمت بدقة وتראה، مختلف مظاهر المقاومة الشعبية المغربية التي تصدّت للتدخل الاستعماري الإسباني.

بعيداً عن الأيديولوجيا الاستعمارية، بمختلف اتلاوينها، ومن منطلق تقدّمي معادٍ للاستعمار، يُحلل الكاتب العلاقات المغربية الإسبانية على امتداد مرحلة غير قصيرة... ويحاول تفسير أسباب انغماس اليسار الإسباني، بعد عقد العشرينات، في سياسة استعمارية وشولينية لا تختلف في الكثير من جوانبها عن السياسة الأمبريالية للبرجوازية الإسبانية.



منشورات التل

رقم الإيداع القانوني: 5 / 1986

33 درهما

الإستعمار الإسباني
في المغرب
(1860 - 1956)

ميكال مرقين

الإستعمار الإسباني
في المغرب
(1860 - 1956)

ترجمة عبد العزيز الوديعي

منشورات القل

ص.ب. 97 - البريد المركزي
الرباط - المغرب

هذه ترجمة كتاب:

El Colonialismo Español en Marruecos
(1860 - 1956)

للمؤلف: Miguel Martin

الصادر عن: Ruedo Iberico - Paris 1973

أُفجزت الترجمة باتفاق مع دار النشر Ruedo Iberico وبموافقة المؤلف

تقديم الترجمة العربية

يُغطي هذا الكتاب حاجة فكرية و تاريخية للكشف عن مختلف مظاهر ووقائع الاحتلال الاستعماري للوطن العربي، خاصة منه ذلك الذي اتخذ شكلاً استيطانياً إلحاقياً للمناطق المحتلة بالمركز الاستعماري.

الطبعة العربية الأولى
الرباط 1988

جميع الحقوق محفوظة

والكتاب هذا - الذي تقدمه للقارئ - يُعتبر أحد أهم المصادر التاريخية التي حلّت آليات أشكال السيطرة الإسبانية على منطقة شمال المغرب، ورسمت بدقة وتزاهة مختلف مظاهر المقاومة الشعبية المغربية التي تصدت للتدخل الاستعماري الإسباني. وتحظى الثورة الريفية، بزعامة البطل الوطني محمد بن عبد الكريم الخطابي، باهتمام خاص من طرف الكاتب، اعتباراً لدورها الطلائعي في مقاومة الاستعمار خلال العشرينات، ونظراً لتلانعكاسات التي كانت لها على مجرى الصراعات الاجتماعية والسياسية في إسبانيا.

كما يستمد كتاب لويس أكوادين (LOPEZ AGUDIN)⁽¹⁾ أهميته أيضاً من كونه يؤرخ لمرحلة حاسمة من التاريخ الحديث للمغرب، مرحلة غزو واحتلال الاستعمار الإسباني لشمال البلاد وجنوبها... وبذلك يعدّ ثغرة هامة لأن مناطق الحماية الإسبانية لم تحظ بعد، من حيث دراستها التاريخية، بالاهتمام الضروري، إن لم نقل أنها مازالت «مهملة» بالمقارنة مع ما حظيت به منطقة الحماية الفرنسية من دراسات وتحاليل تاريخية.

التصنيف الدولي والموضوع :

الكتاب العربي للطباعة والنشر 21 ذقة ديكاوت سي اليمون - الرباط

التصوير والسحب :

مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء

الترتيب :

الشركة الشراعية للتوزيع والنشر سوشويس - الدار البيضاء

(1) ميكل مرتين هو الاسم المستعار للكاتب.

وبعيداً عن الايديولوجيا الاستعمارية، بمختلف تلاوينها، ومن منطلق تقديم معادٍ للاستعمار، يُحلل الكاتب العلاقات المغربية الاسبانية على امتداد مرحلة غير قصيرة. وبالرغم من انتائهما للحزب الشيوعي الاسباني، ينتقد الكاتب وبشكل لاذع،⁽²⁾ مواقف وممارسات اليسار الاسباني عموماً والحزب الشيوعي بشكل خاص، إزاء «المسألة المغربية».

ويحاول الكاتب، من زاوية غير تبريرية، تفسير أسباب انغماس اليسار الاسباني، بعد عقد العشرينات، في سياسة استعمارية وشوفينية لا تختلف في الكثير من جوانبها عن السياسة الامبريالية للبرجوازية الاسبانية. وفي نفس الوقت الذي يُحلل فيه الكاتب بعض الخصائص المميزة للامبريالية الاسبانية «القرزمة»، يُحاول ربط ممارسات اليسار - خصوصاً في مرحلة «الجبهة الشعبية» - بالاوضاع السياسية الاسبانية وتفسيرها على ضوء تلك الاوضاع، وبارتباط مع السياسة الامبريالية للدول العظمى.

بيد أن ما يزيد من أهمية الكتاب - فضلاً عن مادته التاريخية الثرية - هو ظرفية النضال اليومي لسكان سبتة ومليلية المغاربة. ذلك النضال الذي أعاد طرح موضوع احتلال إسبانيا لجزء من المناطق الوطنية بوصفه موضوعاً راهناً؛ وهو الذي حدا بنا الى نشر هذا الكتاب الذي سبق أن ترجمناه قبل هذا التاريخ بتسع سنوات.

ففي خمسة فصول: التقسيم، الاحتلال، التهدة I والتهدة II والجلاء بالاضافة الى تقديم وخاتمة، يطرح الكاتب مجموعة من القضايا الهامة، سيما في مجال طبيعة السياسة الاستعمارية في المغرب، لنبين الآليات التي وظفتها الامبريالية الاسبانية للسيطرة على المجتمع المغربي.

وبالرغم من بعض الأخطاء التي يتضمنها الكتاب، وهي أخطاء عملنا على تصحيحها، اعتبرنا من المفيد وضع هذا الترجمة بين يدي القارئ العربي مساهمة في التعريف ببعض جوانب تاريخ بلادنا التي ما زالت،

(2) لقد أثار كتاب ميكل مرتين موجة من الانتقادات في صحافة أحزاب اليسار في اسبانيا لأنه يُعَرِّى بالضبط مواقفها وممارستها الاستعمارية.

ولاسباب سياسية واضحة، في طَيِّ الكتابان. فعساه أن يكون مساهمة في تقديم مادة تاريخية عن الاحتلال الاسباني لمناطقنا، وعساه - بما قدم من معلومات عن كفاح الجماهير المغربية ضد الاستعمار - أن يكون انصافاً لاجداد يستمر أحفادهم في مقاومة الاحتلال وسياسة الأسبنة والالحاق ومصادرة الشخصية الوطنية.

ولقد عمدنا الى حذف خاتمة الكتاب نظراً لكونها أصبحت متجاوزة تاريخياً، فبالاضافة الى أنها تُشكّل نشازاً بالنسبة الى مجموع المؤلف كدب التطور التاريخي الفعلي لمنطقة المغرب العربي جل التكهّنات السياسية للكاتب.

الترجم

مقدمة

لم يجد الاستعمار الإسباني مؤرخه بعد؛ والمدمش هو أن الأبحاث التاريخية تركت جانبا الممارسات الاستعمارية وركزت على الآثار التي خلفتها أحداث المستعمرات - 1898 في كوبا و 1921 في المغرب - في شبه الجزيرة... ففي أقصى الأحوال تُخصص فقرة أو فصل للإشارة، بشكل عابر لمميزات الامبريالية الإسبانية. والاستثناءات النادرة، التي تثبت قاعدة الصمت، لا تتعدى ملحوظات سريعة حول المشكل الكوبي. ولعل الارتجاج الذي أحدثه فقدان كوبا في أوساط المثقفين يُفسر هذا الاهتمام الضئيل. وبالرغم من أن دوره كان أكثر حسما من البلد الأنتيلي* في التاريخ الحديث لبلادنا، فلا زال المغرب، مع ذلك، في قعر دور الأرشيف،

ليس ثمة دراسة واحدة تتطرق للاستعمار الإسباني في منطقة شمال المغرب. فمن منظور استعماري توجد مواد مطبوعة تفتقر الى كل دقة، وتختصر في التغني ب « المآثر الاستعمارية » وسرد المعارك بشكل يصبح معه أي شبه مع الواقع، من قبيل الصدفة المحض. أما داخل المعسكر الماركسي، فلا يوجد ولو منشور أو مقالة حتى من النوع الرديء. وذلك ما يفسر جزئيا كبح ولبس اليسار إزاء المسألة الاستعمارية، لأن « ما العمل ؟ » ظل بدون أساس ولا جواب ما دامت المسألة الاستعمارية غير مُستوعبة نظريا.

إن الصفحات التالية لا تطمح لأن تكون سوى مسودة، تلخيص وتفكير مقتضب في إشكالية الاستعمار الإسباني في المغرب. ففي خمسة أجزاء : التقسيم، الاحتلال، التهدة (I و II) ثم الجلاء، نحاول وصف الآلية السياسية والعسكرية التي أقيمت بواسطتها إسبانيا على الشعب المغربي تحت نير الاضطهاد الاستعماري.

* الأنتيل، نسبة إلى جزر الأنتيل les Antilles (المترجم).

ويمكن تلخيص المسألة على الشكل التالي : وجدت إسبانيا نفسها في مواجهة مجتمع منظم، له حضارته الخاصة ويمتاز - رغم تخلف مستوى تطوره - بحبه للحرية وتعلقه بالأرض وائسجابه وحسه الوطني ؛ وهي خصال ظلت راسخة على امتداد حرب الاحتلال. وهذا المجتمع الذي تعرضت أطره ونخبته القيمة للتصفية لتستبدل بإقطاعات سلطوية مرتزقة، والذي كان، فضلا عن ذلك، عرضة للتخريب الشامل والتفجير، وعانى منذ الثلاثينات، من محاولات التفتيت، هذا المجتمع قد نجح في استرجاع استقلاله، في خضم موجة تصفية الاستعمار التي اثارها نتائج الحرب العالمية الثانية.

وبارتباط مع هذا، يتعلق الأمر ببيان كيف أن الطبقة العاملة الإسبانية التي كانت تعارض الاستعمار بحزم حينما كان آلاف الأسبانيين يسقطون في الریف، لم تعرف كيف تقدر ذلك الحليف القوي الذي كانت تمثله الحركة الوطنية المغربية حق قدره. فبعد هذه الأخيرة كان تضال الطبقة العاملة الأسبانية يرتبط بحركة تحرير الشعوب العربية قاطبة، والشعوب المستعمرة الأخرى. إن سوء الفهم والمواقف الخاطئة التي كانت منتشرة في صفوف الطبقات الكادحة والأحزاب التي تمثلها، بفعل تأثير الايديولوجيا الاستعمارية، أدى إلى عدم إدراك ضرورة وضع حد للمغامرة الاستعمارية، ليس بدافع الواجب الأخلاقي - الأمية البروليتارية - إزاء الشعوب المضطهدة من طرف الدولة الإسبانية، وإنما فوق ذلك، وبالحصوص، لأنه السبيل الوحيد للملاحم للمصالح الوطنية الإسبانية ولمصلحة التطور الديمقراطي. ذلك أن الاستعمار ساهم بقسط وافر في توليد القوى الفاشية المعادية للديموقراطية. وبعد سنة من اندلاع حربها الأهلية، كان السكان الموجودون تحت نظام فرانكو FRANCO أكثر عدداً من السكان التابعين لحكومة مدريد مع تساوي عدد الجيوش تقريبا. وكما يعرف ذلك كل احتراقي مقهى، فإن من يوجد سكان معادون له خلف جيشه لا يمكنه الابقاء على جيشه في ميدان القتال إلا إذا توفر على جيش آخر، لا يقل عدداً عن الأول، يقوم بحراسة المواصلات ويحول دون قيام أعمال التخريب ويقاوم حرب العصابات. ومن الواضح إذن، أنه لم تكن هناك أية حركة

جماعية فعلية في مؤخرة جيش فرانكو. والحالة الأكثر دلالة في هذا الصدد هي المغرب : لماذا لم يقع أي تمرد في المغرب ؟ إن الحقيقة التي لا جدال فيها، هي أنه لم يندل أدنى مجهود لتحقيقه، لأن ذلك كان يعني تحويل الحرب ثوريا.

إن اقتناع المغاربة كان يقتضي إعلان استقلال المغرب. لكن، وقعت التضحية بأحسن فرصة استراتيجية في الحرب لفائدة مصالح الدول العظمى وبدافع الأمل الوهمي في إرضاء الامبريالية الانجلو-فرنسية. رُبْ معترض، يعتقد أنه من سوء الذوق إثارة هذا الجانب من تاريخ البروليتاريا الإسبانية، على أساس الظن أن هناك حقائق يجب أن تبقى، أبداً، في طي الكتمان. لكن، أليس كارل ماركس هو القائل إن الخياء شعور ثوري ؟ على كل حال، ليس في الاحكام فظاظاة بالنسبة لأحد. والرجال بنجاحاتهم وخطائهم ماضون، والوقائع باقية، ومنها تغذي الشعوب تجربتها وتُرشد لمواجهة وحل مشاكلها بصعوبات أقل.

لربما كان من الضروري إضافة بعض الاحصائيات حول ما يسميه المستعمرون « العمل التمدني الإسباني في المغرب »، غير أن ذلك مستحيل لانعدام هذه الاحصائيات، وهي منعدمة لأن إسبانيا لم تفعل شيئاً. ففي سنة 1956، عندما طُرد الاستعمار الإسباني، كانت نسبة الأميين أعلى، منها في سنة 1912 حيث فاقت 95% من السكان المسلمين. ولم تتجاوز آخر ميزانية للتعليم سنة 1955 إحدى وعشرين ألفاً ومائة وثمان عشرة بسيطة. وكان عدد الدارسين في صف، الباكلوريا يبلغ 21 فقط من المغاربة، أبناء الأسياد الاقطاعيين الذين كانوا يتعاملون مع مضطهدي شعبهم. ويكفي القول إنه بعد قرابة نصف قرن من الحماية، لم يكن هناك أكثر من 28 طبيباً مغربياً في المنطقتين وكان بالإمكان عُدْ المستشفيات في المنطقة الإسبانية على أصابع اليد الواحدة. وكانت تصدر 11 جريدة ثلاث منها في أقل من 10 000 نسخة والعشر الباقية لا تبلغ الألف نسخة. وتَجَسَّد المجهود الأكبر في إقامة 38 ميداناً رياضياً و29 قاعة للمرض السينائي و60 كنيسة كاثوليكية وأربعين معبداً يهودياً. وحصولية

بجمل هذه الوضعية الاستعمارية، هي وجود 16869 مغربياً، أعمار 4000 منهم دون 18 سنة، من مجموع 17500 سجين يقضون عقوبات في السجون الإسبانية. وأزيد من 5 000 عامل عربي كانوا ضحية قرابة 7 000 حادثة من حوادث الشغل اليومية. الأمر الذي جعل المنظرين الاستعماريين يطرحون موضوعات عنصرية حول النزعة الاجرامية والعجز الفطري للسكان المحليين.

وكان من المناسب أيضاً، القيام بتحليل [للحركة] الوطنية المغربية يتطرق لمختلف مراحل تطورها : انتفضات فلاحية، تحريض وسط جماهير البرجوازية الصغيرة في المدن التقليدية العتيقة، وانخراط الطبقة العاملة في النضال ؛ كل هذا تمخض عن استقلال صوري محض ذي مضمون إقطاعي. وذلك لأن المراحل الأخيرة من التحرير تم الوصول إليها بتعاون مع المستعمرين أكثر مما كانت نتيجة الانتصار عليهم. غير أن ذلك [التحليل] يتطلب عملاً جديداً مخصصاً للتعقيد في تناقضات حركة التحرير الوطني المغربية ؛ والمسألة معقدة بما فيه الكفاية وتكتسي أهمية كبرى بحيث لا يمكن تقديمها في بضعة سطور. من هنا يأتي تفضيلنا في كل لحظة تقديم بعض السمات العامة التي تُوَظِّر النشاط الاستعماري، بدلاً من تحليل إشكالية الأحزاب الوطنية.

وليس من قبيل الكلام الزائد، التنبيه إلى أن المحاولة محشوة بالشكوك، وأن كثيراً من وجهات النظر قابلة للنقاش بما فيه الكفاية. بعض الصفحات فيها مجازفة، بينما أخرى مفرطة في الوجل : لا يمكن إعادة ملء فراغ تاريخي بين عشية وضحاها، وإن الظرف الحالي الذي تجارزه الحركة العمالية والثورية يتطلب باستعجال تسليط الضوء على النقاط المجهولة مثل الموضوع الذي نحن بصددده، وكذا على المظاهر المعروفة من التاريخ الحديث للبروليتاريا الإسبانية.

عسى أن تكون هذه المساهمة أكثر من خطوة. الخطوة الأولى.

- الفصل الأول -

التقسيم

في أواسط القرن 19، شرعت اسبانيا في توسعها الاستعماري في إفريقيا. فعندما فقدت البرجوازية الإسبانية كل ممتلكاتها الاستعمارية، باستثناء كوبا والفلبين، وجهت أنظارها إلى الحصون الاستعمارية التي كانت بلادنا تملكها منذ عهد الملوك الكاثوليكين. وفي 1848، بعد 18 سنة من احتلال فرنسا للجزائر، احتلت القوات التي انطلقت من مالقة بقيادة الجنرال سيرانو (SERRANO) الجزر الجعفرية، وأدى ذلك إلى تدهور علاقات اسبانيا مع المغرب، لأن المغرب رد بالضغط على سبتة ومليلية. وحوالي 1851، اقترحت اسبانيا على كل من فرنسا وإنجلترا عملاً مشتركاً ضد سواحل الريف، لكن حرب الشرق حولت اهتمام الامبريالية الأنجلو - فرنسية. ومع ذلك، ففي 1859، اتخذ أودونيل (O'DONNEL) مقاومة التعسفات الإسبانية من طرف سكان منطقة أُنْجَرَة المجاورة لسبتة كذريعة لغزو المملكة المغربية. وشكلت الأحداث التي طرأت في الليلة من العاشر إلى الحادي عشر من غشت من سنة 1859، مبرراً لإعلان الحرب من طرف الكورطيس في 22 أكتوبر، وبموافقة كل الأحزاب السياسية. وقبل أيام من ذلك، كان السفير الإنجليزي قد كلف برسم حدود التحرك الإسباني في رسالة موجهة للحكومة الإسبانية، وذلك بالعبارات التالية :

« يشرفني أن أحيط معاليكم علماً بأنني توصلت بتعليمات من كاتب الدولة الأول للملكة، عاهلتي، بأن أطلب من حكومة صاحبة الجلالة الكاثوليكية تصريحاً مكتوباً مفاده أنه إذا ما أدت الخلافات الحالية إلى الحرب، وإذا ما كان لقوات صاحبة الجلالة الكاثوليكية أن تحتل طنجة نتيجة أعمال الحرب هذه، فإن احتلال الموقع المذكور سيكون مؤقثاً ولن

* الكورطيس هو البرلمان الإسباني. (الترجم)

يستمر بعد المصادقة على معاهدة السلم بين المغرب واسبانيا. إن حكومة صاحبة الجلالة مُلزمة بالمطالبة بهذا التصريح لأن احتلال طنجة سيكون إذا ما تم، مناقضاً لأمن جبل طارق، القلعة البريطانية ».

وبالرغم من تحذير الامبريالية الإنجليزية هذا، قرر أودونيل السير قدماً إلى الامام وعلى بينة من أنه لن يُحقق الغايات التي كان يتوخاها. واجتاحت اركان البلاد من أقصاها إلى أقصاها موجة من الدعاية السياسية الشوفينية. وقد قورنت وقتها الملكة إيزابيل الثانية (ISABEL II) بإيزابيل المسماة الكاثوليكية، وقيل إنها ستحقق في إفريقيا إرادة الملكة العظيمة إيزابيل الأولى. ودخلت الملكة نفسها في اللعبة حين أهدت جواهرها لفائدة المشروع مذكرة أن إيزابيل الأولى كانت قد أهدت، هي الأخرى، جواهرها من أجل سفر كولمبوس (COLON). بل تطلعت بقولتها « التاريخية » : « لتبع جواهري إن كان ذلك ضرورياً لنجاح مشروع بهذا القدر من القداسة. لتنفق ثروتي، وبدون أي حرج سأنقص من ترفي. وإن وشاحاً ضيقاً سيلمع في عنقي أحسن من عقود الماس إن كانت هذه العقود قادرة على الدفاع عن شرف اسبانيا ».

وكانت الحكومة تصرح بأن وازعها ليس رغبة مسبقة في التوسع الترابي ولا أية روح غزو، وأن الهدف الذي ترمي إليه هو غسل شرف إسبانيا من العار. وأخرجت الصحافة المسألة من نطاقها كلية، وأعطت لهذه المغامرة الاستعمارية طابع حرب صليبية مقدسة. وكانت أناشيد التحميس القومي تقول :

الحرب، الحرب على الأفريقي الجسور

الحرب، الحرب على المغربي الكافر

الذي اهان شرف إسبانيا،

فالحرب، الحرب حتى النصر أو الموت.

وكانت القصائد الاستعمارية تصف المغربي على الشكل التالي:

هجي في منظره

قيحة وقذرة طلعت

كل شيء فيهم غريب
مرعب ومثير للاشمئزاز معا.
وإن دهش فلا يتردد
يُفزع ولا يترجع
يُخيل لنا أن الجندي الإسباني
يصارع شياطين وليس رجالاً.

لكن الحقيقة غير ذلك. فبعد احتلال فرنسا للجزائر أصبحت إفريقيا أقرب وصارت تبدو، خصوصاً لفلأحي الأندلس وشرق إسبانيا، وكأنها جنة. وفي سنة 1859 كان خمسون ألف مهاجر إسباني قد استوطنوا الجزائر. فلم لا يتحول المغرب الذي غزاه أودونيل إلى إلدورادو في مثاول أيدي الفلاحين الإسبانين البؤساء؟ وفي كتابه المتبحر بالنصر والموسم «يوميات شاهد عيان في حرب إفريقيا» حاول بيدرو أنطونيو ألكركون (Pedro Antonio de Alarcón) مع هذه التساؤلات من ذهنه حيث يقول: «تحتل فرنسا الجزائر منذ ثلاثين سنة، وتحكم الأرض التي تطلّها ولا تحظى بالطاعة إلا حيث تمتشق البنادق وتخدم الأرض وتستغلها وتحافظ هناك على جزء كبير من سكانها المتدفقين حيوية. وتفيدها الجزائر، في الأخير، كمنفذ لوفرة مالهيا من رجال وصناعات وأنشطة معنوية. لكن، هل نحن في نفس الوضع؟ هل لنا فائض من السكان؟ هل نبالغ في النشاط؟ هل نحتاج إلى مجالات لتشغيل هذه النشاطات؟ هل تم إنجاز كل شيء في بلادنا؟ أليست سيرا مورينا (Sierra Morena) ولامانشا (La Mancha) ومئات المناطق الأخرى من شبه الجزيرة نخالية من السكان وغير مزروعة؟ أليس في عواصمنا ما يتجزأ؟ هل لدينا، إلى هذا الحد، فائض من السكك الحديدية والسفن والمعامل وقنوات الري والملاحة والموانئ الصالحة وطرق العربات، بل وحتى السبل الصالحة للمرور؟... لكن، أين سأوقوف؟ مالنا وهذا كله؟ واجبي في هذا الكتاب ليس هو مناقشة الأمور أو إصدار أحكام عليها وإنما تسجيل الانطباعات التي تثيرها في نفسي».

في أوائل 1860، شرع الجيش الإسباني في مسيرته نحو جنوب

سبتة، وبموازاة ذلك تابع الأسطول سيره عبر الأبيض المتوسط مضططاً بدور قاعدة التموين، ولم تقترب القوات الإسبانية من تطوان إلا في الرابع من فبراير، واستولت عليها بعد يومين من هذا التاريخ. ومن القرارات الأولى التي اتخذها الغزاة، تحويل المسجد الرئيسي إلى معبد كاثوليكي وضعوه تحت حماية سيدتنا قديسة الانتصارات. وبعد شهر ونصف، وإثر انهزام المغاربة من جديد في وادراس، احتل أودونيل موقع فندق عين الجديدة الهام. وبعدها أسرع المسلمون للمطالبة بالسلم وأتفق على الهدنة يوم 25 مارس. وتضمنت الاتفاقية التي وقع عليها فيما بعد، توسيع مساحة سبتة ومليلية، وضبط حراسة المناطق المتاخمة لسبتة والصخور، كما تحلى المغرب عن إيفني (مع أن مفاوضات ما كانوا يعلمون علم اليقين أين توجد) والتزم بدفع تعويض مالي قدره عشرون مليون ريال وظلت مدينة تطوان محتلة كضمانة لأداء التعويض. وجاءت الحصيلة المزرية هذه، نتيجة ضغط إنجلترا التي لم تكن ترغب حينئذ، في أن يذهب الجيش الإسباني إلى أبعد مما ذهب، وأتت بها الوحدات العسكرية الإسبانية نفسها حيث بينت الكيفية التي لا يجب اتباعها في الحرب. وفي مقال له بجريدة «نيويورك تايمز تريبون»، عبر المجلس عن عدم فهمه لكون احتلال تطوان كان صعب المآل إلى ذلك الحد من طرف جيش يضم 40.000 رجل، ويقول المجلس: «أجل، لم تكن هناك طرق جيدة؛ لكن كيف تدبر الفرنسيون أمرهم في الجزائر والانجليز في الهند؟ وفضلاً عن ذلك، فبغال وخيول الجر الإسبانية لم تتعود على الطرق الجيدة في بلدها نفسها حتى ترفض الذب على الأرض المغربية». وفي تعليق صحفي آخر كتب المجلس: «لا يمكننا تكوين فكرة حسنة عن هذا الجيش. وإذا ما استمر أودونيل في النهج الذي سار عليه حتى الآن، فسيسقط شرفه بنفسه، وسيرمي شهرة الجيش الإسباني بالعار رغم اللهجة الرنانة لبلاغاته العسكرية. وثمة أمر أكيد فقط: إذا دافع المغاربة عن أنفسهم خلال سنة، فسيكون على الإسبان تعلم الكثير من الفن العسكري قبل ارغام المغرب على عقد الصلح».

إن تدخل إنجلترا قد حال دون الانكشاف الفوري لقيمة الجيش الإسباني بوضوح، وبذات الوقت أوقف الأهداف الاستعمارية لمديره. غير

أن التاريخ سيأخذ على عاتقه تبيان صحة هذا الحكم بمستعمرينا؛ خصوصاً عندما وقعت، سنة 1895، إحدى حوادث الحدود العديدة في منطقة مليلية. ففي خريف تلك السنة، أصدر الجنرال مرغاليو (Margallo)، الحاكم العسكري لقلعة مليلية، الأوامر لتتطلق الأشغال لبناء حصن سيدي عرياش، وفي نفس اليوم حطم الريفيون الأشغال المتجوزة وكرروا نفس العملية في اليوم الثاني. وكان هدف الجنرال المذكور يستجيب للصلاحيات المعترف بها لاسبانيا في معاهدات مختلفة، آخرها تلك التي أوقفت بموجبها حرب 1860 والتي عارض الشعب المغربي دوماً وضعها حيز التنفيذ. ولم يكن بالامكان تنفيذ الاتفاقيات المفروضة على المغرب بالقوة ولو بعد 23 سنة. وكانت الحرب الجديدة صورة ساخرة لمأساة 1860 المجانية. وفي أواخر السنة، وبفعل وجود عشرين ألف جندي إسباني اضطر الريفيون إلى إلقاء السلاح، ووقع السلطان، مرغماً، إتفاقية مراكش التي التزم بمقتضاها بمعاقبة مقترفي الاعتداءات ضد الاسبان. وفي نفس الوقت، صددت قبائل إيغني بعنف محاولات استطلاع المنطقة. وأشرف القرن 19 على نهايته بينما ظل استعمارنا عاجزاً عن تنفيذ الاتفاقيات المفروضة على السلطان. وبدأ القرن الجديد بتعادل المغاربة والاسبان، في حين يطرد الكوبيون والفلبينيون الاستعمار الاسباني. وشهد العقد الأخير من القرن 19 تزامناً نضال هذه الشعوب الثلاثة المستعمرة ضد الامبريالية الاسبانية وقد عبر خوسيه مارتى Jose Marti، الزعيم الثوري الكوبي عن تضامنه مع الريفيين في مقال نشر في جريدة الوطن (PATRIA) بتاريخ 31 أكتوبر 1893: «أبدأ لن يدعن جنس مضطهد، أبداً، لن يستسلم شعب احتل الأجنبي الأرض المزوجة بعظام أبنائه. لقد عاد الريف إلى الحرب ضد اسبانيا. وستعيش اسبانيا في الحرب مع الريف إلى أن تُخلى بلد الريفيين المقدس.

وبقدر ما كان كل قلب شريف إسباني النبض مع بيلايو (PELAYO) في كوفادونكة (Covadonga) بقدر ما هو اليوم مغربي النبض مع الريف ضد الاحتلال غير العادل من طرف إسبانيا. إن إغراق شعب في بحر من الدماء وإذلاله بالردائل لا يشكل وثيقة شرعية للملكية، لا في الريف ولا في كوبا. هناك تدور رحى الحرب، وليكن النصر حليف

صاحب الحق. واسبانيا توجد هناك حيث يدور صراع غير عادل. تخسر كل ما تملك بدون شرف، وتُسند العمل، الخاص وتوظف في الجيش أبناءها الثواني غير النافعين وأوباشها الخبثاء ومجنديها الأشقياء. هل اسبانيا الجديدة هي تلك التي تُغرق اليوم المغرب في الدم وتُدعي غداً وإن بدون جدوى هذه المرة، إغراق المطامح والثقافة العليا لكوبا في الدم؟ ما دام للاسبانيين ما يعيشون به من الاكلة الجماعية للجيش ومن رخاء المستعمرات لن يكون هناك رد فعل في اسبانيا. فلنكن مغاربة! هكذا، وكأن الحق بجانب إسبانيا، نحن الذين سنموت هذه المرة على أيدي إسبانيا سنكون إسبانيين. لكن، لنكن مغاربة!

أدى فقدان آخر ما بقي من امبراطوريتنا الاستعمارية الكبرى في أمريكا سنة 1898، إلى وضع القضية المغربية في المقام الأول من التحرك الخارجي الاسباني ومن كل تلك الاتجاهات التي شبهها كُثيفاً (GANIVET) بدوارة الرياح، لم يبق سوى الجنوب: التوسع عبر افريقيا. وفضلاً عن هذا السبب الداخلي الذي جعل قضية المغرب تصدر مشاكل الساحة محلياً، انضاف الواقع الأوروبي الذي عجل بالأحداث في المغرب ليؤدي إلى وضع حد لنظام الاستقلال وإطلاق العنان للجنش المنذفع من أجل تقسيم هذا الشعب. وكما هو منطقي، كانت فرنسا هي صاحبة المصلحة في التعجيل بسير الأحداث وكانت قد احتلت الجزائر وتونس ووصلت من هناك غرباً إلى حدود المغرب، وتراوت لها منذئذ الامبراطورية الشمال-افريقية التي ستصبح بعد مدة واقعاً قوياً بفضل المجهود الاستعماري المتواصل، ومنذ 1901 أوقفت فرنسا أطماع إيطاليا في إتفاقية تحلت بموجبها فرنسا عن بلاد طرابلس كلية مقابل موقف مماثل لروما بخصوص المغرب. وفي العام التالي، اقترحت فرنسا على اسبانيا إتفاقية تحتفظ بموجبها الأولى لنفسها بالنفوذ على منطقة مراكش، وتحول لاسبانيا السيادة على منطقة فاس وتازة وحوض سبو وشمال البلاد كله. ولم ترد إسبانيا قبول العرض الاستعماري الفرنسي المفيد بالنسبة لها بسبب تخوفها من

« نأمل أن المغرب، في ظل سيادة صاحب الجلالة الشريفة، سيكون مفتوحاً للتعايش السلمي بين جميع الدول دون أي احتكار أو إلحاق وعلى قدم المساواة الثامنة [بين الدول]. إن الهدف من زيارتنا هو أن يعلم الجميع أننا مصممون العزم على بذل كل ما أوتيت أيدينا من أجل صيانة مصالح ألمانيا في المغرب. وبما أننا نعتبر السلطان كامل السيادة والاستقلال، فإننا نريد التفاهم معه لحفاظ على هذه المصالح ».

وفي أوروبا سمع الصدى لتوه ولاح شبح الحرب الأوروبية. ولتصادي خطر الحرب استدعي مؤتمر الجزيرة الخضراء. واحتد الجدل بين الامبرياليتين الألمانية والبريطانية من يناير إلى أبريل 1902 ؛ ولم ترض النتيجة أياً من هاتين القوتين. وكان الحل بين الأطروحتين المتعارضتين المتمثلتين في تدويل المغرب أو تقاسم النفوذ بين اسبانيا وفرنسا، هو تدويل المسائل التي تتعلق بالمصالح الاقتصادية العامة، والاعتراف بوضعية امتياز لفرنسا وإسبانيا في المسائل المتبقية.

وبالرغم من أوفق الجزيرة الخضراء هذه، ظلت اسبانيا وفرنسا عازمتين على انتهاز كل الفرص المتاحة للاستمرار في البوسع بالمغرب. ففي 1907 احتل الاسبان العرائش والقصر الكبير و[احتل] الفرنسيون الدار البيضاء. ولما شعرت ألمانيا أن تقسيم المغرب يسير على قدم وساق، قررت الاقدام على تظاهرة قوة على غرار ما فعلته سابقاً بطنجة. ففي فاتح يوليوز 1911، رست البارجة الألمانية بنتير (PANTHER) في مياه أكدير، وفي نفس اليوم سلم السفير الألماني في باريس مذكرة الى الحكومة الفرنسية ببرر فيها وجود اباخرة الحربية الألمانية في أكدير بنفس الاعتبارات التي كانت فرنسا قد بررت بها احتلال الدار البيضاء واسبانيا احتلال العرائش. ولكي يحصل الاستعمار الفرنكو إسباني الذي كان يتأهب لغرس الموسى في بلاد المغرب، على المهادنة من جانب ألمانيا تخلت فرنسا لألمانيا على جزء من الكنفو الفرنسي (275.000 كيلو متر مربع) بموجب اتفاقية 4 نوفمبر 1911 ؛ وذلك مقابل حرية التصرف في الأراضي المغربية. وبعد سنة وخمسة شهور بالتحديد، فرضت فرنسا نظام الحماية على سلطان

الاقدام على التصرف دون علم من إنجلترا. وقد أثار توغل إنجلترا في مصر اهتمام فرنسا بالسودان وارسالها بعثة القائد مرشان (MARCHAND) إلى منطقة النيل الأبيض، وقد تحصنت تلك البعثة في فاشودة (FACHODA) غير أن تدخل الجنرال الانجليزي كيتشينر (KITCHENER) بسرعة أدى إلى انسحاب الفرنسيين. وبعد ست سنوات، عقدت فرنسا وإنجلترا اتفاقية سرية، تعلن لندن بموجبها أنها لا ترغب في تغيير الوضع السياسي المصري، وتعترف أن الحفاظ على النظام في بلاد المغرب منوط بفرنسا ذات المستعمرات المتاخمة لهذا البلد على امتداد حدود عريضة، وأعلنت باريس من جهتها أنها لا تسعى لتغيير الوضع السياسي المغربي، وأنها لن تضع عراقيل أمام نشاط إنجلترا في القاهرة. ونص البند الأخير على أن البلدين، يدافع الشعور بصداقة مخلصمة تجاه اسبانيا، يعيران اهتماماً خاصاً لمصالح هذا البلد الناتجة عن موقعه الجغرافي وعن ممتلكاته على الساحل المغربي في الابيض المتوسط، وستتوصل الحكومة الفرنسية إلى اتفاقية بشأنها مع الحكومة الاسبانية.

لم تكن الحكومة البريطانية غير مكترثة بمن هي الدولة التي ستحل مقابل جبل صارق، ومن تم كانت تفضل أن تكون اسبانيا باعتبارها دولة بدون وزن ولا قوة إطلاقاً. لكن الاتفاقية الفرنسية-الاسبانية المؤرخة ب 13 أكتوبر 1904، تركت فاس وتازة خارج المنطقة الاسبانية وقلصت بذات الوقت منطقة نفوذ اسبانيا في جنوب المغرب، كما نصت الاتفاقية على أن توضع طسحة ومنطقتها تحت نظام خاص، ونص البند الثالث على أن الدولتين ستتدخلان في حالة عجز النظام السياسي المغربي والحكومة الشريفة عن الاستمرار في البقاء، أو في حالة ضعف هذه الحكومة أو وهنها المستمر عن تثبيت الأمن والنظام السياسي.

لكن لم يحسب لألمانيا القيصر حسابها. في حين أنها كانت تريد نصيبها. وللمطالبة بهذا النصيب قدم غليوم الثاني (GUILLERMO II) شخصياً إلى خليج طنجة على متن الباخرة هوهينزلرن (HOHENZOLLERN)، وألقى أمام مبعوثي السلطان الخطاب التالي

لكنه توفي بعد خمس سنوات. وبقي المغرب بين يدي سلطانه الشاب المفتقر الى إرادة وضع حد لدسائس الانتهازيين الحائمين بالقصر والتآمرين على الدولة والعاملين لمصلحة الأجانب، لكن رغم كل شيء، ظلت سياسة التوازن الدولي، هي السياسة الخارجية للدولة حتى النهاية.

وكان من الطبيعي أن يتزايد حشع فرنسا بعدما انضمت لصفوفها ثلاث دول طالما نافستها وعارضت مراراً تنفيذ مخططاتها. لكن، هناك دولة رابعة ما انفكت تنتظر نصيبها، وتلك الدولة هي ألمانيا التي حاولت الحكومة المغربية الحصول على مساعدتها. غير أن ألمانيا اتبعت سياسة غامضة لم تكن تهدف من ورائها إلى أكثر من الحصول على جزء من النفوذ الاقتصادي والسياسي في مكان ما، ومن أجل ذلك تخلت في الأخير عن المغرب لصالح فرنسا مقابل جزء من الكونغو. ولم يكتف الشعب المغربي بالأمل في امكان تقديم العون له من طرف الدول المتنافسة أو المتحافلة، بل بحث عن مخرج يحرره من جراف الاستعماريين ودسائس التآمرين والخونة. وانطلقت في البلاد حركة وطنية بدأت تحت قيادة ماء العينين وانضمت الى هذه المجموعة قبائل مختلفة وعدة قواد. وأملت هذه الحركة من مولاي عبد العزيز أن يفعل المستحيل لصد كل غزو أجنبي. ووضع مؤتمر الجزيرة الخضراء حداً لكل المعاهدات السرية المبرمة بين فرنسا والدول الأخرى، واعترف باستقلال وحرية المغرب، لكنه وضع اسبانيا وفرنسا في حالة امتياز عند تكليفهما بالقيام بعدد من الإصلاحات في الشرطة. بهذا القدر انتصرت الديبلوماسية المغربية والحركة الشعبية إلى حد ما، في نضالهما ضد المؤامرات الفرنسية، لأن الدول ومن بينها فرنسا واسبانيا واخترنا وإيطاليا التزمت بصيانة وحدة المغرب وضمان استقلاله. ولئن أعلن الامبرياليون موافقتهم على تلك المعاهدة، فإن الشعب المغربي لم يكن راضياً على مضمونها، لأن المعاهدة رغم أنها قضت على خطر داهم، فإنها قد حولت لاسبانيا وفرنسا امتيازاً في البلاد، ولم يرد المغاربة الاعتراف لتلك الدولتين بدور مميز عن الدول الأخرى. ولأن السلطان عبد العزيز وافق على ما حدث عن طريق ممثليه في المؤتمر، واتضح عجزه عن مقاومة التوغل الفرنسي والاسباني، فقد اعتبر الشعب أن افضل وسيلة للتحرر من الالتزامات القديمة

المغرب مولاي حفيظ. وفي نوفمبر 1912، وقعت إسبانيا اتفاقية جديدة مع فرنسا وأصفتا بموجبها صبة الشرعية على عملهما الاستعماري تحت اسم الحماية. ومقابل أراضي الكونغو التي اضطرت الامبريالية الفرنسية إلى التخلي عنها لألمانيا، خسر الاستعمار الإسباني الصفة اليسرى لنهر ورغة، وقطعة صغيرة محاذية لنهر ملوية، والأراضي الواقعة جنوب خط العرض 35.

ومنذ نصف قرن مضى، راجع المغرب بين المقاومة المسلحة والديبلوماسية. وليس هدفنا هنا التأرجح للديبلوماسية المغربية هذه خلال مرحلة امتدت خمسين سنة، بيد أننا سنبرز قدر الامكان، طابع السياسة المغربية والجهود التي بذلت للدفاع عن الاستقلال. إن السمعة التي طبع بها المغاربة سياستهم هي عدم إعطاء الأفضلية لأية دولة في المغرب، وتنظيم الدولة في اتجاه عصري. وبفضل ذلك ظل المغرب بعيداً عن العدوان الأجنبي وعن الثورات الداخلية رغم المحاولات التي قامت بها فرنسا واسبانيا لتثبيت اقدامهما في المغرب. وباستثناء إثيوبيا التي تعرضت لحرب احتلال في الثلاثينات، فإن المغرب من البلدان غير الأوروبية النادرة التي دخلت القرن العشرين وهي تتمتع باستقلال تام. إن السياسة السديدة التي نهجها المغرب، دفعت الأجانب المتنافسين إلى صراع جدارة شديد للفوز برضى الملك وبموافقته على بعض مطامعهم، واضطرت فرنسا، وهي الدولة الأكثر اصراراً على السطوة على دولة المغرب وجعله يفقد استقلاله، لبذل مجهودات جبارة لازاحة العراقيل التي تضعها الدول المنافسة في طريقها. وقد رأينا كيف اتفقت فرنسا سنة 1902، مع إيطاليا التي تخفت عن كل حق في المغرب مقابل تخلي فرنسا عن كل مطلب في طرابلس وليبيا. وبعد ذلك استطاعت فرنسا التوصل إلى اتفاقية 1904 الشهيرة مع إنجلترا والتي تطلق بموجبها فرنسا يد بريطانيا في وادي النيل مقابل اعتراف إنجلترا بالمغرب كمنطقة نفوذ لفرنسا. وفي الأخير توجت فرنسا دسائسها بتقسيم البلاد مع اسبانيا على أساس أن تستحوذ هذه الأخيرة على شمال المغرب لحماية شواطئها. ولما توفي السلطان مولاي الحسن خلفه مولاي عبد العزيز الذي كان ما يزال صبيّاً وقتئذ. وتابع الوصي، الوزير باحماد، تلك السياسة

أول مشاركة للشعب المغربي في السياسة، وكانت ترمي إلى تحقيق هدفين أساسيين :

- (1) وضع حد للمؤامرات الأجنبية والمحافظة على الاستقلال التام.
- (2) تحقيق اصلاح يقود الأمة إلى نظام دستوري راسخ.

تلك هي الأهداف التي شكلت المحور الذي دارت حوله كل الحركات الاستقلالية إلى يومنا هذا. ولم يمض كثير من الزمن بعد هذه الثورة حتى حرر الوطنيون مشروع دستور تم نشره في حريدهم « لسان المغرب » التي كانت تصدر بطنجة. وتقول مقدمة المشروع الموجه للسلطان : « بما أن الوقت قد دعا إلى الإصلاح، والشبيبة العصرية قد هلت قلوبها وانشرت صدورها له، وحلالة سلطانها الجديد (عبد الحفيظ) يعرف لزومه، فحن لا تأكلوا جهداً في المناذاة بطلبه على صفحات الجرائد من جلالاته، وهو يعلم أننا ما قلناه بيعتنا واخترنه لامامتنا، وخطبنا وده رعية منا وطوعاً من غير أن يجلب علينا بخيل ولا رجال، إلا أملاً في أن ينقذنا من وهدة السقوط التي أوصلنا إليها الجهل والاستبداد، فعلى جلالاته ان يحقق رجاءنا، وان يبرهن لكل على أهليته ومقدرته على ترقية شعبه وعلى رغبته في الإصلاح وجدارته بإدارة ما قلده أمتة.

والذي نرجوه منه قبل كل شيء، هو فتح المدارس ونشر المعارف، وأن يكون التعليم الابتدائي إجبارياً وأن يولي ذوي الكفاءة والاستحقاق والأهلية ويقرب إليه ذوي العقول الراجحة والأفكار الحرة الراقية، ويختصر من الوشلة والجواسيس الذين يشوهون له رعاياه، ويحولون بينهم وبينه. وفي بلاطه الشريف من هذه الميكروبات القتالة حيش كبير، فإن لم يختصر منها ويقاومها نقلت إليه جرائم وبيئة معدية. وبما أن يداً واحدة لا تقدر على انهاض شعب من وهدة السقوط، وعلى اصلاح إدارة مختلفة كإدارة حكومتنا، فيجب أن تكون الأيدي المتصرفة والعقول المفكرة والأفكار المدبرة كثيرة متكاثفة على العمل. وعليه فلا مناص ولا محيد لجلالاته من أن يمنح أمتة نعمة الدستور ومجلس النواب، ومن اعطائه حرية العمل والفكر لتقوم باصلاح بلادها اقتداء بدول الدنيا الحاضرة المسلمة والمسيحية».

والجديدة هي التمرد وتصدر الوطنيون الثورة معلين خلع عبد العزيز واعتلاء مولاي عبد الحفيظ العرش. وتم الاعلان عن ذلك في فاس من طرف الشيخ ماء العينين والسيد أحمد المواز وهما من مفكري ذلك العهد. وقد اعتبر هذا الاعلان بمثابة ميثاق وطني ودستوري من الدرجة الأولى، فرض على الملك الحديد الشروط التالية :

1- نذل كل الجهود لاسترجاع المناطق المفصولة عن الحدود المغربية.

2 الاستعداد لطرد الغزاة من الاماكن المحتلة.

3- إلغاء معاهدة احزيرة الخضراء التي لم يساهم الشعب فيها.

4- العمل على إلغاء امتيازات الأحناب.

5 عدم استشارة الاحانب في قضايا الامة.

6- عدم إبرام معاهدات سلمية أو تجارية مع الاجانب بدون استشارة الأمة.

وبهذه الطريقة، حوّلت هذه النقاط الست، المملّكية المطلقة إلى ملكية محدودة ودستورية. ومنذ ذلك الحين، لم تعد للملك سلطة عقد أية اتفاقية إلا بعد استشارة وموافقة الشعب، وإن التمييز بين الاتفاقيات المدنية والاقتصادية، التي كان بإمكان الملك توقيعها بعد استشارة مسقة، كانت له دلالة بالغة، وهي تجريد الملك من حق إبرام أي اتفاق من شأن طبيعته أن يمس بشؤون الأمة. فضلاً عن ذلك، يحتوي مضمون ذلك التصريح على روح اعلان حقوق الانسان الذي يُقر أن السيادة للشعب، وأنها غير قابلة لتسويات. وبذات الوقت، تم الاعلان عن ضرورة نهج سياسة ديبلوماسية مفتوحة، تلك السياسة التي ستكون الحكومة العمالية الفلاحية «لنين» أول من سيمارسها بعد ذلك بعشر سنوات.

وبالتالي، شكل الثاني من مايو المغربي - 16 غشت 1907 -

* يشير مؤلف إلى انتفاصه شعب مدريد في 2 مايو 1808 ضد الوجود الفرنسي في اسبانيا وتعتبر انتفاصه

مدريد ضد جيوش نابليون بمثابة انطلاقه للحرب الاستقلالية في اسبانيا 1808 - 1814. - مترجم

وكان الدستور يتكون من أربعة أجزاء، يتضمن الأول القانون الأساسي للدولة، والثاني التنظيم الداخلي للمنتدى الشورى (مجلس الشورى)، والثالث قانون الانتخابات العامة، والرابع القانون الجنائي المغربي. وتنقسم الهيئة التي تسمى منتدى الشورى إلى مجلسين : مجلس الأمة ومجلس الشرفاء (الأعيان) ويشكل أعلى سلطة في البلاد، وترجع وجهة نظره على وجهات النظر الأخرى، وكان له حق مراقبة كل الإدارات والمراكز الحكومية.

وبقي كل هذا حبراً على ورق عندما ضغطت الامبريالية الفرنسية على مولاي عبد الحفيظ، وأرغمته على توقيع معاهدة 30 مارس 1912 التي أقيمت بموجبها الحماية. وقد ورد في البندين الأولين ما يلي :

1) ان جلالة السلطان ودولة الجمهورية الفرنسية قد اتفقا على تأسيس نظام جديد بالمغرب مشتمل على الإصلاحات الإدارية والعسكرية والتعليمية والاقتصادية والمالية والعسكرية التي ترى الدولة الفرنسية إدخالها نافعا بالايالة المغربية.

2) جلالة السلطان يساعد من الآن على الاحتلالات لعسكرية بالايالة المغربية التي تراها الدولة واجبة لاستيابة السكينة والتأمين على المعاملات التجارية، وذلك بعد تقديم الاعلام للمخزن الشريف. كما يساعد على أن الدولة الفرنسية تقوم بعمل الحراسة برأ وكذلك بحرا بالمياه المغربية.

وما كاد الخبر يشيع في فاس حتى انفجر كالرعد. ساد الذعر في القبائل وفي الفصور. وكان الشعور الاجماعي أنها خيانة. ومما يزيد من حطورتها، هو أن مولاي عبد الحفيظ نفسه كان قد خلع أخاه من العرش متهماً ايه، وبحق، بخيانة المغرب. وقد كتب الدكتور فيزجير، وهو ملاحظ أوروبي عايش تلك الأيام، يقول : « إن تبشير العاصفة لم تكن ظاهرة إلا بالنسبة للاوروبيين القلائل المطلعين على سر الحياة الداخلية للعاصمة. لا وجود لوجه باسم في الأزقة. والأهالي يكادون لا يرددون على الذين يتوجهون لهم بالكلام، واصدقاء الأمس يتظاهرون بعدم معرفتنا. لكن مع ذلك، فلا سلوكاً عتيقاً يخون الشعور الذي يقلق الخواطر ».

وبعد سبعة عشر يوماً من ذلك تمرد الجنود المغاربة وقتلوا ضباطهم الفرنسيين، وامتدت الثورة إلى الشعب الذي تمرد بدورهم وهاجم الحلي الأوروبي. وخلال 72 ساعة كانت فاس مدينة حرة بين أيدي الوطنيين المعاربة. وفي يوم 20 [أبريل] سحق الجنود الفرنسيون التمرد بالمدفعية الثقيلة، وأعلنت حالة الاستثناء وترتب عن ذلك اعدام آلاف الوطنيين. وبعد ذلك بشهر حاصر عشرون ألف مغربي، من القبائل المحاورة للعاصمة، المدينة بقيادة الحجامي ؛ ونجح المرشال ليوطي، الذي عُين مقيماً عاماً وقائداً عاماً لقوات الاحتلال، في رفع الحصار في بداية يونيو. وخلال الصيف قدم مولاي حفيظ استقالته كسلطان احتجاجاً على الاستعمار الفرنسي. وقد حاول الفرنسيون حمله على التراجع عنها، غير أن خوفهم من أن يثير الضغائن بتصرف وطني، ما أدى بهم إلى قبولها وتنصيب مولاي يوسف جد الملك الحالي للمغرب. وبعد أشهر قليلة، كان البلد كله - باستثناء المدن الكبرى والموانئ المراقبة بصرامة من طرف الاستعمار الفرنسي - في صراع ضار ضد الاحتلال الاجنبي، وكانت الاقاليم المتمردة تشمل ثلاث مناطق بالإضافة الى جبال والريف التي كانت تركز نضالها ضد الاستعمار الاسباني.

1 الأطلس المتوسط :

لقد دارت به عدة معارك منذ سنة 1911 حتى سنة 1933 ؛ وإذا ما اعتبرناها في كليتها يمكننا أن نقسمها إلى أربع مراحل تكتسي أهمية بالغة :

1 - 1 - اقتراب الجيش الغازي ومحاولته الوصول الى الجبال :

أ - معارك بني مطير سنة 1913.

ب - مقاومة تادلة إلى حين احتلالها سنة 1913.

ج - معارك خنيفة سنة 1914.

د - عمليات تادلة من سنة 1915 إلى سنة 1917.

1 - 2 - الهجوم على كتلة قبائل الأطلس المتوسط :

أ - اختراق أزرو - ميدلت سنة 1917.

ب - معارك زابان وبني مكيلد في سنوات

1920 - 1923.

1 - 3 - الهجوم على الضفة الشمالية لوادي العبيد :

أ - مقاومة عربية في سنة 1926.

ب - الهجوم على وادي العبيد في سنوات 1929 و 1930 - 1931.

1 - 4 - الهجوم على الأطلس المتوسط :

أ - مقاومة أيت يحيى في سنوات 1931 - 1932.

ب - مقاومة أيت اسحاق في سنة 1932.

ج - الهجوم على بساط البحيرة في سنة 1932.

د - معارك ملول والأطلس الكبير في سنة 1933.

هـ - محاصرة كردوس وبادو في سنة 1933.

ز - معركة الكوسر سنة 1933.

2 - الأطلس الكبير بجنوب المغرب :

إن سياسة ليوطي في منطقة القواد الكبار هذه، كانت تتسم بالتسامح وباجتذاب هؤلاء القواد نظراً للنفوذ الذي يحيطون به لدى القبائل، لكن الروح الوطنية وصفت حدًا لهذا النفوذ، وأحبطت السياسة الفرنسية. ويعود فضل توحيد قبائل الجنوب إلى الشيخ ماء العيين وأنه الهبة الذي شكل حوله حركة وطنية. وقد حاربوا الفرنسيين واستولى الهبة على مراكش. وبعد هزيمته لاحقاً في معركة سيدي عثمان واصل هو والقبائل التي انضمت إليه - المقاومة في الساقية الحمراء حتى سنة 1935.

3 - تافيلالت وأيت عطا بالجنوب المغربي :

لقد دام الكفاح ضد الفرنسيين في هذه المناطق ثلاثاً وعشرين سنة. وفي البداية كان الكفاح بقيادة الشريف السنمالي الذي هاجمه جيش مكناس بقيادة الجنرال بوميجرو، والسائد الأمين للجنرال ليوطي، مدعوماً من طرف جيش آخر ؛ وقد حاربه هذه الجيوش عدة سنتين. وخلال هذه المعارك قتل الجنرال الفرنسي واستشهد الزعيم المغربي الذي خلفه بلقاسم النكادي الذي واصل الكفاح إلى أن استسلم في سنة 1935.

شكلت الروح الوطنية عاملاً لخصم لكل هذه الأعمال التي سحقت سياسة القواد الكبار، التي نهجها الاستعمارون الفرنسي والاسباني كوسيلة

لكسب المؤيدين وتفرقة المقاتلين. وفي كتابه « البربر المغاربة ومهدنة الأطلس المتوسط »، يورد الجنرال غيوم (GUILLAUME) - وهو من الذين شاركوا بنشاط في الغزو الفرنسي - الشهادة التالية : « إن الصيغ المحببة لدى المارشال ليوطي (LYAUTEY) [مثل] « اظهار القوة لتلافي استعمالها » و « إن عملاً [صالحاً] يساوي كتيبة » لا يمكن تطبيقها بإتقان على سكان مصممين على الدفاع عن استقلالهم إلى آخر رمق. إن المفاجأة الكبرى هي أن قبائل وفية للسلطان تمردت ضده عندما أدخل الحماية، وواجهتنا بمقاومة أقوى، وإصرار أكثر من مقاومة وعناد بعض القبائل التي سبق لها أن تمردت في مناسبات عديدة ». ويضيف « إذا كانت مجهودات مديرية الشؤون السياسية محكوماً عليها بالفشل، فذلك ناتج عن كون خصومنا ما كانوا يتراجعون أمام قوتنا إلا بعد استفاد كل وسائل المقاومة المتوفرة لديهم. وكثيراً ما ترد في ذهني أقوال المارشال بيجو (BUGEAUD) هذه : إنه لمن المحزن والمضحك حقاً، مانسمعه أو نقرؤه لكتابتنا وخطبائنا عندما يصحوننا باستعمال اساليب صالحة كوسائل لاجتذاب خصومنا، وأن نجعل العرب يحسون بلطف تقاليدنا ومزايا حضارتنا. هذا جميل وسامٍ بدون شك. ولقد جرّبته شخصياً أكثر من أي شخص ؛ لكن ما العمل مع شعب يلوذ بالفرار عندما تقترب منه، ولا يترك أمامنا إلا مقاتلين أشداء يردون على كلامنا العاطفي باطلاق النار ؟ ».

وفي مؤلفه « المشاكل السياسية والاجتماعية في نهاية القرن XIX »

كتب المؤرخ دُريُول (DRIAULT) :

« خلال السنوات الأخيرة، تم احتلال كل البلدان المستقلة على وجه الأرض من طرف الدول الأوروبية والولايات المتحدة. وبسبب ذلك، وقعت لحد الآن عدة نزاعات وبعض التغييرات في مناطق النفوذ، والتي ليست سوى تبشير انفجارات أكثر قفاعة في المستقبل القريب. يجب الإسراع بالاحتلال إذن، وإن الدول التي لم تتزود معرضة لخطر عدم تسلّم نصيبها أبداً، وعدم المشاركة في الاستغلال الهائل للعالم والذي يشكل أحد الأحداث الأساسية في القرن القادم. لهذا السبب سيطرت على أوروبا وأمريكا، خلال

لم تحصل اليرجوازية الاسبانية إلا على بعض الفتات من كل هذه الغنيمة الهائلة، بحيث تسلمت حوالي 300.000 كيلو متر مربع ؛ 250.000 منها كانت رمالا خالصة و 26.000 الباقية تمثل الجزء الجبلي والاكثر فقرا من المغرب، من أصل 25 مليون كيلو متر مربع للتوزيع. مما دفع مستعمرينا إلى القول إن نصيب اسبانيا لم يكن سوى « عظم » من « الصلع » المغربي. وهذه الصورة السيئة صادقة بما أن الدور الاسباني كان يقتصر على أن تكون اسبانيا كلب حراسة للامبريالية البريطانية. إن مفتاح سر وجودنا الاستعماري في مرحلة الامبريالية، يقدمه ليين نفسه حين يقول، في المؤلف المذكور، ان أغلبية الدول الصغرى لا تحتفظ بمستعمراتها إلا بفضل وجود احتكاك وتناقض الخ... بين مصالح الدول الكبرى، الأمر الذي يحول دون عقد اتفاقية استعمارية... مع التشديد في حالة اسبانيا، لأن المصلحة الانجليزية في أن تراقب مدريد السواحل الريفية، استندت إلى كون انجلترا ترغب في تلافى استقرار فرنسا على الضفة الأخرى من مضيق جبل طارق. ويعني ذلك قبول [اسبانيا] المشاركة في تجزئة المغرب والقضاء على استقلاله من أجل صيانة أمن مستعمرة بريطانية على التراب الاسباني [جبل طارق]. وباستثناء مناجم الريف، لم يكن في التراب المغربي أي شيء، قد يُقيد الرأسمالية الاسبانية. وكان من البديهي ان غزو الريف والبقاء فيه سوف يكون منهكا بالنسبة الى الاقتصاد الاسباني الهزيل. لقد ألقت لندن وباريس بعظم يدون مخ، وسارع المستعمرون الاسبان إلى جمعه دون أن يتساعلوا عن مردودية عملية من ذلك القبيل. وكما استعمارية، كشفت برحوازيتنا من أنها كارثة. وكان من الممكن أن يُصحح للريف بعض الأهمية السياسية، إذ يمكنه أن يُصبح أرض الميعاد بالنسبة إلى الفطاعات الاجتماعية الاكثر انحطاطا على سواحلنا المتوسطية. وهذا المعنى يمكن القول ان شمال افريقيا لعب منذ القرن XIX، بالنسبة إلى الاندلس وشرق اسبانيا نفس الدور الذي لعبته أمريكا بالنسبة إلى كاليفورنيا. وقد ابرز ليين نفسه، في الكتاب المذكور، هذا الجانب من خلال خطاب الاستعماري سيسيل رُودس (CECIL RHODES) : « كنت بالأمر في الاستد أند (حي عمالي في لندن) وحضرت اجتماعاً للعمال العاطلين.

الآونة الأخيرة، حتى التوسع الاستعماري المعيرة للامبريالية التي تشكل السمة المميزة الاكثر بروزا لأواخر القرن XIX. ومع مثل هذا التقسيم للعالم، ومع هذا القنص المسعور للثروات والأسواق الكبرى في العالم، فإن الأهمية النسبية للامبراطورية التي شيدت خلال القرن XIX لا تتناسب مع الموقع الذي تحتله في أوروبا الأمم التي شيدتها. وإن الدول السائدة في أوروبا والتي تتحكم في مصيرها، ليست سائدة في العالم كله بنفس الشكل. وبما أن النفوذ الاستعماري، والامل في الاستيلاء على ثروات ما رانت مجهولة، سيكون لهما بالتأكيد انعكاس على المكانة النسبية للدول الأوروبية، فإن المسألة الاستعمارية - الامبريالية إن شئتم - التي غيرت الآن الظروف السياسية في أوروبا نفسها، سوف تغير هذه الظروف أكثر فأكثر في المستقبل ».

ويصيف ليين، الذي أورد هذه الفقرة في مؤلمه « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية »...

« لقد تضخمت مستعمرات الدول الست الكبرى بشكل هائل بعد 1876، إذ ارتفعت المساحة المستعمرة من 40 إلى 65 مليون كيلو متر مربع. والزيادة تمثل 25 مليون كيلو متر مربع، أي بزيادة واحد ونصف عن مساحة الدول المستعمرة (16,5 مليون كيلو متر مربع). وفي سنة 1876 لم تكن ثلاث دول تملك أية مستعمرة، أما الدولة الرابعة، وهي فرنسا فلم تكن لها مستعمرات تقريبا. وفي سنة 1914 كان لهذه الدول الأربع مستعمرات تبلغ مساحتها 14,1 مليون كيلو متر مربع أي مساحات اكبر من مساحة أوروبا بنسبة تقارب النصف، ويبلغ عدد سكانها حوالي 100 مليون نسمة. وإن التفاوت على مستوى توسيع المستعمرات كبير جداً، فإذا قارنا مثلاً فرنسا وألمانيا واليابان، وهي دول لا تختلف كثيراً من حيث المساحة و عدد السكان، وجدنا أن فرنسا قد حصلت من المستعمرات (من حيث المساحة) نحو ثلاثة أضعاف ما حصلت عليه ألمانيا واليابان مجتمعتين. لكن، من حيث مقادير الرأسمال المالي قد تكون فرنسا أيضاً، في بداية المرحلة المذكورة، أغنى بعدة أضعاف من ألمانيا واليابان مجتمعتين ».

وعندما سمعت في ذلك الاجتماع خطابات متحمسة سميتها الرئيسية كانت هي صرخات : الحز ! الحز !. واثناء عودتي إلى بيتي كنت افكر بما سمعت، واقتنعت أكثر من السابق بأهمية الامبريالية... إن الفكرة التي أصبو إليها تمثل حلاً للمسألة الاجتماعية، أعني: أنه لكي ننقذ أربعين مليوناً من سكان المملكة المتحدة من حرب أهلية فتاكة، ينبغي علينا نحن الساسة الاستعماريين أن نستولي على أراضي جديدة لنرسل إليها فائض السكان ولنحصص على أسواق جديدة لتصريف البضائع التي تنتجها مصانعنا ومناجمنا. فالامبراطورية، وقد قلت ذلك مراراً، هي مسألة معدة. فإن كنتم لا ترغبون في قيام حرب أهلية عليكم أن تصبحوا امبرياليين ».

بالإضافة إلى هذا، فإن الحشع المهدوي للملك، واندفاع بعض العسكريين والرغبة في خلق أوضاع حربية تنزيه سحلي خدماتهم أو تسليق سلم الترقية، والاجتذاب الذي كانت تمارسه على الأوليفارشيا الإسبانية السياسة الامبريالية لفرنسا، كل هذه العوامل أدت بإسبانيا إلى انتهاك استقلال ووحدة الدولة المغربية. وبهذا أصبحنا بشكل جزئياً من القوى الاستعمارية بصفة استعماريين أقزام لأن الثلاث مائة ألف كيلو متر مربع التي سرقها مدريد، لم تكن تمثل شيئاً بالمقارنة مع الثلاثة وثلاثين مليوناً للندن، والسبعة عشر مليوناً لموسكو القيصرية والاحد عشر مليوناً لباريس، والثلاثة ملايين لبرلين والنصف مئليون لواشنطن ولطوكيو.

م تُبَد أية بروليتاريا ليلد استعماري نفس المعارضة الصارمة التي قاومت بها الطبقة العاملة الإسبانية المغامرات الاستعمارية. إن التحريض المعادي للاستعمار الذي قام به العمال سيبقى، تاريخياً، نموذجاً ومثالاً عملياً لتضامن والأمية البروليتارية. وإلى حدود السنوات الأخيرة من عقد العشرينات ؛ حيث تمكن التحالف بين الاستعماريين الإسباني والفرنسي من سحق الشعب المغربي عسكرياً ؛ تشبثت الأحزاب والقبائل العمالية دائماً بمعارضة الغزو الاستعماري، والدفاع عن استقلال الدولة المغربية، مُسجلة بذلك صفحات بطولية في تاريخ الحركة العمالية الإسبانية. وبالرغم من أن سنوات الثلاثينات قد فتحت قوس كبت فيما يتعلق بالسياسة

المعادية للاستعمار، هذا القوس الذي لم يُغلق بعد، فإن الحصيلة تضع الحركة العمالية الإسبانية في المواقع الأولى داخل الحركة المناهضة للاستعمار. وقبل أن تتم شُرْعَةُ إعلاء السيادة المغربية سنة 1912، كانت كل من إسبانيا وفرنسا تحاولان ضم الأراضي التي أُنشئت بينهما، وكانت مقاومة المغاربة. وكانت إحدى عمليات النهب هذه، هي التي أدت إلى حرب 1909 والاحتجاج العمالي ضدها. هذا الاحتجاج الذي بلغ الأوج فيما سُمي بعد ذلك بالأسبوع المأساوي لبرشلونة. وفي بداية يونيو من ذلك العام، وبما أنه لم يكن من الممكن الوصول إلى اتفاق مع الريفيين ليُسمحوا باستغلال حيراتهم المنجمية في إكسنان، شرع الجيش في حماية الأعمال في المحام. وأمام استفزاز من هذا القبيل، هاجم المغاربة، في بداية يوليو، الجنود الذين اضطروا لدخول إلى مليلية. وبما أن الخمسة آلاف وخمسمائة جندي والخمسة وعشرين من القادة والضباط الموجودين هناك لم يكونوا كافيين، فإن الحكومة قد نظمت الإرسال الفوري للواء محتلف من القضاة وتجنيد الاحتياطيين. وتلقى الرأي العام هذه الأنباء باستياء عميق. وبما صاعف هذا الاستياء، استدعاء مجموعات من الرجال كانوا ينتمون للاحتياطي النشط والذين كانوا يعتبرون أنفسهم متحررين من التزاماتهم العسكرية بعد اندماجهم في الحياة المدنية. وقد فضحت الصحافة والأحزاب العمالية والمعارضة هذه العمليات مُعتبرة أن ليس لها من دافع سوى الدفاع عن المصالح الخاصة للمؤسسات المنجمية، ولعب دور المُرَق للزمرة العسكرية. ووصل جو التحريض المعادي للاستعمار إلى حد أن الجريدة المدريدية «مراسلة إسبانيا»، الملكية الانتحائية، نشرت الافتتاحية التالية : « من المستحيل القتال ضد بلد، وإسبانيا لا تريد أن تسمع حتى الحديث عن المغرب. فاستثناء نصف دزينة من السياسيين وبعض سماسرة البورصة المضاربين وآخرين يصطادون في الماء العكر، لا أحد يرغب في معامرات أو استفزازات أو احتلالات غير ضرورية ولا في حملات خارج الرمن والمكان ». وكتب آخرون، أكثر راديكالية، مثل « إلبيس » : « هناك خطر نشوب حرب عبثية ولا شعبية وغير عادلة ضد المغرب. لقد وصفت الحضيض، لكن ليس إلى حد أن نُصبح ألعوبة في يد منامرين من الدول

الاجنبية. إنه لمن العيث والاجرام أن نقحم أنفسنا في الصفين المغربي لخدمة مصالح صناعية ليست حتى لنا في غاليتهاء، مخاطر ين بأن تُغرس في أجسادنا وأرواحنا آلاف الابر المسمومة».

كل هذا أدى منذ اللحظة الاولى إلى استحالة إبحار الجنود، وأسفر عن أحداث خطيرة في برشلونة في يوم 13 - كتيبتا برشلونة ومريدا (MERIDA) - ويوم 10 - كتائب استيليا (ESTELLA) والفرنس XII (ALFONSO XII) ورؤوس (REUS) وخلال هذه الاحداث حاولت مجموعة من النساء والاطفال اعتراض عملية الابحار، وذلك بالتظاهر أو دعوة الجنود إلى القاء السلاح ورفض القتال. وحدث نفس الشيء في مدريد حيث أدى احتلال محطات القطار والجلوس فوق السكة إلى استحالة خروج قطارات الجنود من المحطات. وبهذا الانطباع كان الجنود يصلون إلى مليسيا ليدخلوا مباشرة إلى المعركة بمعنويات منهارة - حسب الجنرال مولا (MOLA) - من جراء الاحداث التي وقعت في موانئ الابحار أو خلال نقلهم عبر البلاد.

ومرت الايام من التاسع إلى السابع عشر من يوليو، بشكل عادي دون أن يهجم المغاربة. لكنهم هجموا بقوة يومي 18 و 20 مما اضطر جيش الاحتلال إلى المزيد من التراجع. وحاولت حكومة مورا (MAURA)، التي كانت في وصية حرجة، أن تعطي انطباعاً بأن الأمر يتعلق بعمليات بوليسية بسيطة ودون أهمية كبرى ضد بعض قطاع الطرف. وبالرغم من أن مورا توقع أن على الجيش الاستعماري مواجهة حرب قاسية، فقد سعى إلى إخفاء ذلك لطمأنة رأي عام هائج للغاية. غير أن المعارك المذكورة فضحت مورا الذي لم يكن له بد سوى ارسال المريد من الاحتياطيين، من بينهم اللواء الاول المختلط لنقاصة حامية مدريد. وانفجر الغضب الشعبي الذي وصل يوم 21 إلى حد معارضة رحيل كتائب لاس نافاس (LAS NAVAS) وفيكييراس (FIGUERAS) بالقوة، وذلك بفصل عربات القطار. وفي يومي 23 و 27 وقعت من جديد معارك عنيفة. ووصل الانطباع الذي خلفته الاخبار الجديدة الى حد أن جريدة «الايض

والاسود» كتبت «نقد رحل لواء آخر الى مليسيا؛ فهو سيكون اللواء الأخير؟ إن هذه التساؤلات تطرحها نحن الذين لا نملك متاحم في الريف ولا أسهم فيها بشبه الجزيرة. كما يطرحها أيضاً الذين جالوا بعض الشيء عبر إسبانيا، وشاهدوا الكثير من فراسخ الأرض غير مزروعة ويمكن استعمارها. وإلى حين تصميمنا على استعمار دارنا، نعتبر أن كل نيات الصار الريفى لا يساوي حياة جندي واحد». ويظهر اطلاق النار على بعض العمال في الريف كذريعة [المحوم على الريف]، لأن الدافع الحقيقي هو الرغبة في التوسع، في الوقت الذي اختار المغرب سطانا حديدا معاديا للاستعمار. وفي نفس التاريخ، حذر يابلو اكسياس (PABLO IGLESIAS) زعيم الحزب الاشتراكي العمالي الاسباني، في تجمع عقد بمسرح لويس إدن قائلا: «لن يكون من الصعب أو الغريب أن يفض أحد الجنود الاحتياطيين طعن وزير أو أية شخصية سامية بالحجر بدل الذهاب لتقتيل أناس يدافعون عن وطنهم بنفس الشجاعة التي دافع بها الاسبانيون عن وطنهم سنة 1808. وفي هذه الحالة، إن الحكومة هي عدوة الشعب الاسباني وليس المغاربة. ويجب محاربة الحكومة باستعمال كل الوسائل. وبدل اطلاق النار على الشعب، يجب أن تطبقوها على المسؤولين وسوف يعلن العمال الاضراب العام إذ، كان ذلك ضروريا».

وفي نفس التاريخ، انعقد مؤتمر الفيدرالية الكطالانية للحزب الاشتراكي الذي صادق على الملتقى الثاني: «اعتبارا لكون الحرب نتيجة حتمية لنظام الانتاج الرأسمالي، واعتبارا أيضا للنظام الاسباني في تجنيد الجيش حيث أن العمال هم وحدهم الذين يخوضون الحرب التي يعلنها البرحوايون، فإن التجمع يحث بصرامة:

- 1 - ضد تصرف الحكومة الاسبانية في المغرب.
- 2 - ضد ممارسات بعض سيدات الارستوقراطية اللاتي يهن آلام الجنود الاحتياطيين وزوجاتهم وابائهم وذلك بتسليم أوسمة وأطواقا كدفية عوضاً عن تمكينهم من وسائل العيش التي حرمهم منها غياب رب الأسرة.
- 3 - ضد ارسال مواطنين مفيدون للانتاج إلى الحرب؛ وهؤلاء

المواطنون، على العموم، غير مكترئين بانتصار الصليب على الأهل، في حين يكثر تكوين فرق من الرهبان والكهنة الذين لهم مصلحة مباشرة في انتصار الديانة الكاثوليكية فضلاً عن كونهم بدون عائلات ولا منازل ولا يسمعون البلاد في شيء.

4 - ضد موقف النواب الجمهوريين الذين لم يستغفوا حصاتهم البرلمانية ليتصدروا احتجاجات الجماهير ضد الحرب.

يلتزم أمام الطبقة العاملة بحشد كل قواه إذا ما اضطرت إلى إعلان الإضراب العام لأرغام الحكومة على احترام حقوق المغاربة في الحفاظ على الاستقلال التام لبلادهم.

ونمت الدعوة للإضراب العام في مجموع إسبانيا خلال شهر غشت، غير أن شنه قد تقدم في برشلونة منطلقاً من القواعد تحت صيغة : « بينا تنطمون انتم مهرجانات سياسية فإن العسكر يجرون المواطنين على خوض الحرب ». وأدى الإضراب إلى الأحداث الدامية لآخر أسبوع في يوليو، ذلك الأسبوع المأساوي، والتي بلغت أوجها باعتقال المفكر الفوضوي فريير (FERRER) والحكم بالإعدام على 110 متاضلين والاعتقالات الواسعة لعمال : 5000 في برشلونة و 1700 في مطارو (MATARO) و 1200 في صباديل (SABADELL) و 1000 في طراغونة (TARRAGONA) و 300 في خيرونة (GERAONA). وفي نفس الوقت مني جيش الاحتلال بهزيمة كبرى في وهدة الذئب على سفوح جبل الكروثو، ولم تتجاوز هذه الهزيمة إلا الانتصارات البطولية للمغاربة في أنوال وجبل أعرويت سنة 1921. لقد أدى قصور القادة العسكريين إلى سقوط فيلق من الفناصة بكامله في كمين نصبه المغاربة. وقتلت، تقريباً، كل العناصر المكونة لهذه الوحدة العسكرية بما فيهم القادة العسكريين الذي كان يقودهم، الجنرال جويرمو بتوس (GUILLERMO PINTOS). واعترف وزير الحرب أن حوالي ألف إسباني لقوا حتفهم، بينما لا يعرف بعض الصحفيين الاستعماريين، مثل فيكتور رويس ألبينيس (VICTOR RUIZ ALBÉNIZ) إلا بزهاء 300 خسارة في الأرواح في الصفوف الإسبانية.

فتحت هذه الهزيمة المدوية قوساً من الهدوء حتى بداية الخريف، واستفادت منه مدريد لإرسال تعزيزات عسكرية. ويمكن تقدير عدد الجنود الموجودين في مليلية في نهاية الصيف بحوالي 40.000 جندي. وقررت الحكومة احتلال جبل الكروثو لابتعاد المغاربة عن ضواحي المدينة. واتسوفت العمليات يوم 21 شتمبر عندما هوجمت قبيلة بني شكار شمال مليلية، واحتل في اليوم التالي سوق الأحد. وانتقل الجيش بسرعة نحو الجنوب واحتل الناظور يوم 25 وسلوان يوم 27 مما أدى إلى تطويق الجبل الذي تم الاستيلاء عليه يوم 29 شتمبر. إن معالم الكيفية التي تصرف بها الجيش الإسباني، يقدمها لنا دعاية من أكبر دعاة الاستعمار الإسباني شهرة حين يكتب أن « هذه العمليات تشكل درساً معبراً، وإن لم يُستفد منه إلا قليلاً، لما يجب أن نكون عليه حرب المغرب : معاقبة المتمردين بضربهم في مصالحهم المادية بإحراق القرى واتلاف أو مصادرة المحصول أو المظالمير. والشرط الأول للتباحث في موضوع الخضوع هو تسليم العتاد الحربي واحتجاز رهائن للتأكد من ذوايا السكان ».

ونشرت أيضاً إحدى الجرائد الاستعمارية في ذلك العهد، الافتتاحية التالية: « إن سياسة الترغيب والترهيب هي السياسة الوحيدة والسياسة ذات النتائج العملية، والتي يمكنها أن تجعل هؤلاء القوم الجهلاء يدركون أن أمن ديارهم، لا يمكنهم الحصول عليه إلا إذا انصاعوا لقيادة ممثلي إسبانيا المحترمين ووضعوا ثقة عمياء في إسبانيا. إن الجزاء والعقاب كقاعدة: العقاب في البداية وبعده الجزاء، يشكلان وسائل ناجعة لاجتذاب [السكان] ».

لقد سجل بلوغ ارتفاعات الواقعة جنوب جبل الكروثو في أواخر نوفمبر نهاية هذه الحملة. وإن خطط الاستمرار في الحملة ومشاريع الانزال في الحسيمة قد تم التخلي عنها أمام المقاومة المغربية الضارية والاحتجاج الشعبي الإسباني والجهل المطلق لتلك الأراضي.

لا اغتسل ولا أمشط شعري،

ولا اضع رابطتي الزرقاء

حتى ينتهي خطبي من الاستيلاء على الكروثو

والفتيات اللواتي كن ينشدن هذه الأغنية كن يشرقن فرحاً إلا ان فرجهن لن يدوم طويلاً.

إن الحبس الوطني القوي لدى المغاربة، والاحتجاج الحازم للبروليتاريا الإسبانية وعدم أهلية جيشنا، مستشكل العراقيل الثلاث الرئيسية التي ستعترض سبيل الاستعمار الإسباني ورغبته في التوسع سنة 1909. لقد كان بوسع الاستعمار الإسباني استخلاص درس مفيد، والانسحاب من هذه المغامرات التي لن تكون سوى مصدر للهزائم، ومع ذلك فضل القمادي محاولاً فرض حماية على من هم في غنى عنها. وعلى هذا النحو فإن الفرامل الثلاثة المذكورة سابقاً ستضعف الى حد أن ديكتاتورية بريمو دي ريفيرا (PRIMO de RIVERA)، الاستعماري البارز، ستفكر بحدية في احترام استقلال الشعب المغربي. إن درس أحداث 1909 كان هو أن ليس استعمارياً من يريد بل من يستطيع ذلك. ولسحق الشعب المغربي لأبد من جهاز عسكري أقل تعفناً وفساداً وقصوراً من الجهاز العسكري للجيش الإسباني آنذاك. وجريدة «أ.ب.س» التي لا يسوع اهتمامها بمعادة العسكرية، أكدت يوم 11 أكتوبر 1911 أنها لا تستطيع أن تفهم كيف أن الجنود غير النظاميين «الموروس» الذين لا يتوفرون على تنظيم عصري والذين يفتقرون للعدة الملائمة أو لقيادة كفئة، يمكنهم توقيف جيوش أوروبية يُفترض أنها حسنة التدريب، حيدة التنظيم ومجهزة بشكل مناسب. وكان انقادة العسكريون بصطدمون بصعوبات لتفسير المأزق الذي آلت إليه الحرب، ولتفسير سبب كون جيوش الاحتلال مازالت دون مستوى المهمة القمعية الضرورية. إنها تساؤلات غير جديدة، كانت قد طُرحت ويطرحها وسيطرحها دائماً المضطهدون من كل نوع. وكان للاحتجاج الشعبي من البعد والحدة والامتداد ما جعل كونت رومانونيس (ROMANONES) - وهو أحد الذين استثمروا كثيراً من المال في مناجم المغرب، والذي كان ينفي باصرار أن تكون الأعمال العسكرية تم

لحماية مصالحه الشخصية - يعترف بأنه وقع تصديق هذه الاشاعة إلى حد أن فلاحي مزارعه الضخمة في كوادالخرا يعتقدون أن الجنود يموتون من أجل حماية أملاك الكونت. إنه من نوع المحاكاة الساخرة الحالية للحظة دعائية في التلغزة: «إن الحبل يحترق، إن شيئاً لك يحترق يا سعادة الكونت»، ولكن بحدية.

إن النتيجة المنطقية قد استتجنتها الجريدة المذكورة «مراسلة اسبانيا» الرجعية والمذكية، حينما قصصت وأشارت بأسلوب مستقلى ونيرة تنبؤة للاخطار التي يمكن أن يحملها للملكية غزو المغرب: «إذا كان البلد يُدرك أننا نستمكن من حل مشكل ما باحتلال المغرب لتحمّل سياسة امبريالية، لكن بما أنه يعلم أننا ذاهبون إلى المغرب دون أن نعرف لماذا ومن أجل ماذا فإن البلد لا يتقبلها. لنعترض أن جنودنا خرجوا من مليبية واحتلوا 10 أو 20 أو 30 أو 100 كيلو متر وان تلك المساحة محتلة الآن. ولكن لماذا؟ إذن من أجل لا شيء. قطعاً، من أجل لا شيء؛ إن لم يكن من أجل تبذير نحو مائة مليون نحن في أمس الحاجة إليها هنا بينما لن تصلح لشيء هناك. سيموت بعض الجنود، وسيُرق آخرون، وستبلى مرة أخرى ارتباكنا، وللمرة المائة سنثير السخرية عندما نسمي اطلاق النار مناوشة، والمناوشة عملية حربية، ولقاء فصائل الاستكشاف قتالاً، والقتال معركة مواجهة. سنبعث عدداً من الجمرالات يفوق عدد العقدا، وعدد القادة العسكريين سيفوق عدد الضباط، وعدد الضباط سيفوق عدد الجنود. إن الوعود أكثر من الحقائق، والمشاريع أكثر من الأفعال. وحصيلة كل هذا أننا سنظفر بشيء واحد: دماء الشعب وأموال المُكلف [بأداء الصرية].

لِمَ الكذب إذا كانت الحقيقة هي هذه؟ لماذا نخدع أنفسنا بأوهام مثيرة للسخرية إذا كانت الأمور ماهي عليه وليست ما يُراد أن تكون؟ وعلى الحكومات التي تحكم، وعلى الملوك الذين يمكنهم أن لا يسوا ذلك. إن الذهاب إلى المغرب سيكون أخطر ألف مرة من عدم الذهاب إليه. إن الذهاب إلى المغرب يعني الثورة. وعندما أقول ذلك أخدم الوطن والمثل

أفضل مما لو جعلت الملك والوطن يعتقدان أن الذهاب إلى المغرب يُناسب الأمة والملكية».

- الفصل الثاني -

الاحتلال

إن الحماية الفرنسية على مجموع التراب المغربي تقريبا 450 ألف كيلو متر مربع مع أزيد من خمسة ملايين من السكان - قد أقيمت رسمياً في 30 مارس 1912. ولم يبق لاسبانيا الا 5% من الأراضي مع 750 ألفاً من السكان. وفي نوفمبر 1912 تم اعداد اتفاقية مع السلطان ووقعت رسمياً بمراكش في مايو 1913. وتحدد هذه الاتفاقية حقوق والتزامات اسبانيا بخصوص ما كان يُشكل إلى حد ذلك الوقت منطقة نفوذها والذي تحول إلى منطقة حماية. لقد شكل هذا الاتفاق السند القانوني الذي ارتكز عليه حق والتزامات اسبانيا في حمايتها للمغرب. وفي بيوده السنة والثلاثين، بالإضافة إلى ملحق حول السكة الحديدية طنجة فاس وخريطين تفسيريتين، يُحدد الاتفاق أن إدارة وحكم منطقة حمايتنا من اختصاص الخليفة، الذي يمارس نفس الوظائف ويتمتع بنفس الصلاحيات التي يحظى بها السلطان في منطقته. وتعود لاسبانيا مهمة الحفاظ على الأمن ومساعدة الحكومة المغربية في منطقتها من أجل ادخال كل الاصلاحات الادارية والاقتصادية والمالية والقضائية والعسكرية التي قد تحتاجها، ومن أجل سن القوانين الجديدة وتغيير القوانين القائمة. وتقدم اسبانيا المرشحين لمنصب الخليفة الذي لا يمكنه أن يستمر في محاولة مهامه، ولا أن تتم إقالته دون موافقة الحكومة الاسبانية. كما أعطى لاسبانيا حق مراقبة قرارات السلطة المغربية وإقامة تنظيم قصائي مستوحى من تشريعها الخاص.

من النديب، منذ الوهلة الأولى، أن روح اتفاقية الحماية، وروح كل تشريعاتنا التي تضعها، حيز التمييز، هي انعدام الاحترام المطلق لحكومة البلاد من طرف المعاربة أنفسهم وحصرهم في استقلال ذاتي وهمي؛ ويضطلع الخليفة بالدور الرئيسي في هذه المهنة، وهو دور كان يورعه مدراء الاخراج الاستعماري. ووفقاً لهذا العرض [المسرحي] أصبحت اسبانيا منزلة بالاعتناء بجائين هما: تنظيم إدارة أهلية تساعد الخليفة في مهمة

لسبته الذي يرتبط منصبه بوظيفة المفوض السامي وبكل السلطات القضائية والعسكرية القائمة في منطقة استعمارنا، والهدف هو إعطاء وحدة للاحتلال. ولمساعدة الحاكم العام أُنشئت ثلاث مندوبيات مدنية :

الأولى، هي مندوبية الشؤون الأهلية التي ستكلف بكل ما يتعلق بالأهليين وبالحصوص مراقبتهم البوليسية.

الثانية، مندوبية من أجل تنمية المصالح المادية في المنطقة. وتتكلف باختيار أجود الأراضي والغروات للحملة الغازية، والقيام بالحد الأدنى من الأشغال العمومية، وتنظيم مصالح البريد والبرق الضرورية من الناحية الاستراتيجية.

الثالثة، هي مندوبية الاتفاقيات المالية والضريبية والاقتصادية. وكانت مهمتها، كما يدل على ذلك اسمها، ائصال كاهل المعارضة بالضرائب ونهب الثروة القليلة التي يملكونها. ووقع حث الرأسماليين على الاستثمار في المنطقة المحلة، مع التأكيد هم على اهم سيسقون من الهيئات الحديدية كل التسهيلات الضرورية لاعمالهم. ومن أجل تغطية كل هذه النفقات أحدث الفصل 12 في الميزانية تحت عنوان العمل بالمغرب مع توقع أن استخلاص الضرائب المفروضة سيؤدي الى تخفيض هذه المصاريف تدريجياً.

لقد نظمت عدة مراسيم جوانب محتفة ومكملة للعمل الأولي. وأهمها الأوامر الملكية حول الإدارة والحرب والصادرة في 24 أبريل 1913، والتي تتضمن توجيهات ملموسة أكثر تتعلق بمهام المفوضية السامية. وبمقتضى ذلك أصبحت القيادات العامة مائة لمناطق عسكرية مع احتفاظ ميلية وسبته والعرائش بشيء من الاستقلال الذاتي اعتباراً لصعوبة الاتصال. وبالرغم من كون منصب المفوض السامي كان يبدو، كما قلنا، موحداً مع القيادة انعامه لسبته، فإن هذه التوجيهات قد فصلته نهائياً. وفصلاً عن ذلك، لم تكن هذه التوجيهات تتضمن ما يتعارض مع ان يكون المفوض السامي : الذي يتركز بين يديه النشاط العسكري والسياسي ؛ مدنياً. وأول من عُين في هذا المنصب هو اجنرال ألفاؤ (ALFAU).

الإدارة الوهمية داخل المنطقة المحددة بموجب المعاهدة، وتنظيم هيئة إدارية إسبانية مكلفة بالتدخل في قرارات السلطات المغربية المعنية والمساهمة في الحفاظ على النظام والأمن، وإقامة العدالة بالنسبة إلى الرعايا الإسبان والاجانب المحميين والأهليين في ظروف محددة.

لقد كانت المنطقة محكومة، كما قلنا، من طرف خليفة يحمل لقب سمو الأمير كان يمثل السلطان وتساعد في مهامه حكومة هي المخزن الخلفي وحاشية خليفية. أما إدارة المناطق فكانت تتم بواسطة القيادات التي كانت تتحمل مسؤولية إدارة منطقة محددة قد تتسع إلى هذا الحد أو ذاك وتضم قرية أو عدة قرى أو قبائل مغربية. وعندما كانت توجد مدينة في قضاء قائد فإن تلك السلطة كانت تسمى باشوية وكذلك الأمر بالنسبة لعامل المدينة الذي كان يحمل إذن لقب باشا. وكان القواد أو القضاة يتولون مهمة إقامة العدالة في هذه القرى أو المدن.

أما الواقع، أي فيما يتعلق بالهيئة الإدارية الإسبانية فقد كان يرأسها مفوض سام. وهو يمثل إسبانيا في منطقة الحماية وفي نفس الوقت الحاكم العام لمواقع سيادتها، ستة ومليية. وكان جهاز المراقبة والإدارة يتضمن، بحصر المعنى، تحريك واستعمال الحكومة الخليفية سواء على مستوى تمثيلها المركزي أو على الصعيد الجهوي والمحلي، كما كان يشمل نشاط التقنيين الإسبانين في المصالح التي يُؤهل المغاربة للعمل بها وإطاراً للتنظيم القضائي بموظفين استعماريين.

إن النص الأساسي لتنظيم حمايتنا كان هو المرسوم الملكي الصادر في 27 فبراير 1913. وفي ذلك التاريخ لم تكن المصادقة على الاتفاقية الأساسية - الفرنسية قد تمت بعد، لكن استناداً إلى فكرة ان المصادقة سوف تتم قريباً، اتُخذت الاجراءات المناسبة للسير قدماً في تحضير ممارسة نشاطنا الاستعماري. وقد كان من المنطقي ان يتركز نشاطنا الاستعماري، اندي لم تكن له سوابق إدارية، على الأفكار العامة التي وجهت إقامة الحماية على المنطقة الفرنسية بالمغرب وعلى تونس. وكانت البنود الأساسية لذلك النص الأساسي هي : جعل منطقة الحماية مؤقتاً تابعة للحاكم العام

وسيشكل وجود القيادات واستقلالها الذاتي، عاجلاً أم آجلاً، عرقلة كبيرة في وجه احتلال المناطق المتمردة، وذلك لأن سلطة المفوض السامي كانت في الحقيقة صورية، حيث إن جنرالات كل منطقة كانوا يقومون بعمليات قمع دون تنسيقها. وبالإضافة إلى ذلك كانت التبعية المزدوجة تجاه حكومة مدريد تشكل عتصراً مريباً: التبعية لوزارة الخارجية ولوزارة الحرب في القضايا التي كانت تتعلق بكل واحدة من الوزارتين، مع خاصية كون منطقة العرائش كانت مرتبطة بعلاقات مع وزارة الخارجية من خلال مفوضية اسبانيا في طنجة. وبالرغم من العيوب الكبيرة لهذا النظام، والتي تشكل عائقاً في وجه العزو العسكري؛ وبالرغم من ادراك ضرورة مركزة العمل في يد هيئة واحدة منذ اللحظة الأولى، لم يقع أدنى تغيير إلا بعد انتصارات عبد الكريم في أنوال وحبل أعرويت. وأدت هذه الكوارث الاستعمارية إلى بروز فكرة خلق جهاز إداري يتفرغ للشؤون المغربية فقط يتمثل في مديرية عامة للمغرب والمستعمرات.

بيد أن كل هذا بقي حبراً على ورق. إذ يجب أولاً حيازة الأراضي للتمكن من فرض الحماية الاستعمارية. وبما أن مُستعمرِي المستقبل [المغاربة] لا يبدو أنهم موافقون، أصبح من اللازم فرض السلم الأسبانية بقوة السلاح. وعلى هذا النحو بدأ التدخل المباشر للاستعمار الإسباني بالمغرب. وبما أن سكان الريف وجباله رفضوا التمثيل في مهزلة الحماية فلم يبق بُدٌّ من وضع المؤثرات المسرحية جانباً وامتشاق البندقية. وخاض المغاربة حرباً جديدة دفاعاً عن استقلالهم الوطني ضد عمل من أكثر الاعمال الاستعمارية عبثية واجرامية في التاريخ العالمي **لاضطهاد الشعوب**. إن تصور الحماية بطريقة اجرامية، مع تقسيم البلاد إلى مناطق **سُتسلم** لدول تختلف جذرياً من حيث اللغة والتطور الاقتصادي والمستوى الثقافي، كان يقتضي مصاعفة تقسيم البلد المحتل. وإذا كانت انتفاضة فاس، كما رأينا، قد اندلعت فور معرفة القرار الذي فرضته القوى الاستعمارية، فإن رد فعل الشعب اليفي في المنطقة الأسبانية، قد سبق التوقيع الرسمي على التقسيم. ففي صيف 1911 دعا محمد أمزيان، وهو مغربي له نفوذ، إلى الجهاد أو الحرب المقدسة ضد الغزاة. وفي الرابع والعشرين من غشت

هاجم أتباعه أعضاء اللجنة الطوبوغرافية التابعة لقيادة الأركان والذين كانوا يقومون برسم مخططات. وأدى تكرار الهجوم إلى نشوب معركة، وكانت الشغل في قمم الجبال الريفية تُعزز وتُكبر صدَى النداء للحرب المقدسة في تلك الليلة. وفي نهاية غشت وبداية شتنبر دارت معارك ضاربة على ضفاف نهر الكرت. وإن خیر هذه الحرب الجديدة؛ في الوقت الذي لم تمض إلا بضعة شهور على انتهاء الحرب الأخيرة، قد أدى في اسبانيا، إلى تصعيد الحملات ضد الحكومة وضد الحرب، وتمت محاولة جديدة لشن اضطراب عام تضامناً مع الوطنيين اليفيين. وأمام هذا الوضع، كان رد كَبالِيخاس هو تعليق العمل بالضمانات الدستورية. وفي بداية أكتوبر قطعت قوات الاحتلال نهر الكرت، الذي يجري نحو الشمال باتجاه الألبس المتوسط، واصطدمت مع حَرَكة (وحدات قتال) أمزيان التي أرغمتها على التراجع وعبور النهر من جديد، في الاتجاه المعاكس، وأصبحت قوات الاحتلال معاصرة في مليلة من جديد. وبعد تعزيز وحداته، استطاع الجيش الاستعماري فك الحصار بعد معركة دامت خمسة أيام في منتصف دجنبر. وبالرغم من ذلك، فمع بداية 1912 كان وضع اسبانيا حول مليلة خطيراً بشكل لم يسبق له مثيل. لقد كانت خطوط [الجهة] ممتدة أكثر من اللازم، وكانت صعوبات كثيرة تعترض وصول وحدات الامداد لتقوين المواقع الامامية عبر مناطق معادية. لكن الحظ قد ساعد الأسبانيين حيث ان الزعيم أمزيان نفسه لقي مصرعه يوم 15 مايو في إحدى المعارك. ولاند أن نبرز أنه خلال هذه الحملة تمت، ولأول مرة، محاولة الانزال في الحسيمة يوم 18 أكتوبر، غير أنها فشلت أمام المقاومة الضاربة التي واجهتها بها قبائل بني ورياغل وبقية القبائل الساحلية الأخرى التي حصنت الساحل. وأدى فقدان هذا القائد إلى توجيه كل الانظار إلى أحمد الريسوني عامل المنطقة الأطلسية، الذي سبق له أن أعطى دلائل واضحة عن معارضته للتدخل الاستعماري في بلاده في العقد الأخير. وكان الريسوني معارصاً للسليطان عبد العزيز ومؤيداً للمولى عبد الحفيظ، واحتجز العملاء الأميركيين هاريس (HARRIS) الانجليزي، وماك لين (MAC LEAN) الاسكوتلاندي، وبيرديكارس (PERDICARIS) الأمريكي، مُرغماً

جيش الاحتلال ولا لفائدة الريسوني، أيضاً بل لمصلحة الشعب المغربي: إنها الانتفاضة الوطنية لعبد الكريم. إن سنواته الثماني من الكفاح المستمر ومن الحفاظ على وضعية إن لم تكن حربية فإنها لم تكن سلمية كذلك، ومن شجب حرقهم ونهب القوات الاستعمارية ومن الدعوة للفكر الوطني بالمغرب، كل ذلك أعطى ثماراً مرة لم يذق مرارتها الاستعمار الذي كان الريسوني يقاومه فحسب، بل أيضاً الاقطاع الذي كان الريسوني ممثلاً له.

بعد فترة وجيزة من بداية الاحتلال، استقبل الريسوني الجنرال سيلفستري (SILVESTRE) بوداً وأعطاه أكبر الوعود وأخلصها للتعامل معه. وبعد ذلك بثلاثة أشهر أمر باعتقال زهاء مائة عميل مغربي مما أدى إلى استياء عميق في الأوساط الاستعمارية. وفي مارس 1912، أي بعد ستة أشهر، رخص لفرقة من القوات الأسبانية باحتلال أصيلا وسوق أحد العرية. وفي شهر عشت من نفس السنة، اشتكت بعض القبائل من الغرامات الكبيرة التي تفرض عليها كصرائب جديدة من لدن إدارة العامل وذلك بسبب موقفها الموالي لاسبانيا. وأدت حماية القوات الاستعمارية لهذه القبائل إلى حادث أولاد بومعيزة حيث وقع صدام مع رجال الريسوني، ومهارة ساهر إلى طنجة للاحتجاج بصرامة لدى سفيرا [وقال]: كيف يسوغ لاسبانيا، حامية المغرب، أن تهجم جيوش الحكومة المحمية؟ وبعد أن تلقى اعتذارات رسمية عاد إلى أصيلا حيث استمر في حبس ونشويه ومتابعة العرب الذين يشتغلون مع جيوش الاحتلال.

وفي يناير 1913، وقع حادث أكثر خطورة بالخالدوين بيني عروس عندما طالب الريسوني 5000 دورو لاطلاق سراح بعض المعتقلين منهم، وطمت قرية الخالدوين حماية سيلفستري. وبعد ذلك بأيام، وقع احتلال قصر الريسوني واطلاق سراح كل المعتقلين ومصادرة أسلحة ودخيرة حرس الريسوني. وعندما أيقن هذا الأخير أن الحكومة الأسبانية لم تمنع تعسفا من هذا القبيل، وضع حدا لآخر لمخالفاته مع السلطات الأسبانية ودعى إلى حمل السلاح في تازروث. وبأسلوب دينغ حذر الريسوني في أحد الاجتماعات سيلفستري ممثل الاستعمار الإسباني من نوع القتال الذي

حكومتها احتلتها والولايات المتحدة على التدخل في مساعي الانقراض وأداء مبالغ هامة من أحبهم. لقد كان الريسوني سياسيا متيقظ الذكاء، شديد النبصر وعلى معرفة عميقة بشعبه، وإطلاع على السياسة الدولية، وكان يدافع عن مغرب حر ومستقل بدون أية وصاية أجنبية. بيد أنه كان يعتبر أن من الصعب التصدي للعزلة بمقاومة عسكرية محض، ولذلك يحب على المغاربة الجمع بين الضغط السياسي والضغط العسكري. وكانت هزيمة وموت أمزيان في أرغنان تريد حثه وزناً لأنها كانت تبين أن التفوق الاستعماري ساحق على صعيد الامكانيات العسكرية. ويوجد في عمق هذا التحليل، خوف من مساهمة الشعب المغربي في الصراع بالإضافة إلى مبالغة في تقدير [قوى] الاستعمار. وإن الثورة السياسية التي أطاحت بعبد العزيز قد بينت لسيادة الاقطاعيين الكبار — والريسوني واحد منهم — أن الفلاحين المعارضة عندما يصبحون واعين سياسياً لا يكتفون بإدانة الامبراليين فقط، بل يُشهررون أيضاً بالنظام الاجتماعي — السياسي الذي بقي المغرب في ركود تام. وكان الريسوني يخشى أن تؤدي الهزة التي أحدثتها الغزو الإسباني — الفرنسي، عاجلاً أم آجلاً، إلى سقوط سلطته نفسها. لقد كان هذا الوطني يدافع فقط على استقلال البلاد التي يحب أن تبقى عند حصولها على الاستقلال، في نفس الوضع الاجتماعي — الاقتصادي الذي كان سائداً قبل وصول جيوش الاحتلال. كل هذه العوامل أدت إلى أن الريسوني كان، بموازية المعارك، يلعب مع ممثلي اسباب لعبة القط والفار، رافضاً بيده اليمنى ما سلمت به يسراه. وكما لاحظ يقط للواقع الإسباني، كان يعرف بالدهشة ضعف سياستنا الاستعمارية والاحتجاجات الشعبية ضد حرب النهب وضعف استعداد وفتالية جيشنا، وانعدام التنسيق فيما يخص السياسة التي يجب نهجها. ولقد قرر ربط علاقات مع الاسبانيين، ووضع خطة للاستنزاف وحرب الأعصاب والفوضى التي ستدفع مدريد، في القريب أو لآجل، إلى تركاب جنودها من جديد أو تسمح بانتظار الفرصة المناسبة للالتقاء بهم إلى البحر. ويمكن القول، إنه نجح إلى حدود العشرينات، في جعل كل الحماية مجرد سديم مطلق ومستنقع يلتهم الرجال والمال الإسباني. وكما كان يتمنى، فقد تغيرت الظروف، غير أن هذا التغيير لم يتم لصالح

والقصر الكبير وقطعت بذلك المواصلات بين سبتة وتطوان؛ وأدى ذلك ألفاوا وإلى اقتراح هدنة من جديد. وشرط الريسوني عقد الهدنة بإعادة تطوان. وأمام فشله الواضح قدم ألفاوا استقالته تاركا ولاية المفوض السامي شاذرة. إن تعيين الجنرال مارينا (MARINA) «البطل»، سفك سة 1909 لن يفرض أي تغيير، فالمعارك ستستمر. وفي إحدى المعارك، بالقرب من تطوان سبسط المغاربة أول طائرة إسبانية من نوع «م.ف.1» يوم 19 نوفمبر 1918. ومنذ 1911، كان الطيارون يتدربون في العمليات العسكرية لتنسيق مع المشاة؛ وكانوا يقصفون الحادق والأسواق والطرق والمحاصيل والممتلكات والمستشفيات والمدارس والأحياء المدة والسكان المدنيين. كما أنهم كانوا يضربون المقاتلين بالمذافع الرشاشة ويأخذون الصور والرسوم الطبوغرافية الخ... واستعملت السفن الهوائية أيضا منذ 1909. وفي نفس التاريخ، اقترحت مجموعة من الراسماليين الألمان عرضاً غير مألوف على الحكومة الإسبانية. وحسب صحيفة «الامبرسيال» ليوم 9 دجنر 1913، فقد عرضوا مساعدة الأسباب للوصول إلى اتفاق مريح مع الريسوني مقابل تنازل إسبانيا عن كل حقوق الاستقلال داخل المنطقة لفائدتهم. وبعد الوصول إلى هذه الاتفاقية يجب على الإسبان سحب حيوشهم من المدن الساحلية التي كانوا يخلونتها قبل إقامة الحماية. وقد رفض هذا الاقتراح. وحاء العم الحديد، 1914، بالحرب الأوروبية الأولى ومعها تقلص النشاط الذي كان يجري في المغرب. ومع انخفاض عدد الجيوش الفرنسية التي كانت بدورها «تنظف» منطقتها من العناصر غير المرغوب فيها؛ اعتبرت مدريد أن عليها أن لا تذهب أبعد مما يجب، وأصدرت تعليمات للتفاوض مع الريسوني مرة أخرى. واغتالت مجموعة من العسكريين، الذين كانوا لا يرغبون في نهج سياسة أخرى غير سياسة إنادة الريفين، مبعوثاً مغربياً هو علي أقلمي يوم 8 ماي 1915. وأدت جريمة وقحة إلى هذا الحد إلى جمع مارينا وسيلستري وعودتهما إلى مدريد. لكن، بعد عودتهما إلى العاصمة تم توشيحهما بأخمالة الكبرى للقديس فرناندو وأخمالة الكبرى لماريا كرمستيا، اعتباراً للخدمات التي قدمها. وتعيين غوميس جوررنة (GOMEZ JORDANA) كمفوض سام جديد، يتعزز

يتنظره: «انت وأنا نشكل الزويدة، انت تمثل الريح الغاضب وأنا البحر الهادي». تأتي وتمب غاصباء وأهيج وأثور وانفجر زبدًا. وعندئذ تهب العاصفة. لكن، هناك فارق بيني وبينك: فبينما لا أغادر مكاني أبداً، مثل البحر، انت مثل اريح لا توحده في مكانك أبداً.

وأدى احتلال تطوان، في 19 فبراير 1913، إلى أن يكون لنداء الريسوني صدى أكبر من الذي كان سيكون له في ظروف أخرى. وبدأ التمرد ينتشر، وتصاعد الغليان في البوادي باستمرار؛ وكانت الشغل تظهر في قمم الجبال ليلاً كما أن الاجتماعات والاتفاقات والدعوة إلى الحرب المقدسة اجتاحت كل المنطقة. وكان يقال أن إسبانيا جاءت إلى المغرب بعزو البلاد وإفساد الدين والتقاليد والعدالة والعائلة. وبدأت المعجومات المعزولة وإطلاق النار على تطوان ليلاً وأصبحت الطرق غير مأمونة كما أن موقع عين الجديدة الهام وقع تحريره من طرف المغاربة. وبدأت مدريد تتخوف لما رأت كيف ينتشر أنصار الريسوني، وأمرت معوضها السامي ألفاوا بربط الاتصال مع القائد الوطني من جديد قصد تلافي الحرب. وكان الريسوني يعلم أن بين الإسبانين الذين يزاولون القيادة في المغرب توجد ثلاثة آراء مختلفة. فبينما كان سيلستري يريد الحرب بأي ثمن لأنه يعتبرها الحل الوحيد الممكن؛ كان ألفاوا يرغب في السلم، في حين أن السفارة بطنجة كانت غير مكترثة بالاتجاهين معاً. وكانت تعمل من أجل أعداد مقابلة للقائد الثائر مع ألفونسو XIII.

لقد تجاهل الريسوني كل هذه المقترحات وواصل مهاجمة جيوش الاحتلال، التي استولت في يونيو 1913 على اللوزين وفقدت في نفس اليوم في ساحل الريف الزورق المسلح «الجنرال كوبشا» (CONCHA) الذي هاجمه الريفيون واستولوا عليه مما أدى إلى 16 قتيلًا و17 جريحاً و11 أسيراً في صفوف البحارة الإسبان. ولابد من أن تأخذ بعين الاعتبار أنه كان مسلحاً بأربعة مدافع من عيار 42 ميليمتر وثلاثة مدافع رشاشة. ويتكون طاقمه من 95 رجلاً. وفي 6 يونيو هاجمت قبيلة بني كرفط بناحية العرائش موقع كدية فريشكات ومعسكر الاثنين، وبعد أيام هاجمت أصيلا

نهب شعب. وشرع الريسوني بسرعة من جديد، في متابعة العرب الذين يتعاملون مع جيش الاحتلال، ومنع الاتصال بمكاتب الشرطة الإسبانية، كما قام بحملة قوية ضد الاستعمار. وفي نفس الوقت ربط الاتصال بعلماء ألمانين كانوا يحاولون خلق متاعب لفرنسا في منطقتها الاستعمارية. وبسبب ذلك، فإن غوميس خوردانة ذاته، الذي كان يعتبر أن معاهداته تشكل درب صليب حقيقية، احتج عدة مرات لكن بدون جدوى. وكانت للريسوني السلطة التي يريدها، وبالرغم من حرصه الشديد على عدم صدم [الاستعماريين] صراحة، فإنه كان لا يقبل أدنى تدخل في المناطق التي كانت توجد في قضائه. وهكذا، فبعد سبع سنوات توجت في نفس الوضعية التي كنا فيها في البداية. ففي الشرق لا نتجاوز نهر الكرك في المغرب يحكم من كان يقوم بذلك عندما كان المغرب ما يزال مستقلاً، ومن 1909 إلى 1915 بلغت النفقات العسكرية، لهذه الحرب التي لا تنتهي، رقم 700.000.000 من بسيطة ذلك العهد، مصدرها يد فقير، له دولة فقيرة وتعيش فيه البروليتاريا وضعية اقتصادية مأساوية. وفي مايو 1918، أصدر المؤتمر العاشر للاتحاد العام للشغالين مقررًا من خمس نقاط، وتطالب أولى هذه النقاط «مطالبة البرلمان والحكومة، مرة أخرى، بتخفيض ثمن وسائل النقل وتشجيع الأشغال العمومية، وتنظيم تبادل المواد بكيفية تضمن تلبية كل حاجيات البلاد بنجاحة، وحذف الامتيازات الصناعية التي تؤدي إلى تفاقم الأزمة الوطنية الراهنة، ووضع حد للتفقات غير المنتجة وخصوصاً الحرب الاجرامية في المغرب».

وانشرت الفكرة إلى حد أن الجنرال برمودي ريزيرا نفسه، والذي سيصبح ديكتاتوراً بعد ست سنوات، ردها وأعلن عنها بمناسبة استصاها رسمياً في الأكاديمية الملكية الأسبانية — الأمريكية بقاديس (CADIZ) حيث ألقى يوم 25 مارس 1917 خطابه الشهير حول استرجاع جبل طارق، والذي طالب فيه استبدال صخرتنا بالأراضي التي نراقبها نظرياً في المغرب: «ليس المغرب ولا أية جهة في إفريقيا إسبانيا عنها. إن الدماء السحبة والغزيرة التي أريقَت في إفريقيا، لا يمكن أبداً أن تستثمر بشكل أشرف ولا أنفع من كونها تحلنا في موقع مملك فيه شيئاً يصلح لاسترجاع

موقع الدين يرغبون في الوصول إلى اتفاق مع قائد جباله. وخلال تسلمه لمهامه تجلّى موقفه بوضوح: «إن مهجي يرتكز على عدم خلق هوة بيننا وبين المغاربة، وعلى عدم المغامرة في أعمال حربية دون التيقن مسبقاً من نجاح بدون سفك الدماء يتم التحضير له بالعمل السياسي الضروري. إنني مقتنع بهذه الفكرة ومبشر بها متحمس لها. وإني متأكد من أن عدم التخلي عنها؛ والارتباط بالأهلين بتلك الروابط المادية والعنوية التي تولدها المعاملة الحسنة، والعلاقات الضرورية بين شعوب متجاورة تتعيش فوق نفس الأرض؛ سيمكننا من الوصول إلى جميع جهات منطقة نفوذنا دون الزام الوطن بتضحيات كبرى، ولربما دون الطلق بكلمة الحرب التي يجب أن نعمل على إقراضها من القاموس الذي نستعمله في المغرب، بالرغم من أننا قد نضطر إلى القيام بعمليات بوليسية، من حين لآخر، للقضاء على مقاومات منظمة. بيد أن هذه العمليات لا تدخل أبداً في إطار الحرب بالمفهوم الواسع الذي نعطيه، نحن الأسبان، لتلك الكلمة».

وبعد شهرين، توصل خوردانة إلى اتفاق سرّي مع الريسوني يجعل حداً للحرب التي كانت قائمة منذ 1912. وبموجب هذا الاتفاق تم تعيين القائد الوطني عاملاً، باسم المخزن، على القبائل التي يراقبها أو التي يُخضعها. وبدأ هذا الاتفاق يعطي نتائج بسرعة وتمثلت في إحصاعات عدة سواء في ناحية العرائش أو ناحية سبتة — تطوان. وفي أبريل، أنجزت عدة عمليات مشتركة ضد القبائل التي أصبحت غير متفقة مع سياسة الحرياء التي ينفجها مولاي أحمد [الريسوني]. واستعاد الاستعماريون، في 24 مايو، فداق عين الجديدة وهو نقطة استراتيجية كانت تسمح بالاتصال بين العرائش وسبتة فضلاً عن أنه يعزل في الشمال قبيلة أنجرة والخور وحزعا هاما من قبيلة واد راس. وفي 29 يونيو هوجمت ذروة البيوت، وهي قمة تقع على بعد 9,5 كيلومتر غرب سبتة، وخلال هذه المعركة أوشك النقيب فرنسيسكو فراكو على الموت بعد أن أصيب بجرح خطير في بطنه. لكن الرصاصة لم تمس أي عضو حيوي بعد اختراقها جلد بطنه. ولو أن الرصاصة دخلت بعد ذلك بجزء ثانية أو من زاوية مختلفة بعض الشيء لأضيف فراكو إلى العدد الهائل من القتلى الأسبان الذين سقطوا في مغامرة

الاستعجال. وإني مقتنع تمام الاقتناع أن هذه الأعمال يتم القيام بها بثينة مسبقة لاشغال نار الثورة والتمرد، وذلك بتوليد عناصر لا تارتها، وإذا كان معالي المفوض السامي يتطوع إلى ارهاقنا وافزعنا بنهج هذه السياسية، فليكن في علمكم أننا لا ننتمي إلى فصيحة الاشجار التي تترك فاكهتها تتساقط تحت وقع الهزات العنيفة. إننا من معين تلك الصخرة التي لا ينال من طبيعتها، لا اضغط المنخفض للبرد القارس، ولا تأجج النار الشديدة المسلطة عليها».

وفي رسالة أخرى موجهة إلى المفوض السامي يعود إلى استعمال تشبيه البحر والريخ، وبلغة عريية قرآنية وملیئة بالصور الشعرية، يعلن له عن حرب جديدة: «أنت جنرال عندك قوة وعملك البنادق والمدافع، أنك كبير مثل البحر. لكنني، أنا الشريف مثل الريخ، وعندما تكون الريخ هادئة يكون البحر ساكناً، ولما تهب الريخ يهب البحر ويتموج. فلا تدفعني إلى اهوب».

وحاول الريسوتي، كما فعل سنة 1913، إثارة سخط قبائل حباله وعزل الادارة الأسبانية عن خليفتها بقطع انصرق امؤدية إلى تطوان وسبتة والعرائش وطسجة، مما دفع الجنرال بيرنكزور إلى القيام بعمليات لتخفيف من الضغط وتقوية حصن فندق عين الحديد. ولما وصلت أخبار هذه معارك إلى اسبانيا، أدانت المعارضة حرب المغرب، وأكدت جريدة جمهورية انه «مازك يقاتل في المغرب خلافاً لوعود الحكومة. لقد قتل المعاربة الكثير من جنودنا وتستمر الحرب، إن الشعب لا يريد الدهاب إلى المغرب ولا يريد تدمير قرش آخر هناك. وقد ضحرت اسبانيا من التضحية بأبنائها في غزو أرض لا تعود عليها إلا بالأحزان. ولماذا يجب على اسبانيا المحاصرة من أجل غزو منطقة لا يمكن لاسبانيا أن تصدر إليها حضارتنا ومشها العليا في الحياة؟».

وعبر الوطنيون الكطلانيون عن تعاطفهم مع المقاومة المغربية ضد الامبرالية القشتالية. ووصلت النفقات العسكرية رقماً قياسياً حديداً سنة 1920 حيث أنها بلغت 581.000.000 بسيطة. وازداد عدد الجيش

جبل طارق. ولئن كانت في اسبانيا، ذات مرة، سياسة افريقية مجيدة، فلقد كانت هناك سياسة التخلي عن افريقيا التي لا تقل مجداً. وإذا كانت إيزابيل الكاثوليكية قد طرحت فكرة مؤيدا لتوسعها الافريقي، فإنها أكدت أيضاً في توصية جازمة أننا لن نتخل أبداً عن جبل طارق، ولو افترضنا أن الاختيار طرح على إيزابيل لكما تميل إلى الاعتقاد أن فكرها الموهوب سيحسم الأمر لصالح الطرف الثاني».

ومن المفهوم، أن الأثر الذي خلفه هذا التصريح؛ من طرف شخصية عسكرية ورجعية إلى هذا الحد والتي كانت تتحمر أيضاً مسؤولية القيادة في العمالة العسكرية لقاديس؛ كان هائلاً وادى إلى تصاعد الاحتجاج الشعبي. وإن الاضراب العام، الذي دعت اليه الكفدرالية الوطنية للشغالين والاتحاد العام للشغالين يوم 13 غشت 1917، طالب صراحة وبشكل يائس بالزيادة الفورية في الأجور، وبالتحريض من ثمن المواد الأكثر استهلاكاً وبوضع حد للحرب افريقيا.

إن وفاة الجنرال غوميس خوردانة التي صادفت نهاية الحرب الأوروبية وتركيز اهتمام فرنسا من جديد على مشاكلها الاستعمارية؛ ستؤدي إلى مضاعفة الجهود الرامية إلى سحق الشعب المغربي. وقبل التحاقه بمقر عمله، شرع المفوض السامي الجديد الجنرال داماسو بيرنكزور DAMASO BERENGUER في اصدار أوامره لاتخاذ اجراءات تنسف سلطة الريسوتي. وبعد أشهر، وفي رسالة موجهة للعقيد غوميس سوسا GOMEZ SOUSA قائد الاركان العليا للحرب، بتاريخ 21 فبراير 1919، يفضح الريسوتي هذه الاحداث «إن القادة العسكريين للموقع التي توجد تحت قيادتكم، لا يمر يوم دون أن يفترقوا أعمالاً ضد الناس تستلزم العقاب، مستهزين كل الفرص لاعتقال الاهليين في المدن والاسواق والطرق، مسببين لهم أضراراً في محاصيلهم وأراضيهم المزروعة ونازعين منهم أموالهم وأملأكه. كما أنهم لا يكفون عن ررع الموت واحداث الحروب والتبرع بالضربات وأشكال أخرى من التعذيب العسكري. وإن الشكاوي صند كل هذا تصلي بدون انقطاع، وقد أصبح الوضع يستوجب

| % | % | % | % |
|------|-------|------|-------|
| 1895 | 2,68 | 1899 | 5,58 |
| 1896 | 3,56 | 1901 | 7,75 |
| 1897 | 4,09 | 1902 | 7,21 |
| 1898 | 4,62 | 1903 | 7,23 |
| 1912 | 10,47 | 1908 | 10,47 |
| 1913 | 20,76 | | |
| 1911 | 22,09 | | |

هذا مع أن قوانين 1911 و 1912 حددت القائمة الدنيا في 1,50 متر والوزن الأدنى في 48 كيلوغرام ودائرة الصدر في 75 سنتيمتر، وحذف قانون 1913 الحد الأدنى فيما يتعلق بالوزن، ولاعداد وحدات ممتازة واسكات الاحتجاجات، كون في بداية 1920 فيلق محترف جديد على غرار الليف الأجنبي الفرنسي. ومنذ 1911، ومع انشاء وحدات مرتفعة من الجنود النظاميين (ريكولاريس) المغربية بقيادة الضباط الأسبانيين تمت محاولة تعويض الجنود الاحتياطيين في الجيش، غير أن عدم الثقة فيهم كان كبيرا، وكان يُرتاب في أنهم سيتصون بالعدو لترويده بالمعلومات والأسلحة و الذخائر الحربية كلما امكهم ذلك. وخلال الفترات الأولى، كان القادة الاستعماريون يقيمون حراسة خاصة فيما بينهم لمراقبة جنودهم. وخلال المعارك كانوا يحرصون على أن تُراقب فرق اسبانية في نفس الوقت سلوك الجنود النظاميين. وكان من الأوثق تنظيم كتائب من جنود الصدام مكونة من متطوعين اسبانيين ومن دول أخرى وصولاً إلى تكوين نوع من الليف الاجنبي الاساني. ومؤسسه هو مليان أستراي (Milan Astray)، وكان قائد أول سرية هو فرانكو الذي عمل قبل ذلك في فيلق الجيش النظامي أيضا. ومن هاتين الوحدتين المرتزقتين سيخرج الضباط الافريقايون* الذين سيقبرون الحرية والديموقراطية في اسبانيا. ونشرت «مجلة المشاة» مقالا تطلب فيه صراحة أن يبقى الجيش الاستعماري — بما أنه يظهر عاجزا عن القضاء على الجرح الافريقي — على الشكل التالي:

ليصل إلى حد 226 ألف رجل. وبالرغم من ذلك لم يتحسن التنظيم: اسلحة غير ملائمة، ضباط كسلاء، مجندون أميون وحنود ذوو تكوين ضعيف، وكانت ثقة القادة في «فحولهم» اكبر من ثقتهم في معارفهم الهزيلة في الفن العسكري؛ وكان عليهم أن يواجهوا رجالاً يعرفون الارض شبرا شبرا ومقتنعين بعدالة كفاحهم. وكانت إدارة جميع المناطق تتم بشكل سيء للغاية، وكان العش والرشوة والمحسوبية والظلم والانتهاكات عادية على كل المستويات. وكان كل ذلك منتشر إلى حد أن وزير الحرب لم يكن واثقا من تقارير إدارة الامدادات والتموين ولا من البيانات حول الذخيرة، ولم يكن يعلم علم اليقين، الامكانيات التي تتوفر عليها هذه الفرقة أو تلك في لحظة معينة. وكانت معويات الحنود في الحضيض، وكان لعب القمار والادمان على الخمر والدعارة مع نساء اسبانيات ومغربيات ويهوديات وفرنسيات قوتنا اليومي، ويُعطى مثال الكثيرين الذين كانوا يعملون على اصابتهم عنوة بمرض الزهري أو التعقبة ليصبحوا في تعداد المرضى. وحتى الجرال مؤلا كتب: «ان الجنود وأطر القيادة لا يعرفون بعضهم البعض نتيجة الطريقة التي تم بها تكوين وحدات الحملة. ولم يمارس الجنود إلا رماية التدريب، أما رماية الميدان فلا يعرفونها قط. إن البنادق، في غالبيتها، غير مضبوطة العيار، وكانت الرشاشات من نوع «كولط» تتعطل منذ الطلقات الأولى، ونفس الشيء كان يقع لمسدسات «كاموحيرو»، ولم يكن هناك احتياطي من الذخيرة ولا قدرة على صنعها بما يكفي. ولم تكن حيوانات الجر مروضة، كما أن سائقها المرتجلين، كانوا بدون تجربة. ولم يكن عتاد الجيش ملائما لحرب الجبال».

وفي مثل هذه الوضعية كان الهروب من الجندية منهجيا، ويكفي القاء نظرة على احصائيات التحيد للوقوف على تصاعده المستمر. وبالمقارنة مع مجموع القادرين على اداء الخدمة العسكرية، كانت نسبة اهارين من التجنيد ما بين سنة 1895 و 1914 كالآتي:

ووقع الاتصال مع الجيوش الفرنسية للجنرال بوميريو (Poeymerau) التي كانت تسير على الضفة اليسرى لنهر لوكوس بعد الانتهاء من الدخول إلى وزان. وانتهت السنة بمحاصرة الشاون من طرف رجال الريسوي، وبأن اقترح بيرنكوير على وزير الحرب توسيع رقعة العمليات من الشرق إلى الغرب في الريف خلال الشتاء والربيع: إذن لم يقع أي تقدم بتاتا منذ 1912، ولم يكن عريياً عن هذا الطلب كون مناجم أكسان قد اصححت مرحة؛ وتبين الاحصائيات أن الصادرات من ميناء مليلية كانت تفوق الصادرات من ميناء الدار البيضاء وأن قيمتها كانت اكبر. إذن كان من المستعجل اقتصادياً نقل جبهة القتال إلى المنطقة الشرقية وتجميد الجبهة الغربية. فبينما أصححت منطقة جباله، بالرغم من تردد الريسوي، «مطهرة» شيئاً فشيئاً؛ لم يعرف الريف منذ مدة أية عملية عقاب. إن الضرورات الاقتصادية كانت تُلمي أن الساعة قد حانت لكي يُرحب الريفيون، أحبوا أم كرهوا، بحمايتنا.

وحيث تبرز شخصية عبد الكريم، وسيجد فيه الشعب المغربي القائد السياسي الذي كان يحتاج إليه. وسيلبغ الكفاح من أجل الدفاع الوطني دروته معه، عندما سيصبح في الحاق هزيمة تامة بالاستعمار الإسباني الذي سينفذه، في الدقائق الأخيرة من احتضاره، تدخل الاستعمار الفرنسي. سبع سنوات من المعارك الضارية— ضد فرنسا إسبانيا معا خلال المعارك الأخيرة — ونصف مبيون من الجنود واستعمال الطيران بشكل مكثف والمدفعية والغازات السامة. كل ذلك كان ضروريا لسحق دولة الريف المستقلة، فضلاً عن ضرورة الحصار أولاً ثم الانزال في خليج الحسيمة بعد ذلك. وفي غمرة مرحلة التوسع الاستعماري، عندما كانت الشعوب تنهرم الواحدة تلو الأخرى، كان عبد الكريم متقدماً على عصره، وكان رائدا لحركات التحرير الوطني التي ستكون بطله جزء كبير من تاريخ عصرنا. لكن، ما هي الأسباب التي تضافرت في الريف لكي تتحول حركة المقاومة المناهضة للاستعمار ومن أجل الدفاع عن وحدة واستقلال المغرب إلى حركة قوية الاعارة واهجوم قضت على جيوش الاحتلال الاسبانية؟.

في البداية، لابد من إبراز الكفاح الطويل الذي خاضه الريفيون ضد

جيش مرتزق يقوم بمهام البوليس في افريقيا ويجب أن تُرفض له الترقية بالاستحقاق. ورد فرانكو بمقال آخر بعنوان: «جداره الميدان» يقول فيه: «إن حملة افريقيا هي أفضل مدرسة عملية، إن لم نقل المدرسة الوحيدة، لجيشنا، وفيها تبرز القيم والفضائل الايجابية. ولكي لا تُدمر هذا الحماس ويقتل هذه الروح التي يجب أن نضونها كجوهرة ثمينة، من الضروري ومن اللازم أن يُعطى الجزء الملائم للجداره في الميدان. ولولا ذلك سيُدمر ولأيد هذا الحافز على الحماسات التي تتموت مخنوقة بثقل نظام الدرجات في الحياة الكسلي للحاميات». والاعترافات التي ستكون أكثر وقاحة من هذه قليلة. وحرب المغرب لا يمكنها أن تنقل الثقافة والحضارة والسلم للمغاربة لأننا نفتقر إليها. ولم يكن بإمكاننا اعطاء الحرية لأنها كانت تنقصنا، ولم يكن بوسعنا تعليم التعايش لأننا كنا مفرقين ومقسمين حتى الموت، وحتى السلب لم يكن ممكناً إذ لا يوجد هناك ما يُسلب في منطقتنا. إذن ماذا كان مبرر [عملنا الاستعماري]؟ في ذلك الاعتراف يوجد أحد المبررات: ضرورة إعادة الاعتبار لجيش فقد الاعتبار، وتشغيل سلك وافر من الضباط الذين يَحْتَنِقُونَ دون أية مهمة، والذين يسلبون من قادتهم الأعمال التي يحتاجونها والمتدققين حيوية دون أن يكون لهم مستقبل مباشر. وباشغال حرب حقيقية تكتسب فيها قيمة حقيقية، سيفتح نظام الدرجات الأكثر دموية، الذي يمكن لحرفة ما أن ترغب فيه وتحافظ عليه مفتوحاً. لقد كان العسكريون يعتبرون المغرب مجرد سوق للترقية والمكافآت والميداليات والأوسمة، دون الالتفات لبؤس وجوع وحزن وأمية وجودهم، وتشرد حامياتهم ووقاحة تعسفاتهم ضد الأهليين وكرهية المعاربة لهم.

وفي سنة 1920 تم أيضاً توحيد القيادة العسكرية في شخص بيرنكوير، بينما عُيِّن سيلفستري قائداً عسكرياً للميلية. وكانت العلاقات بين الرجلين سيئة للغاية، لأن الأول كان قليل الثقة في القدرة العسكرية لسيلفستري الذي يعود نجاحه في مهنته إلى كونه سفير ألفونسو XIII. وفي أكتوبر استولى العقيد كاسترو خيرونة Gastro Girona على الشاون، وهي مدينة مقدسة ذات سمعة دينية كبرى، وكان دخولها ممنوعاً على الأوربيين دائماً. وبعد ذلك بأيام تم احتلال قبائل بني يسف وبني شكار،

المستعمرة. وطرحت هذا السؤال؛ وهو أهم سؤال في اعتقادي؛ في إحدى التجمعات فأجاني بعض الرفاق: إنها الأهمية الثالثة، وأعطيني أحد الرفاق أطروحات لينين حول المسائل الوطنية والاستعمارية لقراءتها. وكانت هذه الأطروحات تتضمن بعض الالفاظ السياسية التي تستعصي على الفهم، لكن من فرط ما قرأت استطعت، في النهاية، فهمها جميعها تقريباً. وما أشد الثقة والوضوح والحماس والانفعال الذي زرعه في نفسي! لقد بكيت من شدة الفرح! وعلى أفراد في غرفتي صرخت، وكأني أتوجه لحشود من الجماهير: اعزائي المواطنين الشهداء، هذا هو ما نحتاجه، إنه طريق تحررنا!

وبعد كل هذا، وضعت ثقة كاملة في لينين وفي الأهمية الثالثة. ومنذئذ ساهمت أيضاً في المداولات وناقشت بحماسة. وبالرغم من أني كنت ما أزال افتقر لبعض الكلمات الفرنسية للتعبير عن مشاعري، فقد فندت بقوة الادعاءات التي كانت تهاجم لينين وكانت حجتي الوحيدة هي: إذا كنتم لا تدبّون الاستعمار ولا تساندون الشعب المستعمر، فما هو نوع الثورة التي تنوون الاقدام عليها؟».

وعلى صعيد آخر، كان من نتائج نهاية الحرب الأوروبية انهيار الملكية في تركيا وتولي الحكم من طرف الوطني كمال أتاتورك، وتخطيط الامبراطورية النمساوية المجرية، والاعتراف بالكيان الوطني لعدد من الشعوب المضطهدة والمحاولات الثورية الشيوعية في ألمانيا واهـر. وأدت الحرب بين القوى الامبريالية إلى قيام الامان بالتحريض السياسي في المناطق المستعمرة من طرف التحالف الوّدي. وخلال هذه المرحلة، عقد كل من الـيسوني وأب الزعيم الريفي اتصالات بمصالح المخابرات الألمانية. كل هذا؛ بالإضافة إلى وجود رجل ذي نظرة عصرية للنضال، يُسّح شعبه وينظم جيشاً ويوحد القبائل ويؤسس دولة مستقلة وبطال بالتمسك به إلى عصبة الأمم، ويُنشيء إدارة ويعين حكومة ويبيع أحاه للسفر عبر أوروبا لنيل دعم ومساندة الدوليتاريا الأوروبية؛ يجعل المأثرة الريفية من أهم صفحات تاريخ حركة التحرير الوطني للشعوب المستغلة من طرف الامبريالية.

التدخل الاجبي والذي سجلوا خلاله صفحات مليئة بالبطولات في وهدة الدّيب والكركث. وفي أعمال مثل الاستيلاء على الزورق المسح «الجنرال كونث» والروح الوصية التي رسحتها بشكل قوي حملات أمزيان والـيسوني ثانياً، ومن جهة ثالثة ينبغي إبراز المعسفات والحرائم التي كان الجيش الاستعماري يقترفها في المناطق القليلة التي كان يحتلها والتي كانت تعطي فكرة عما ستكون عليه الحماية. ومن جهة رابعة التضامن امثالي والشامل للشعب الاسباني الذي كان يُبين للـيفيين، أن غزو الـريف لا يحظى بالاجماع في اسبانيا، وأخيراً وليس آخراً، الضعف الفطيع للاستعمار الاسباني الذي كان يخسر في اليوم التالي الامتار القليلة التي ربحها بعد قتال شاق. وهكذا كانت الموصعية في سنة 1920 لا تختلف إلا قليلاً عما كانت عليه في 1912، وبالإضافة إلى هذه الأسباب، ثمة أسباب أخرى ذات طبيعة دولية عبرت الرضعية كلية.

لقد تمت ثورة أكتوبر في 1917، وأعلنت السلطة الجديدة العمالية - الفلاحية تضامتها مع جميع المضطهدين، وفضحت الامبريالية والاستعمار، وأطاحت بالرأسمالية، وأعطت الحرية لشعبين البولوني والفيلاندي اللذين كانا خاضعين للطام القيصري بالقوة. إنه من الصعب وصف معنى ذلك بالنسبة إلى المستعمرين؛ ولذلك نترك الكلمة لهوشي منه (Hochi Minh) ليقوم بذلك: «في تلك الآونة، كانت تجري نقاشات حادة داخل مختلف فروع الحزب الاشتراكي حول الاتجاه الذي يجب السير فيه: الاستمرار في الأهمية الثانية، تأسيس الأهمية الثانية والنصف أو الانخراط في الأهمية الثالثة، أهمية لينين. وكنت أوضح على حضور التجمعات مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع وأصغي إلى النقاشات بانتباه. وفي البداية لم أكن أدرك جيداً لماذا كانت النقاشات حادة إلى هذه الدرجة. هل يمكن مع الأهمية الثانية أو مع الثانية والنصف أو مع الثالثة القيام بالثورة؟ ولماذا النقاش؟ وفيما يتعلق بالأهمية الأولى ماذا كان مصرها؟».

إن أهم ما كنت أريد معرفته - وذلك بالضغط ما لم يكن يناقش في التجمعات. - هو ما هي الأهمية التي كانت لصالح الشعوب والبلدان

لقد كان أبه عبد الكريم مناهضاً للاحتلال المباشر للريف من طرف الجيوش الأوروبية. وبالرغم من ذلك، دفعه إدراكه للتفوق التقني للقوى الاستعمارية إلى إرسال أولاده إلى مدارس إسبانية. وبعد أن أنهى عبد الكريم تكوينه بعثه أبوه إلى فاس لاستكمال دراسته. ولما عاد إلى مليية عُين مساعداً لمندوبية الشؤون الأهلية، وفي سنة 1914 أسندت إليه مهمة رئاسة القضاء العربي في منطقة مليية، وبعد سنة، كان أول استاذ للغة البربرية في الأكاديمية العربية الجديدة التي أسسها غوميس خورذانة في مليية. ومنذ 1918، كان يعمل كصحفي ويدر القسم العربي للجريدة الاستعمارية لمليية «تلغراما ديل ريف». وحصل على لقب فارس لإزابيل الكاثوليكية سنة 1912، وقُلد وسام التقدير العسكري بالعلامة البيضاء وتوصل بنفس الوسام بالعلامة الحمراء ومنح معاشاً بقيمة 50 بسيطة بعد ذلك بسنة. وفي سنة 1915 تم اعتقاله واتهامه بالادلاء بتصريحات خطيرة وغير لائقة لرئيس مكتب الأهليين في الحسيمة؛ ويمكن تلخيصها فيما يلي: إنه يكره فرنسا وأنه معجب بألمانيا، ويتمنى أن يؤدي انتصار هذه الأخيرة إلى تغيير وجه المغرب واعطاء الاستقلال للريف غير المحتل. وإن حزب الشيايب التركي يعمل من أجل ثورة الاسلام ضد الحلفاء وأنه يتبنى هذه الافكار هو وأبوه». (مصالح استعلامات المراقبة الإسبانية). وفي المحاكمة، يوم 12 غشت 1917، أُدلى بتصريح شديد اللهجة ضد الامبريالية الأوروبية. وعبر صراحة أنه سيعارض كل محاولة إسبانية ترمي إلى توسيع رقعة الأراضي المحتلة، وأشار إلى أن أباه، قائد بني وزياغل، يعمل منذ الآن على خلق جو من الوحدة ومقاومة الاجانب بين قبائل الريف. وبعد أدانته بتهمة التحريض على قلب النظام سُجن عبد الكريم، وأدّت محاولة فاشلة للهروب إلى إصابته بكسر في الرجل ويجمع دائم على إثر ونة من إحدى يوفد السجن.

وبعد اطلاق سراحه سنة 1918، وخشية من تسليمه للفرنسيين رحل عن مليية إلى قرية أبيه أجدير في وسط الريف بالقرب من خليج الحسيمة. وبعث برسالة لأخيه الأصغر محمد، الذي كان يدرس في مدرسة المعادن بمدريد، يطلب منه العودة لمساعدته في تنظيم الثورة. وبعد وفاة أبيه، في شتمبر 1920، عُين قائداً على بني وزياغل.

لقد كان سيلفستري مثلهما لتقديم الدليل على «فحولة» جنرال سميير الملك الفرنسي XIII وقرر اجتياز نهر امقران صرّح: «إن هذا الرجل، عبد الكريم، بليد ولن آخذ مأخذ الجد تهديدات قائد بربري صغير لم يمر زمن طويل على عفوي عه. إن وقاحته تستحق عقاباً جديداً».

وفي 16 يوليوز، لم تتمكن كتيبة للتموين قادمة من أنوال من فتح طريقها إلى إغرين، ومرت في اليوم التالي غير أنها لم تعد لأنها حوصرت من طرف الريفيين. وأرسلت كتيبة للجدة من أنوال يوم 19 إلا أنها لم تستطع الوصول إلى الموقع المعاصر. ويحكى أحد الذين نجوا، أن الجنود المحاصرين في إغرين استنفدوا كل مدخراتهم وأن نقصان الماء أدى بهم إلى لُغق لاصراف المنتلة من الحجارة وإلى شرب البهون بالسكرو. ولما انتهى اليوم،

قاموا بمحاولة يائسة للافلات من المصيدة القاتلة التي وقعوا فيها، ولم ينجح في الالتحاق بجنود سيلفستري إلا 11 رجلاً ولم يبق منهم على قيد الحياة إلا رجلين بعد هذه المحنة.

وعاد الجنود إلى أنوال حيث لم يكن الـ 4000 مدافع إسباني قادرين إلا على وقف زحف المغاربة. وصوّت مجلس الضباط، الذي استدعي باستعجال ليلة 21 يوليو، لصالح الانسحاب العام. ولم توضع مخططات للقيام بتراجع منظم، وكان على القوات الإسبانية أن تخرج، بكل بساطة، بشكل مباغت وتحت أغلبية الضباط عن القيام بواجبها في حين أطلق سيلفستري رصاصة على صدغه. وتحول كل ذلك إلى سديم. وعندما انتشرت أنباء الهزيمة الإسبانية في أنوال، سارع آلاف الريفيين إلى الالتحام بعبد الكريم. وبسرعة فائقة، حمل الريف كله السلاح ضد الغزاة، كما أن أغلبية الجنود النظاميين المنتمين إلى المنطقة بدأوا يفرون من الجندية مما زاد من ارتباك وخوف الأسبانين. أما الجنود الذين سبق لهم معاملة الريفيين بطغيان فقد غمرهم الرعب من السقوط بين أيدي المقاتلين الريفيين لأنهم كانوا يعرفون قساوتهم. إنهم كانوا يقطعون يخصي الجنود ويضعونها في أفواههم لكي يختنقوا، ويستنزف دمه تحت الشمس. وادى اسحار سيلفستري، وجين الضباط الذين كانوا يترعون شعاراتهم، وانعدام أية أوامر ملموسة ومضبوطة إلى الشروع في هروب عام دون قتال وفي مسيرة طائشة. وكان الرعب يسري إلى المواقع التي يهرون منها فككت، على العموم، لتسحق بهم. وتم أسر عدة مئات من الجنود، لكن عدداً كبيراً قُصع رأسه أو ضُرب بالسكين حتى الموت أو أُعدم رمياً بالرصاص ببساطة. وحاول اختزال نافارو، وهو القائد الثاني بعد سيلفستري، خلال سبعة أيام إيقاف الاندحار؛ وأخيراً جمع في 29 يوليو 3000 من الماهربين للدفاع عن جبل أغرويت على بعد 70 كيلومتر من أنوال و30 كيلومتر من مليلية. وفي الثاني من غشت تم تحرير الناضور من طرف الريفيين وفي الثالث من نفس الشهر فتحو سلوان. وبعد ذلك بأيام حاصروا جبل أغرويت وعرضوا الاستسلام على المحاصرين، غير أن المبعوثين الريفيين للتفاوض مع الأسبانين تم اغتيالهم مما أدى إلى ذلك الموقع بئران المدفعية والبنادق يوم 9 غشت،

وفي نفس اليوم استسلم الموقع وأعدم العديد من المدافعين. وبعد تحرير كل الريف وصل الريفيون إلى حدود أبواب مليلية نفسها.

كان الرعب يسيطر على المدينة. وكان دخول عبد الكريم منتظراً من حين لآخر. ويصف خوان بيرنغور (Juan Berenguer) في قصته «مليلية المبتغاة» الجوّ [السائد في المدينة] قائلاً: «في صباح 23 يوليو من سنة 1921، كالاعتاد كان أحياء الشعائر الدينية يجري في كنيسة القلب المقدس للمسيح. وأدى الخوف، أكثر من الحياء والرحولة، ببعض إلى نشر خبر مفاده أن المغاربة يوحفون على المدينة وأنهم يستعدون للدخول إليها. وكانت بعض الدقائق بعد ذلك كافية لينتشر الخبر في كل أرجاء المدينة مما أدى إلى حركة لا تُنسى: في الأزقة جرى الناس طائشين طالبين ملجأً في القنعة القديمة، ووقع المرحوم على صحن الثكنات، وكان الناس يهربون ويصرحون في الشوارع وكأنّ المتمردين قد جاؤوا وفي غمرة هبوط الهمة كانت تشاهد مناظر عظيمة».

وفي 24 يوليو، وصل 4500 حدي، قادمين من ستة، بقيادة سان خورخو (San Jurjo) وعونساليس طبلس (Gonzalez Tablas) وفرانكو. وكتب هذا الأخير في «يوميات سرية»: «لم يتبق من القيادة العامة للمليية أي شيء. الجيش مهزوم والمدينة مفتوحة وصائشة وحسية الرعب، ولم يكن هناك أنصار عن كنيسته نافارو، فمن الضروري رفع معنويات الشعب وعطاؤه الثقة التي يفنقز إليها. ومن أجل هذا الغرض فإن كل الخيالات ستكون غير كافية».

غير أن عبد الكريم لم يحاول الدخول إلى المدينة. ولو فعل ذلك، فمن المؤكد أنه كان سيُحرر مليلية أيضاً. هلماذ لم يفعل ذلك؟ تعتقد أنه استهان بقدراته وبألف في تقدير القوات الأسبانية. لقد كانت المدينة تحت رحمة عسكرياً لأنه يسيطر على الكروكو. وعلى الصعيد المعنوي كان رجاله على استعداد للقيام بذلك في حين أن الأسبان كانوا يبحثون عن الدخلة التي مستغلهم إلى مائة؛ فضلاً عن ذلك كان متوقفاً على المستوى العددي بعد انتصاره الباهر. لكن، ربما اعتمد أن احتلال مربية سيكون له صدق دولي كبير

ومنذ اللحظة الأولى أعلن عن برنامجه: (1) تقوية نفوذ المخزن والسلطات الأهلية، (2) إقامة نظام الحماية بكل صغرها الخالص، (3) التفاوض مع الريسوني لتهديم المنطقة العربية، (4) التخفيض من النفقات وذلك بارجاع الجنود إلى الوطن بالقدر المناسب وتحويل الجيش من جيش اجباري إلى جيش متطوع والتقليل من القوات العسكرية القارة، (5) تهديم المنطقة الريفية واثاق الأسرى، (6) تنمية المصالح المادية والمعنوية في المنطقة إلى الحد الأقصى.

وكان هم الأول، فور وصوله إلى تطوان، هو التفاوض مع الريسوني؛ وكان هذا الهدف — كما نعلم — نظريا أكثر منه واقعا، وذلك نظرا للوضعية الصعبة التي يوجد فيها الريسوني نتيجة انتشار أفكار عبد الكريم في محيطه. ولا شك أن الريسوني اعتبر الاتفاقية المقترحة عليه مئة من السماء، وبعد شهرين من المباحثات وقع اتفاقاً في شتبر 1922. وتبعاً للسياسة الجديدة، أعيد تنظيم الحماية بناء على المرسوم الملكي الصادر في 16 شتبر، وأُحدثت لناحية مليلية عمالة الريف التي عُرضت على القائد الريفي؛ وكان ذلك يعني اعطاء الاستقلال الذاتي لعبد الكريم؛ غير أنه رفض ذلك وصالب بالاستقلال التام. استؤنفت المعارك واسفرت معركة تيزي عزة عن سقوط عدد كبير من القتلى، وأمام المقاومة الباسلة للمغاربة تم توقيف العمليات. وفي دجنبر سقطت حكومة سان شيس غيرة (Sanchez guerra) مما أدى إلى انصراف برنكويطي. وعين بيانويا (Villanueva) كمفوض سامر إلا أنه لم يتسلم مقاليد الأمور. وتم تعيين لويس سيلبلا (Luis Silvela) في 17 فبراير 1923. وفي نفس الوقت وصل إلى مليلية، على متن الناحرة «أنطونيو لوبيز»، الأسرى الأسبانيون الذين أطلق سراحهم عبد الكريم بعدما قبلت الحكومة الأسانية بالشروط الثلاثة التي فرضها [عبد الكريم] على المليونير الباسكي هراسيو إشبيري (Horacio Echevarrieta): (1) إطلاق سراح كل الريغيين المعتقلين؛ (2) أداء مليون بسيطة ثمنا للأضرار التي سببها الجنود؛ (3) أداء ثلاثة ملايين بسيطة كهدية. وفي الحقيقة، كان الريسوني وعبد الكريم هما اللذان يحكما كل شمال المغرب.

قد يدفع الدول الأوروبية إلى التحالف ضده. بيد أن هذا التخوف ليس له من معنى، لاسيما أن ما قام به من أجبار الأسبان على التراجع إلى حدود شاطئ البحر كان يكتسي نفس المدلول. وعلى كل حال، بقست مليلية في يد الاستعماريين بسبب انعدام القرار الريفي وليس نتيجة بسالة جيش مهزوم. وحصل الريغيون على أكثر من 20 ألف بندقية و400 رشاشة و129 مدفعا وعلى مستودعات الدخيرة والمؤن وعلى مليون رصاصة وعلى عدد كبير من السيارات والشاحنات والقاطرات وذلك نتيجة استيلائهم على أزيد من مائة موقع عسكري. وكانت هذه الهزيمة هي الأداة التي أعطت لعبد الكريم الامكانيات لتنظيم الجيش بعناد حربي لم يكن بإمكانه اقتناؤه، فصلاً عن ارتفاع معنويات انتصاره بعد هذا الانتصار والثقة في الظفر محدد.

وبدأ الهجوم الإسباني المضاد في شتبر، ووصل إلى جبل أعرويت في نهاية نفس الشهر. وحسب شهود عيان، كانت الاقاص تشبه مجزرة معطاة بالدم جاف والحث والبقايا المتفتنة للجنود الأسبان. وخلال الشتاء والربيع تم حشد الجنود في مليلية وسبتة وإطلاقاً منها تم الهجوم، في منتصف مايو 1922، على مقر قيادة الريسوني في تازروت لأن الانتصارات الريفية أدت إلى انتشار التحريض الوطني في منطقة جبال حيث أصبح المركز السياسي لريسوني يضعف أمام نفوذ عبد الكريم. وفي نفس الوقت قصفت بواخر حربية أجدير، وهاجمت البخرة الوحيدة التي يملكها الريغيون هذه البواخر ونجحت في اغراق عدد منها. وبعد ذلك بأيام، أغرق الريغيون باخرة «حوان دي خوانيس» في خليج الحسيمة. وفي 19 يوليوز، وافق المجلس الأعلى للقضاء العسكري على التقرير المؤقت الذي قدمته لجنة بيكاسو (PICASO) والمتعلق بتحديد المسؤوليات عن الكارثة؛ وتبى المجلس توصياتها والتي مفادها تقديم برنكويطي وسلفستري للمحاكمة — إذا كانا ما يزالان على قيد الحياة — ونافارو أيضاً إذا تم انتقاذه. واستقال المفوض السامي نتيجة لذلك.

وتفقد الجنرال برنكويطي (Burguete) مسؤولية القيادة في المغرب.

ووفق لمعاهدة (فرصاي) الواقعة بعد الحرب العظمى العانية.

نلك المعاهدة التي حططتها رؤساء دول عظيمة خاضت غمار الحرب وذاقت كآس الويل فلم يسعها في آخر الأمر إلا الاعتراف بالحق ومنح الشعوب حقوقها مهما كانت صغيرة.

رغما عن أن الساسة يقولون إن المعاهدات حبر على ورق وإن الحق للسيف فالحق أنه لا بد من انجار هذا المشروع وإلا فلا يزال العالم في الارتباك والخيرة والاضطراب الذي يهدد السلم العالمي.

إذ كل شعب يناضل عن حقه ويطالب بحريته. ولا غار عن إسبانيا إذا عاشت في وئام تام مع أريف بعد الاعتراف بحقوقه واستقلاله ومبادلة المصالح المشتركة، بل يكون لها حينئذ الانتصار والشرف ويكون في تاريخها نقطة يبصاء.

ومن جهتنا فإن الحكومة الريفية مستعدة بأن تنقضي بكل مسرة تعير خطة الحرب الاستعماري العدائية وترتخي بكل رغبة روال سوء التفاهم الذي كان منشوءه الخروج عن نقطة الاعتدال والتعصب المذموم وعدم التنصير والتأني والنظر في عواقب الأمور في وقت كانت الانفعالات النفسانية الحسنة منحدمة.

كما أن الحكومة الريفية تتأسف كل الأسف إذا تمادى الحزب الاستعماري الإسباني في التعدي وانتعاضم. تصوروا أنكم انتم المهاجمون في دياركم من أجنبي يريد السيطرة عليكم وامتلاك رقابكم، هل تكونوا من الخاضعين لذلك، الفاتح ولو أدعى من الحقوق ما أدعى ورغم، لا أحوال أنكم تدافعون حتى ينسائكم وكل هواتكم ولا ترضون بذلك الاستعباد والتاريخ يشهد لكم أنفسكم بذلك.

تصوروا كذلك الريف وكل رحاله يعتقدون اعتقادا متبنا ولا يرجعون عن هذا الاعتقاد حتى يرجع الحزب الاستعماري الإسباني عن سوء نيته أو حتى يموتون عن أحقرهم.

وبما أن عجز المغربية عن حكم أنفسهم بأنفسهم كان هو التبرير النظري لاقامة الحماية الأوروبية، فإن تأسيس عبد الكريم لجمهورية الريف قد مرغ في الوحد الحجاج الاستعمارية. وفي رسالة موجهة إلى الحكومة الإسبانية بتاريخ 24 يوليوز 1923، يقول محمد أزرقان، وزير الشؤون الخارجية للجمهورية الريفية: «إن الحكومة الريفية التي أسست على قواعد عصرية وقوانين مدنية، تعتبر نفسها مستقلة سياسيا واقتصاديا أملة أن تعيش حرة كما عاشت قرونا وكما تعيش جميع الشعوب. وترى لنفسها أحقية امتلاك ترابها قبل كل دولة، وتعد الحرب الاستعماري متعديا عاصيا لاحق له فيما يزعمه من نشر الحماية على الريف، والحالة أن الريف لم يعترف بها ولن يعترف بها ويرفضها رفضا، ويلتزم أن يحكم نفسه نفسه ويسعى في نوال حقوقه الشرعية التي لا نزاع فيها، ويدافع عن استقلاله التام بكل اوسائل الصعبة»

ويحتج أمام الأمة الإسبانية وعقلائها الذين يعتقد فيهم أنهم يعرفون بأهمية مطالبات العقوبة الشرعية قبل أن يحازف الحزب الاستعماري الإسباني بدماء ابناء شعبه في سبيل مطامع شخصية وأداء حقوق موهومة.

طالما أن الحزب الاستعماري الإسباني يخدم مصالح الغير ولو أنه يحاسب نفسه وضميره لوجد نفسه غالط وأنه عما قريب يرى أنه قد تسبب لأمنه في الخسارة بسبب تظاوله إلى الاستعمار والاستعمار لا يوافق مصلحته، فالواجب يقضي عليه أن يتلافى الأمر قبل أن يعسر استدراكه.

وتحتج الحكومة الريفية على كل عمل عدائي يصدر عن الحزب الاستعماري الإسباني أمام اعلم المتحدن وأمام الإسبانية وتبرأ من كل مسؤولية وعهدة فيما عساه أن يقع من اتلاف الأموال والأرواح.

هذا ولما نتعجب أيضا كيف أنكم تحاهتم أن من مصالح إسبانيا نفسها مسألة الريف والاعتراف بحقوقه واستقلاله والحفاظة على حسن علائق الجوار وتحتن عرى الاتحاد مع لشعب اليفي عوضا عن التعدي عليه واهسته وهضم حقوقه الانسانية والشرعية طبقا لناموس العمران،

| | |
|-------------------------|---|
| الرئيس : | عبد الكريم الخطاطي. |
| نائب الرئيس : | السي أمحمد الخطاطي |
| وزير الخارجية والبحرية: | محمد أزرقان |
| وزير الحرب : | السي عبد السلام بن الحاج محمد البوعباشي |
| وزير الاقتصاد : | السي عبد اسلام الخطاطي |
| وزير الداخلية : | اليزيد بن الحاج حمو |
| وزير العدل : | بن علي بولحية |
| وزير الأحباس : | أحمد أكرود |
| السكرتارية : | عبد الهادي بن محمد، ومحمد البوفراحي. |
| ديوان الصحافة : | حنان بن عبد العزيز، عبد القادر الفاسي. |
| السفير في لندن : | السي عبد الكريم بن الحاج |
| السفير في باريس : | حدو بن حمو |

وإن هزيمة الجيش الإسباني المدهش (8000 جندي إسباني قتل حسب بيانات رسمية أدلى بها فيكونت إيزا في تدخله أمام الكورطيس يوم 25 أكتوبر 1921، (وفي الحقيقة فقد كان عدد القتلى يتجاوز ذلك بعدة آلاف) أدت إلى بلوغ الاضطرابات المعادية للاستعمار ذروتها. وكان رد فعل إسبانيا هو عدم تصديق النبأ. وفي البداية، كانت الصحافة تجد صعوبات لمتابعة سير المعارك وتقدير مدى الفاجعة. وكان الجميع يتساءل: من أين خرج هذا العدد المسلح من البربر؟ [لقد خرجوا] من القديس يعقوب الرسول. وفي محاولة يائسة لتوقيف موجة الاحتجاجات التي تهاطل عليها، فرضت الحكومة رقابة صارمة. وفورت محاصرة جبل أغرويت معركة نومانسيا ثانية؛ لكن بعد سقوط [الجبل بيد الريميين] في 9 غشت، لم يكن بإمكان أي شيء ولا أي أحد إخفاء ضخامة النكبة.

وأصبحت صرخات السخط مُصنَّمة. وبعد اثنتي عشرة سنة من الحرب ضد عدو من الجلي أنه اضعف من جيوش الاحتلال، اتضح أن هذه الأخيرة لا تملك من الجيش إلا البذلة العسكرية. وبدأت تفاصيل

لا يسعني إلا أن أصرح لكم تصريحاً نهائياً أن الريف لا يُبدل ولا يغير خطته التي صار عليها الوفد، وهو أنه لا يفتح أي مخاضة في شأن الصلح إلا على أساس اعتراف إسبانيا باستقلال الريف.

بعد الانتصارات التي حققها خلال صيف 1921 مباشرة، فكر عبد الكريم في عقد مؤتمر يُستدعى له ممثلو القبائل تدرس فيه الوضعية وكذا إقامة نظام دستوري لقيادة حكومة المقاومة. واستقبلت الفكرة بحماس، وعقد أول اجتماع في خريف 1921. وفي الخطاب الافتتاحي، قدم عبد الكريم عرضاً عن العلاقات التاريخية بين المغرب وإسبانيا وفضح فيه جرائم الاستعمار وكشف القناع عن الأعراض التي يستهدفها من وراء مهزلة الحماية. وأول قرار اتخذته الاجتماع، هو إعلان استقلال البلاد وتكوين جمهورية يرأسها محمد بن عبد الكريم باعتباره قائد حرب التحرير. وأنشئ مجلس عام، يحمل اسم الجمعية الوطنية، يتكون من ممثلي الجماعات والقبايل والشيوخ والقواد ويعتبر أعلى سلطة. واتفق على تحديد يوم 15 محرم 1340 الموافق 1921.9.18 يوماً للاستقلال.

وعقدت الجمعية الوطنية عدة اجتماعات، وصادقت على دستور للبلاد أساسه مبدأ سيادة الشعب بحيث لم يفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية بل خولها للجمعية وحل من رئيس الجمعية رئيساً للجمهورية. وكان أعضاء الحكومة مسؤولين أمام الرئيس الذي كان وحده يُحاسب عن قيامه بمهامه من طرف الجمعية الوطنية.

وفيما بعد، خُزِرَ الميثاق الوطني التالي: (1) عدم الاعتراف بأية معاهدة تمس حقوق البلاد وبالحصوص معاهدة 1912، (2) حلاء الاسانيين عن المنطقة الريفية؛ (3) الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الجمهورية الريفية؛ (4) أداء إسبانيا تعويضا للريفيين عن الخسائر التي تكبدوها من جراء الاحتلال خلال الاحدى عشرة سنة الماضية، وأداء غداة الأسرى الذين سقطوا بين أيديهم؛ (5) إقامة علاقات صداقة مع كل الدول دون تمييز؛ (6) المطالبة بالانضمام إلى عصبة الأمم.

وكانت الحكومة الريفية الأولى والوحيدة مكونة على الشكل التالي:

أنفسهم يقومون بتشييه، خاص بمختلف الممارسات الاستعمارية، مفاده ان «انجلترا تصيب الهدف وتؤدي الثمن وفرنسا تصيب الهدف ولا تؤدي الثمن في حين أن اسبانيا تؤدي الثمن ولا تصيب الهدف».

وفي نهاية أكتوبر، أشار النائب الاشتراكي إنداليسيو بريغزو إلى المسؤولية المباشرة والشخصية لأفوسو XIII. وبدأ يجري ذكر البرقية الشهيرة، وبسرعة تلوّلت عدة صيغ لتلك البرقية، وقيل إن النص الأصلي هو «فلتعض فحولتك!» بدل «مرحى يا أيها الرجال!». وكان يُشاع أن أول رد فعل للملك حال تعرفه على العدد الهائل للقتلى كان هو التعليق، أن «لحم الدجاج رخيص».

ودعا الحرب الشيوعي، الحديث العهد بالتأسيس، إلى شن إضراب عام تضامنا مع استقلال المغرب. ونظمت الكفدرالية الوطنية للشغالين والاتحاد العم لشغالين مظاهرات ومهرجانات ضد الحرب. وعشت الأحزاب الكتلاية، «العمل الكطلاني» و«الوطن الكطلاني»، برسائل رسمية للتضامن مع عبد الكريم: «أمام عزمكم الصارم للدفاع عن الوطن المغربي المهدد من طرف اسبانيا، فإن أبناء كطالونيا يبعثون لكم بتحية عطف. وليست هذه هي المرة الأولى التي عبرت فيها الأرض الكطلانية عن تنديدها بغزو المغرب: تذكروا ثورة يوليو 1909. واليوم فإن كطالونيا تندد أيضا بالاساليب الحرية البربرية التي يستعملها الجيش الاسباني. لكم منا تحية وتشجيعاً». ووجهت لجنة من أرباب العائلات نداءً إلى الحكومة تُطالب فيه بعدم ارسال انائها إلى الموت. وطالبت لجنة من النساء الاسبانيات بالتحلي عن المغرب. ونظم أتيسو مدريد سلسلة من المحاضرات حول المسؤوليات. واكد برغامين (Bergamin)، وزير الاقتصاد، أن خزانة الدولة لا يمكنها أن تتحمل نفقات المغرب. ونشر كامبو (CAMBO) مقالة في «الايو» يقول فيها إنه من اللازم التخلي عن تلك الاراضي. وحتى الجنرال ميكل برمودي ريبيرا نفسه عاد للتأكيد على اطروحاته، تلك التي عرّضه في 1917 أمام الاكاديمية الاسبانية لامريكه قاديس عندما تحدث في مجلس الشيوخ، في 25 نوفمبر 1921، وأكد

«المآثر» العسكرية تُعرف شيئاً فشيئاً. كان سيلفستري لا يشاور أركان حربه لأنه كان يعتبر أن «فحولته» يعرض كل تخطيط. وطائرات القاعدة الجوية بسلوان لم تُقلع لأن الطيارين يقضون عادة النهار في مليلية. وفي 1920 قدم أحد عشر نقيباً استقالتهم لتفادي اكتشاف احتلاساتهم حيث سبق لهم القيام بمهمة أمناء صندوق وحداتهم. لقد اختفى مليون من البسيطة بين ايدي هؤلاء الصباط بإدارة التموين والامداد بالعرائش. كما أن المائة مدفع التي سقطت بيد عيد الكرم تم التخلي عنها دون استعمالها. وميزانية حليفة تطوان تبلغ ثمانية ميون ونصف من البسيطة، إما لا تقل عن ميزانية العائلة الملكية الاسبانية إلا بنصف مليون. ونتيجة لا مبالاة القيادة، تم ارسال وحدات نظامية لتحارب ضد قائلها الأصلية. ولا حرار لحاحات لامعة إلى هذا الحد، يقول لنا الدليل العسكري السنوي أن الجيش يضم 446 حنرالا عملاً وأن الميزانية العسكرية تلتهم 51% من اعتمادات الدولة، وأن باب النفقات المخصصة للمغرب تضاعف ثلاث مرات ونصف بين 1913 و1921 إذ ارتفع من 63.500.000 إلى أكثر من 211.000.000 بسيطة. وعلى ما يبدو قد أسيء استعمال كل هذا المال.

وفي شهر غشت لاندات، كونت لجنة يرأسها الجنرال بيكسو، هدفها القيام بتحقيق شامل ورسمي حول اسباب الكفة وحول المسؤولين عنها. وعاد بيرنغور — الذي كان قد استقال — إلى قبول منصبه شريطة أن يُضمن له الحصانة التامة ضد كل التحقيقات بما فيها تحريات لجنة بيكاسو. وأمر الفوسو XIII بعدم تفتيش الاوراق الخاصة بالمفوض اسامي. وعدم نقد الكيفية التي مارس بها قيادته. واستأف الكوريسيس جلساته يوم 20 أكتوبر، وحلال عدة أيام كان مسرحاً لحكمة صارمة للاستعمار الاسباني. وتنافس نواب جميع الاحزاب تقريرا في فصيح الاستعمار، بل إن الملكيين المحافظين اتفقوا في أحكامهم مع الاشتراكيين. وأشار الجميع إلى أن فرنسا تراف 95% من الأراضي المغربية، وعدد السكان الذين تراقبهم يفوق خمس مرات عدد السكان الذين تراقبهم اسبانيا، وتحل مشاكلها خمسين ألف جندي فرنسي، في حين أن اسبانيا، وبأكثر من مائة ألف جندي، تحصد المهرية تلو المهرية. وكان الاستعماريون

مع التربة الحارمة لبوغ نهر النكور وخليج الحسيمة. وتمخض عن ذلك، في المرحلة الأولى، الاحتلال السريع الزوال لجبل أيران بدون هيبة وبدون وسائل ملائمة، وشكّل ذلك مقدمة الكارثة التي ستحدث في تلك المنطقة.

ويواصل التقرير متسائلاً عن السياسة التي نهجها جيش الاحتلال: «يبدو أن المهمة السياسية كان لابد لها أن تعتمد على الاجتذاب والحماية والعدل والنظام والاستبدال التدريجي للسلطات الأوروبية ذات الطابع العسكري بسلطات أهلية ذات طابع مدني. هل تمت مزاولة هذه المهمة كما يجب؟ يمكن التأكيد أن ذلك لم يتم. إن اختيار ضباط الشرطة كان وما يزال ضعيفاً في الواقع، وغير مناسب لمثل هذا الهدف. إنه لا يكفي للقيام بهذه الوظائف الصعبة التماسها وثبت القدرة المادية على مزاولة، بل من الضروري معرفة لغة وسوسولوجيا لاسد، والتوفر على معلومات تاريخية وقانونية».

وبعد ذلك، يفضح التقرير الوضعية المادية للجيش: «إن قطعاً من المدفعية توجد في وضع غير مناسب، ومواقعها تتنافى مع أبسط مبادئ استعمال هذا السلاح [...] قطع مدافع الجبال استعملت طيلة أكثر من 11 سنة [...] وكان تصميم رسم الصرق والسبل يتم في أسوأ ظروف الرسم [...] والحالة المادية لمصلحة السيارات سيئة [...] ومصالحة القيادة العليا تكاد تكون متعذرة [...] ووضع الطيران مزرية حقاً».

ويثير التقرير الانتباه بعد ذلك، إلى تمركز القيادة: «لقد نتج عن ذلك أن العناصر ذات الرتب الدنيا بدءاً برؤساء الوحدات وانصاع، ووصولاً إلى رؤساء أصغر الوحدات فقدوا عادة حل المشاكل بأنفسهم. لقد تعروا على الاستشارة في كل شادة وفادة وعلى عدم القيام بأي عمل إلا بناء على الأوامر التي يتلقونها دون أن يؤخذ شرفهم واهتمامهم بعين الاعتبار. ولما دعت ضرورة الحالة الخطرة مواجهة الظروف وانعدام الأوامر، فإن الذين استطاعوا ذلك قليلون وقيلون جداً».

ويختتم التقرير بالخلاصات التالية: «إن مجموع هذه الأخطاء السياسية

«من وجهة نظر استراتيجية، أعتبر أن ارسال جندي إسباني آخر إلى ما وراء المضيق سيكون مضرراً لإسبانيا».

أنهت لجنة بيكاسو تحرياتها العسكرية يوم 18 أبريل 1922. واكتفت اللجنة بدراسة العمليات العسكرية التي أدت إلى النكسة من الناحية التقنية متفادية الجوانب السياسية للمشاكل. والخلاصة الرئيسية التي خرجت بها، هي أن ضباط الجيش كانوا عاجزين عن مواجهة الصعوبات التي طرحتها حملة المغرب. وأشارت إلى ضرورة محاكمة 39 ضابطاً من ضمنهم بيرنكور نفسه. وبما أن هذا التقرير لم يُنشر، فمن المفيد التوقف عنده بعض الشيء:

يبدأ التقرير بالإشارة إلى الصعوبات التي تعرضت لها اللجنة قائلاً: «إن أول حدث غريب، ولكونه ليس من صلاحيات السلطة التنفيذية، — والتي يجب التسليم بها — هي الدهشة هو القيود التي فرضت على قاضي التحقيق بمقتضى الأوامر الملكية الصادرة في 21 غشت 1921. وهذه القيود لم تكن فقط دون استخلاص كل النتائج التي تقود إليها الأحداث، بل أدت قسراً إلى تقليل متانة وقوة الملخص الدقيق الذي أنجزه القاضي المذكور حول وضعية الأحداث. ولما وُحد القاضي في الوضع الصعب الذي تخلفه الأوامر الملكية، كان يحل المشاكل عسكرياً وبجراحة مُمتثلاً للأوامر التي يتلقاها. غير أنه كان يُدون هذه الأوامر ويُضيفها إلى تحقيقه لتبرير تصرفه ولتبيد أن الخلاصات التي قد ينتهي إليها، لا يمكنها أن تكون هي الخلاصات التي يمكن استنتاجها أو أمكن الإدلاء بكل المعلومات التي تُفيد التحقيق، والتي هي ضرورية لإصدار حكم كامل على الأحداث».

ويواصل التقرير مشيراً إلى نتائج «استراتيجية» الجنرال سيلفستري: «إن القائد العام للمنطقة تجاوز الحد المعقول لامكانيات نشاطه. ودون التقدير الدقيق للظروف السياسية الإقليمية، ابتعد، على ما يبدو، عن أهداف القيادة العليا التي لم يكن تكثيف العمليات في ناحية مليلية يندرج ضمن مشاريعها آنذاك؛ وعامر في الاجتياح الخطر لقليلة تسمان على الضفة اليسرى لنهر أمقران، وهو الحد التقديري للمنطقة الخاصة لفوذنا آنذاك،

والامداد هرنانديس (Hernandez) السكرتير الخاص للجنترال سيلفستري. وتحديد، إذا أمكن، تاريخ وقوع ذلك والشخص الذي يمكنه القيام بمثل هذا العمل».

وفي 9 يوليو، صادق المجلس الأعلى للقضاء العسكري على التقرير المؤقت وتبني توصياته مما أدى بيرنغور إلى تقديم استقالته كمفوض سامر. وفي 21 يوليو، تم تعيين لجنة خاصة من ايكورطيس، تتكون من 11 من المحافظين و 10 من الليبراليين، لدراسة تقرير بيكاسو ولتتكلف بالتحقيق في تورط المسؤولين السياسيين في كارثة أنوال. وفي 3 أكتوبر 1922 كانت المهم قد وجهت لسبع وسعين صابغا - من بينهم تسعة فقط يحتلون مناصب مسؤولية - لعدم قيامهم بواجبهم. إلا أن هذه المحاولة نبهت عن اكاش ضحية لم ترض الرأي العام. وصالت أحزاب اليسار باحراء تحقيق شامل حول تدخل الملك.

وكان جواب الفونسو XIII على ذلك، غير ماهرة، أن على ضباط الجيش الإسباني أن يقلدوا روح الوحدة التي يتحلل بها الجيش الألماني الذي حافظ على انسجامه بعد هزيمة حطرة. وذكر بقسم الاحلاص للعاهل، وأكد أن ليس هم ما يخشونه ماداموا ملتزمين حول العرش.

وفي صيف 1923، رفضت مجموعة من المصلين الجدد الاخراج من مياء مالقة (MALAGA) وتمردوا واعتالوا رقيهم. وبسرعة تم الحكم على متزعم هذا التمرد الصغير، ورتبته عريف، بالاعدام، غير أن تنفيذ الحكم لم يتم بسبب الحملة الشعبية المساندة لموقفه. ولم يكن للحكومة بد من توقيف كل عمليات ارسال الجنود إلى انغرب، لأن لتحرير المعادي للاستعمار يؤثر على الجنود. ولم يكن بإمكان الجنود تلامي محاولة فهم لماذا يجب عليهم الذهاب إلى إفريقيا؛ ولماذا عليهم أن يحاطروا بحياتهم. قد جعلوا مهم جنودا في العشرين لأن سنهم عشرين سنة، ويريدون ارساهم إلى إفريقيا لقتل المعارضة. لماذا يجب عينا «تدنيهم» إن كانوا لا يرغبون في التمدن؟ هل لنقفهم نحن؟ إننا لا نعرف لا القراءة ولا الكتابة. قرأنا ليست فيها مدارس، نأمن ثيابنا ملبوسة ونأكل البصلة وكسرة من الخبز جاف.

العسكرية الوطنية، وربما الأخلاقية، قلل بدون شك من قوة القيادة وكان يضعف أواصر الانضباط بشكل أدى إلى أنها [القيادة] لم تستطع امتلاك القوة اللازمة في الوقت المناسب لتلافي التشتت والفرع والنتيجة المترتبة عن ذلك والتي سميت، بشكل مندل غير أنه دال، انهيار قيادة مليلية.

م يكن بإمكان القيادة أن تصنع الثقة في المرؤوسين ولا هؤلاء في القيادة. وإن البسلة والخلاف بين كلا السلطتين، بين بيرنغور وسيلفستري، واضح إذن، وإن جهل كليهما للوضع الحقيقية مطلق.

إن القائد العام، الذي كان يخطط حط عشواء في البداية، قد فتح عينه على الواقع في الأخير، غير أنه لم يفنحها بما فيه الكفاية بما أنه لم يقف على تفاصيل الأمور ويمكن افراض أنه لم يتصور حتى على مستوى تفكيره، مقدار وملاءمة التعزيزات التي يطلبها. أما المفوض السامي فقد عمادى في تخطئه حتى النهاية كما تدل على ذلك آخر برقية مدونة. هذه البرقية التي بعث درحة من الفظاظلة، أي حد أنه لا يمكن القول هل يتعلق الأمر بوسواس استحوذ على القيادة أو بعدم ادراك مطلق للوضع.

لقد نشوش فكر القيادة إلى حد أن ذلك كان هو السبب في كل ما وقع منذئذ، أكثر مما كانت مجهودات العدو. ونعتقد أنه تشتت لم يسبق له مثيل، بل أكثر من ذلك لا يمكنه أن يتكرر في التاريخ العسكري.

وعلى عجل، يقع التخلي عن الموقع بكل عناصره بدون توجيهات ودون معرفة لا مخططة ولا الانحاء، وبدون رؤساء يضطرب الجود ويرتكون. وعندما يهاجمهم العدو، لا تكون لهم أية فكرة واضحة إلا النحاة فردياً بالمهروب الخزي من طرف البعض، وغير المفسر من طرف البعض الآخر. واخزون من طرفهم جميعا. وأصبحت مجهودات التي قام بها البعض لا يقاف هذا الانهيار الجسيدي الذي طغى إلى هذا الحد، بشكل لم يسبق تصميحه، غير مجدية».

وفي ملتصق ملحق بالتقرير، تطلب لجنة بيكاسو أن يتم التحقيق «في الشكل والكيفية التي تم بها نزاع المزللاج عن مكتب رئيس إدارة التموين

بشتعل من شروق الشمس إلى غروبها ونموت جوعاً وفقراً. رب العمل ينهنا وإذا اشتكينا فإن الحرس المدني يتكنا ضرباً. ماذا سنعلم للريفيين ونحن يؤساء مثلهم؟

إن الانقلاب الذي قام به ميمودي ريبيرا في شتنبر 1923 وضع حداً لهذه التعليقات ولستين من الاحتجاج الشعبي، كما أنه حال دون نشر ومناقشة تقرير بيكاسو في البرلمان، وكذلك الخلاصات السياسية التي وصلت إليها اللجنة البرلمانية الخاصة. هذه الخلاصات التي لا تكشف فقط المدى الحقيقي للكارثة، وإنما أيضاً المسؤولية الواضحة والملموسة للملك الفونسو XIII.

كان لبضال عبد الكريم ضد الاستعمار الإسباني صدى عالمي هائل. وكتبت الجريدة البريطانية «مورنين بوسط» «ليست هناك حرج تبت أن وراء الصراع القائم حالياً بين المغاربة والقوات الفرنسية - الإسبانية دافع ديني. إن الشعور بالكرامة الموصية هو الذي يخفق به قلب عبد الكريم. وهذا البضال ليس إلا أحد مظاهر مبدأ تقرير مصير الشعوب الذي أحسن وصفه السيد لنسين عندما قال إن ذلك المبدأ جملة مشحونة بالديناميكية».

وفي باريس طاب جاك دوريو (Jacques Doriot)، أحد قادة الحرب الشيوعية الفرنسي، في مجلس النواب بالاعتراف باستقلال المغرب وبتحلي الفرنسيين عن المغرب. وتوالى الاضرابات والمظاهرات والمهرجانات ضد القمع وضد «حرب المصرفيين والرأسماليين» ومن أجل «الاعتراف بجمهورية الريف المستقلة» و«الجللاء عن المغرب وعن كل المستعمرات». ولم تتوقف لومانيي عن التمديد ب«قتيل شعب يكافح من أجل استقلاله» وعن حدث لجمود على «التأحي» مع القتالين الريفيين. وكانت النداءات التي تقول: «يا أيها البروليتاريون الفرنسيون والريفيون اتحدوا ضد الرأسماليين» و«تأخوا مع أشوار المغاربة لطرد الامبرياليين» دائمة على صفحات لومانيي. ونقول إحدى افتتاحيات فبراير 1925: «إن ما يقوم به جيشنا لهُو سلب واغتيال. وإن جهاز العسكري في المغرب من أقطع أنظمة الديكتاتورية والقهر الموجودة في العالم»

«وبصرح نائب شيوعي آخر. إسأ، نقولها عالياً وبافتخار، لبضال

ضد احتلال المغرب لأنه ضد مصالح العمال الفرنسيين، ولأن الفلاح الفرنسي لا يرغب في العيش من استغلال إخوانه العرب. إن عبد الكريم يناضل اليوم من أجل السلم، إنه يريد السلم. وأعلن باسم الحزب الشيوعي أن نحن الذين نعترف بحق العمال الفرنسيين في الانتفاض، نعترف أيضاً للاهليين بالحق في الثورة ضد مستعمرهم».

وحوالي نوفمبر 1925 تم اعتقال 105 مناضلين شيوعيين لمعارضتهم لحرب المغرب. وفي يونيو من نفس السنة حرر باريس نداءاً للعمال المكركين وطرح فيه هذا الخيار: هل تعارض الحرب، نعم أم لا؟ ووقع النداء من طرف محري «كلارتي» والمجموعة السريالية ومجموعة الفلسفة المكونة من الفلاسفة الماركسيين ومن طرف مجموع 106 كُتّاب يوجد من بينهم رولان وديهاميل ولوفير وبوليتزر وأراغون وإلوار وسادون وفايان كوتيري وفريدمان الخ... وكتب لويس أراغون في «الجبهة الحمراء» يقول:

اسمعوا أين المغاربة المقتولين
من طرف طياري الجمهورية الثالثة

وخصص نكويان أي كوك، الذي سيصبح هوشي منه في المستقبل، عدة مقالات لبضال الوطني الريفي في مجلة «المبوذ Le Paria». منير شعوب المستعمرات. التي كان يديرها

وبعث مؤتمر العمال الوطنيين المغاربة والنونسيين والحرثيين المعقد في باريس في سنة 1924 إلى عبد الكريم بالبرقية التالية: «إن العمال الشمال أفريقيين، تاحية باريس، مجتمعين في مؤتمرهم الأول في هذا اليوم التاريخي، يوم 7 دجبر 1924، يهنئون إخوانهم المغاربة وفائدهم لبطل عبد الكريم على انتصارهم على الاستعمار الإسباني ويعلمون عن تصانهم معهم في كل ما يمكن أن يقود إلى تحرير بلادهم ويهنئون معهم: عاش استقلال شعوب المضطهدة، والموت للاستعمار العالمي».

وفي 29 نوفمبر من نفس السنة نشرت الجريدة الانجليزية «السترد لندن نيو» صوراً لطائرات الأسبانية وهي تطير على عو منخفض

الطيران على الطريقة الاسبانية على حد تعبير الريفيين — وتقي بقنابل البنزين على القرى.

وفي دحبر، وجوابا على استدعاء، وجهته له مجموعة من الطلبة الحاميين من بوموس أريس تطلب منه القدوم إلى الأرجنتين، رد عبد الكريم برسالة موجهة لكل جمهوريات أمريكا اللاتينية مذكرا بالذكرى المئوية لمعركة أياكوشو التي هزم فيها الجنرال سوكرا الاسبانيين في البيرو: «إن شعب المغرب البطل يكافح الآن من أجل نفس المثل العليا التي طالب بها ميراندا وبوليفار وسان مرتين. إن الخصال التي نتحل بها نمتعا من قبول أية تبعية لأية دولة أوروبية. إننا نقدم حياتنا اليوم على مذبح حريتنا الوطنية».

وفي نفس التاريخ، بعث للوطنيين الصينيين برسالة تقول: «انتم في الشرق الأقصى ونحن في الغرب الأقصى نكافح معا ضد إمبريالية تستعبد شعوبنا». عندما استولى بريمودي ريبيرا على السلطة، وعد بحل المسألة المغربية بسرعة، وبشكل معقول ومُشرف؛ وعين كمفوض سامر حديد الجنرال أيزورو الذي عقد كأغلبية سابقه — مؤتمرا مع الريسوني في شهر أكتوبر بسيدي موسى، ووصل إلى اتفاق يسمح بنقل الجنود إلى القطاع الشرقي، ويحمّل لريسوني مسؤولية الحفاظ على النظام والهدوء في جباله. غير أن ذلك لم يكن إلا وهما خادعا. أولا، لأن الريسوني فقد جزءا كبيرا من سلطته وقد اصم أحمد اخريرو وهو من أحسن مقاتليه، إلى صفوف عبد الكريم، وفضلا عن ذلك كان الريسوني ما يزال محلصا لسياسته القائمة على مراوغة الاسبانيين.

في بداية نوفمبر، شرع بريمودي ريبيرا في حشد وحدات [الجيش] الاحتياطي في المدن الساحلية أليكنط وأليريا. وفي الايام الأولى من شهر مارس 1924 نصاعد الضغط الريفي على قطاع مليلية وهو حرم الموقع الاممي في تيزي غرا. وفي نفس الوقت انضمت القبائل، الواقعة في المربع ما بين نهر تطوان وعياشة ووادلو والطريق بين تطوان والشاون، إلى الكفاح وبادت القوات الاسبانية عن آخرها في كل تلك المنطقة. وقبائل جباله

وغمارة هذه، هي القبائل التي كانت توافق دائما على قيادة الريسوني لها، انضمت دفعة واحدة وعلى رأسها اخريرو إلى عبد الكريم. وجاء ذلك ليعطي مدأ ووضوحا أكبر لحركة التحرير الوطني، التي لم يُعد من الممكن حصرها على الريف. وفي نفس الوقت أعطى للحرب [التحررية] قوة مادية ومعنوية أدت إلى الهزيمة على جميع الجبهات الاسبانية، وبسط المغاربة نفوذهم من العندق إلى العرائش وقطعوا الطريق بين طنجة وتطوان وحاصروا الشاون. وفي بداية يوليو، بلغ الهجوم أبعادا خطيرة إذ كانت تقريبا جميع المواقع الاسبانية الموجودة في الجبال التي تحيط بالمدينة محاصرة. وكانت قوات الاحتلال عاجزة عن استعادة المبادرة بالرغم من أن القوة الحوية كانت تتقم بقصف ورش مجموعة من القرى، وتقتل مئات النساء والأطفال العرب، في المناطق التي يُسيطر عليها الوطنيون.

وعقد الديكتاتور مباحثات سرية مع الزعيم الريفي، واقترح هرسبو اشيئارنابا على السي محمد بن محمادي معاهدة سلام تمنح بموجبها اسبانيا الاستقلال الدائى للريفيين في المنطقة التي يرقبونها. ورفض عبد الكريم مثل هذا العرض «السخي» واقترح من جهته إقرار السلام مقابل خمسة شروط هي: (1) الاعتراف باستقلال الريف. (2) أداء اسبانيا تعويض قدره 20 مليون بسيطة. (3) أن تسم اسبانيا لحكومة الريف 15 طائرة و 120 سرية مدفعية للجبال. (4) ان يتم جلاء الاسبانيين عن المغرب. (5) عند قبول اسبانيا لهذه النقاط ستتم دراسة مسألة السلم وتبادل الأسرى.

وفي نفس التاريخ أدلى بريمودي ريبيرا للصحفي الانجليزي ويب ميلر بهذه الاسرار: «لقد هُزمتا عبد الكريم. إنه يحظى بالفوائد الكبرى لأرض [المعركة] ويستفيد من تعصب أنصاره. في حين أن جنودنا منهكون بحرب دامت عدة سنوات. إنهم لا يدركون سبب ضرورة الكفاح والموت من أجل بقعة من الأرض ليست لها أية قيمة. وأنا شخصيا من مؤيدي الانسحاب التام من افريقي، والسماح لعدد الكرم بوضع اليد على ممتلكاته. لقد صرفنا ملايين لا تُحصى من البسيطة في هذا المشروع، دون أن نتسلم أبدا ستيما واحدا. مات عشرات آلاف الرجال من أجل أرض غير صالحة

ولسوء الحظ، ليس الأمر كذلك، لأن حيرة مريضة تسيطر على نفوسنا». وواصل القول بأن سياسة الجيش يجب أن تكون سياسة تلافٍ كوارث كبرى، وأن السبيل الوحيد بالنسبة إلى الوحدات الصدامية هو التقدم. واحتتم حديثه على الشكل التالي: «سبدي الرئيس، إن هذه الأرض التي نطأها هي أرض إسبانية، لأن اكتسابها قد كلف أغلى ثمن ودفعنا أغلى العملات لتسديده ألاً وهو الدم الإسباني الذي أريق».

وعندما انتهى كانت هتافات عاش الليف! ليسقط الديكتاتور! قد غطت كل المكان المسور، وبعد ذلك تحدث برمودي ريبيرا وبدأ بالإشارة إلى أن الطاعة العمياء، للقيادة يجب أن تكون أيضاً من شعارات الليف. وشرح في شرح أفكاره حول المغرب قائلاً: إن مشاريعه لن تُدس لا الترف العسكري ولا الترف الوطني. وعندما وصل إلى هذه النقطة قُطع بالتصفيرات وصيحات الاستنكار. وأمام رد فعل مثل هذا، عبر برمودي ريبيرا، اتجاه عرضه مؤكداً للضباط أن الحرب ستواصل حتى تُكَلَّل بالحق وأن ما يقترحه هو تراجع استراتيجي. وانتهى بهذا التحذير: «أحاطبكم هكذا الآن. لكن يوم تصدر لكم الأوامر، لن يكون لكم أي حق إلا حق الطاعة».

وبالرغم من التعديل الواضح موقف الديكتاتور، قدم فرانكو استقالته بعد الوثيقة بقليل، الأمر الذي جعل الديكتاتورية في وضعية حرجية لأن المستقيين من أشهر الضباط في جيش إفريقيا. وقد تضامن معه ضباط الليف الآخرون وضباط إفريقيايون من فيالق أخرى. وفي مدريد أيضاً تم الادلاء ببعض التصريحات المؤيدة لفرانكو.

عبر أن برمودي ريبيرا رفض قبول الاستقالة، بل أكثر من ذلك، أمام العداء المتزايد قرر إيقاف التراجع العام نحو مييلة مما دفع فرانكو إلى سحب استقالته، ووصلت حدة التوتر إلى درجة أن مقدمين تحدثا مع كيبودي ليانو، في 21 شتنر، عن الضرورة العاجلة حل أزمة الثقة الموجودة في صفوف الضباط. وقام مقدم ثالث، هو فرنسيسكو فرانكو، بنفس الشيء. وحكى كيبودي ليانو هذه الريادة على الشكل التالي: «إن

ولا فائدة من حيازتها. غير أنه لا يمكننا الانسحاب نهائياً لأن البريطانيين لن يسمحوا لنا بذلك. إن بريطانيا العظمى تمارس تأثيراً كبيراً على الملك، والملكة أميرة انجليزية كما تعلمون. وتحشى بريطانيا العظمى أن يؤدي انسحابنا إلى احتلال المنطقة من طرف فرنسا مما سيُلغى سيطرة البريطانيين على مضيق جبل طارق. وبالنسبة إلى المصالح الامبراطورية لاحتلنا، من الحيوي أن توحد دولة ضعيفة مثل إسبانيا في الطرف الآخر لجبل طارق. إنها لا ترغب في وجود دولة قوية مثل فرنسا هناك». إن برمودي ريبيرا أدى بذلك إلى تزايد الخقد والقلق في صفوف الطائفة الإفريقية من الجيش، وهي نتاج 16 سنة من الحروب الاستعمارية غير المنقطعة. وفي بداية 1924 أسس الجنرال كيبودي ليانو صحيفة نشرة تحمل اسم «مجلة اجيوش الاستعمارية». ولم تكن المجلة متخصصة في قضايا الاستراتيجية، بقدر ما كانت الباطق باسم الدين كانوا يريدون الاستمرار في المغرب مهما كلف ذلك من ثمن. وتم معها بعد صدور العدد الثاني الذي أثار نقاشات كبرى بسبب مقال المقدم فرانسيسكو فرانكو بعنوان «الحمود والحمول» والذي ينتقد أساساً السياسة الدفاعية التي تنهجها إسبانيا والتي تسمح لعدو الكريم بفرض مبادرته.

في أواسط يوليو قام الديكتاتور بزيارة لميلية. وفي يوم 19 دُعي من طرف صباط الليف والجيش النظامي إلى حضور وليمة في المعسكرات الأمامية في بن الطيب. وحتى ذلك الحين كان برمودي ريبيرا ما يزال متشبهاً بفكرته حول شبه التحلي الكلي عن المغرب وخوها من حدود أسوأ الشرور قرر الصباط التعبير عن سخطهم. وكانت حدران قاعة الأكل مطلية بشعارات مثل: «إن عقلية الليف عمياء وعدوانية بآباء». أما وجبة الطعام فقد كانت مكونة كلها تقريباً من ألوان من اصعاص مُعدة باليخ فقط. وتحمل برمودي ريبيرا الأهدنة، لا سيما عندما قيل له إن الذين يريدون التحلي عن المغرب لا محتاحون إلى «الخصي»، غير أن الضباط الحاضرين هناك لهم فائض من «الخصي» وأنهم مصممون على الكفاح. ووقع إعاء الاستغفار بالنخب الذي رفعه فرانكو «كنا بود، وهذه هي المرة الأولى التي يزور فيها رئيس الحكومة الليف، إن تكون قلوبنا مفعمة بالفرح، لكن،

ووسطه معين أبيض وداخل معين هلال أخضر ونجمة سداسية من نفس اللون) يرقف في كل القبائل. وخلصت الدولة الجديدة الريسوني من منصبه كقائد على جباله. إن هزيمة الاستعمار الإسباني هزيمة تامة. كيف يُفسر أن جيشاً من الغوار، غير نظامي وشعباً متحلفاً وصحفيًا هزموا جيشاً نظامياً وشعباً أوروبياً ومحترفي الحرب، من الحمرالات والعقد، الخ؟ ليس تفسير ذلك صعباً بعدما اطلعنا على الحاصل الاستراتيجي التي يتميز بها القادة العسكريون؛ وعلمنا أن 80% من المجهدين أميون ومن الصعب اعتبارهم عناصر عسكرية فعالة؛ وإن العمود الفقري — كما يقول باريبا كان حشداً من الفلاحين الأميين تحت قيادة ضباط لا مسؤولين. ومن جهة أخرى كانت معوياتهم في القتال منعدمة، وأن كثيراً من الحاميات كانت تسلم سلاحها مقابل الحرية، وقد اعتاد لجنود تسليم بندقيتين من صرف كل رجل يُحرر. وأن الرشوة كانت عامة. «إذا لم تقبل بالسرقة لحساب الآخرين ولحسابك الخاص، فإنهم يخلعونك من منصبك وينقبونك بعد ذلك ثم يبعثونك إلى حيث نموت جوعاً وتعرض لخطر إصابات برصاصه في كل لحظة. وإذا تجرأت على الكلام أو الاحتجاج فتُجمد وسائل أبسط. تُرعى منك شريطة رقيب بسبب أي خطأ تم تصحيحه وتجاوزته. بل أكثر من ذلك من الممكن أن يقع حادث لأي كان». تلك هي البراهين التي أدلى بها أحد الرفقاء للرقيب أرتورو باريبا لكي يساهم في العمل القمعي لاسانيا في المغرب.

وتحدث العديد من الرجعيين عن وجود مستشارين عسكريين سوفيات في الريف لترير انتصار عبد الكريم. وبما أن ذلك باطل تماماً، لأنهم لا يقدمون أية دلائل على ذلك، فقد كانوا يقدمون المسألة كمشاعة لا يُعرف مصدرها. وهكذا فإن الكاتب الرديء والفاشي ريكاردو دي لا سيرونا، مدير دار النشر الوطنية، يقول، مشيراً باقتضاب إلى عبد الكريم، في كتاب الحرب الأهلية الأسبانية: «يبدو من المحتمل بما فيه الكفاية أن أحد التقنيين الروس كان يساعده في المدفعية بمنطقة الحسمية. وإذا كان الأمر كذلك، نكون أمام أول تدخل سوفياتي في تاريخ اسانيا».

إن ادعاء وجود «يد موسكو» المطروقة وراء هذه الأحداث يترجم

فرانكو، وبحزم أكبر من سابقه، بعدما عبر لي عن الاستياء الذي يسود في صفوف الضباط، خاطبي بصراحة قائلاً: إن قادة القوات الصدامية وبعض قادة كتائب جنود شبه الجزيرة الموجودين في تطوان، قد اجتمعوا واتفقوا على اعتقال الجنرال برمودي ريبيرا وجرالات حكومة المديرين الموجودين في منطقة اهاتشو، ومهدف إيجاد قائد من رتبة عليا يوحد الحركة جاء ليشتمس ميثي قبول قيادة الجميع لتنفيذ الخطة المتفق عليها. وأضاف أن سرية معدة رهن اشارته وأنه سيذهب لاعتقال الجنرالات في الوقت الذي أمر بذلك».

إن خطورة الوضع وضراوة هجوم عبد الكريم وسخط القادة العسكريين المتزايد، كل ذلك أدى إلى أنه عين نفسه مفوضاً سامياً يوم 16 أكتوبر. وأدت الهجومات الريفية في عر الحريف إلى طبعة مزيدة وغير متقحة هروب أنوال. وبعد ثلاث سنوات من التشتت الأول، مُني جيش الاحتلال بنكته الكبرى، الثانية واضطر إلى التراجع من جديد. وتقول الجريدة الأسبوعية «اسانيا الجديدة» معلقة على الكارثة: «حلال ستين يوماً حصداً ستين هزيمة. إننا نحكي جميع المواقع الواحد تنو الآخر أكثر من 200 — التي حصلنا عليها خلال 16 سنة من المعارك الدامية. إن 210.000 جندي غير كافٍ والمطلوب لاستئصال زيادة 60.000». وإن مشاعر الجنود تعكسها بصدق نكتة قالها محمد مطرود في نهاية 1924 عندما نزل ميناء مالقة وصرخ «عاش البحر»، ولما سُئل عن سبب هتافه بالبحر أجاب: «لأنه لولا البحر لكان الريفيون الآن في خليج بيسكاي!». كما يعكس ذلك أيضاً خطاب برمودي ريبيرا يوم 13 دجنبر عند استقباله للبقايا القليلة لجيش منكسر ومهزوم: «ادخلوا منتصرين إلى تطوان! أحسنتم أيها السادة الجنرالات والقادة والضباط والجنود». وبالرغم من أن هذه الجملة قلت بحدية فإن الفقهية [التي أثارت] قد سُمعت في بيكو.

وبدأت سنة 1925 بسيطرة عبد الكريم التامة على شمال المغرب باستثناء الحصون العسكرية الصغيرة في سبتة ومليلية والبرانش وطنجة. وخارج هذه القواعد العسكرية كان عمم جمهورية الريف (وهو أحمر اللون

الرغبة في كتمان المسؤوليات الخطيرة التي يتحملها القادة العسكريون. وإن شاهدها لا يمكن اتهامهم بالماركسية، وهو فرنسيسكو فرانكو، يُسجل في «يوميات سرية»: «نحن الذين عملنا في صفوف القوات الأهلية، نعرف جميعاً الجملة المتداولة بكثرة بين المغاربة في هذه الحرب، والتي تقول «إن الملازم الأول فلان لا يعرف طريقة التصرف» وبذلك يريدون القول إنه مازال يجهل مكر الحرب وأنه يطبق القوانين بشكل جامد دون تكييفها مع الطبيعة الخاصة للمعركة. وخلال هذه الحرب عانينا مراراً حالات يكون فيها «عدم معرفة طريقة التصرف» سبباً في ترايد عدد الحسائر في الأرواح». إن كارثة الشاون التي أدت إلى 20 ألف قتيل وإلى خسائر كبرى في العتاد، دفعت قائد أركان الحرب آنذاك، الجرال إغناسيو دسبوخول إلى الإدلاء بالتوضيحات التالية: «إن قناعتي تترسخ يوماً بعد يوم في أن نتائج الهجمات المفاجئة التي يقوم بها العدو، تعود إلى عجزنا ولا مبالاة أكثر مما تعود إلى ذكاء العدو. ففي كثير من الحالات يتقدم الجنود في صفوف متراصة وهم شبه نائمين، وأذاهم مغطاة بياقة معاصفهم ودون أن تكون أسلحتهم معدة... إنه من الضروري ومن المستعجل أن يُصدر القادة حلاً، توجيهاً إلى الضباط، ليعلم هؤلاء من جهتهم لضباط الصف وللجنود كيفية القيام بالحراسات، وكيف يجب عليهم السير في السبل الضيقة والطرق. فعلى الدوريات أن تتقدم على شكل مجموعات، ولكن في ترتيب مفتوح مع حماية وتغطية أجنحتها، وبالأسلحة معدة للرد الفوري على العدو. يبدو من الصعب التصديق أنه مازال من الضروري، بعد التجربة الطويلة لهذه الحرب، الاستمرار في إعطاء هذه الدروس التي تُضاف إلى الدروس المثيرة للاهتمام التي لقيتها لنا الحرب. وبالخصوص يبدو من الصعب التصديق أنه من الضروري تكرار التوصيات المتعلقة بتعليم وتدريب جنودنا باستمرار؛ وهم [جنود] مطيعون إلى درجة عالية وصابرون ومنضبطون كثيراً وشرفاء بهذا القدر، غير أنهم أيضاً بدون تحربة ومفردون في السذاجة. ابتداءً من نشر هذا الأمر سيُفتح تحقيق في كل حالات هجوم العدو، وعلى القضاة أن يقرروا هل تم تدريب الجنود الذين تعرضوا للهجوم كما يجب، وهل كانوا متعودين على القيام بالحراسة، وهل كانت مراقبتهم

من طرف قادتهم تم يومياً، وهل كانوا يحظون بدعم كاف». لم تكن 16 سنة من الحرب ضد الشعب المغربي، كافية ليذهب القادة العسكريون إلى أبعد من: واحد، اثنين، يمين، شمال، نصف دائرة، إلى الأمام!

عندئذ تتدخل فرنسا. لقد تابعت باريس انهيار المواقع الإسبانية بقلق متزايد، بالرغم من أن موقفها كان محايداً. لكن الهزيمة التامة للجيش الإسباني ملأت الاستعمار الفرنسي قلقاً، لأن تأسيس واستمرار دولة مستقلة في الريف، لا يُعرض لخطر منطقتها المغربية فقط، وإنما جميع أراضيها الاستعمارية الواسعة أيضاً. وإن تشجيع بؤرة للاوهم في الريف، يقول ليوطي، سيُشكل تهديداً خطيراً للحضارة والسلام في الغرب. ومن جهة أخرى، كان ليوطي يعلم أن الفراغ الذي يتركه الأسبان لا يمكن ملؤه من طرف فرنسا، لأن انجلترا كانت تسهر بحذر على أن يكون شباننا هم الذين يموتون لكي لا تستقر فرنسا أو أية امبريالية أخرى قبالة جبل طارق. إذن فالخرج الوحيد الذي كان لدى الفرنسيين هو مد يد المساعدة لحوش الاحتلال الإسباني التي حارت قواها. وللدخول في الحرب ضد عبد الكريم بحثوا عن الدريعة التي تسمح لهم بذلك، وقد وجدوا تلك الدريعة في إحدى القبائل التي قسمها عقد الحماية إذ كان شمالها في يد الأسبان وجنوبها في يد الفرنسيين. وبعد انتقام الريف أصبحت قبيلة ورغة مقسمة بشكل مصطنع بحيث يتبع بعضها لسيطرة الاستعمار الفرنسي والبعض الآخر لدولة الريف المستقلة والفتية. وإن الحوادث التي نتجت عن وصية مثل هذه، دفعت الفرنسيين إلى محاولة وضع الجزء الشمالي من قبيلة ورغة تحت مراقبتهم. وأدى ذلك إلى الحرب بين الريف والامبريالية الفرنسية. وأكد عبد الكريم أن «هذا الحرام من الأرض كان تحت السيطرة المباشرة للريف عندما أقدم الفرنسيون على احتلاله. ولا فرق بالنسبة إلي بين كون إسبانيا تعتبره تحت نفوذها وبين كون الفرنسيين يدعون أنه يشكل جزءاً من الأراضي الواقعة تحت حمايتهم مادامت حكومة الريف لم تعترف أبداً بتقسيم المغرب إلى مناطق خاضعة لحمايات مختلفة».

وإلى حدود صيف 1925، كان الفرنسيون قلقين بما فيه الكفاية لتحسب تحرير تارة وفاس من طرف الريفيين، نتيجة انضمام العديد من القبائل إلى الميثاق الوطني لعبد الكريم. وأمام مثل هذه الانتفاضة اضطرت الحكومة الفرنسية إلى عزل المرشال ليوطي وتعيين طيدورستينك في منصبه. وعينت أيضاً الحرال بوهان قائداً للعميات، وكلفت المرشال بيتن بتوجيهها. وفي نفس الوقت وصلت إلى المغرب وحدات للدعم مكونة في أغلبيتها من جنود محسنيين سبق لهم المشاركة في حرب 1914 الكبرى.

عُقدت بذات لوقت اجتماعات مطولة في مدريد للوصول إلى وضع خطط مشتركة وإلى رسم الحدود بين الحمايين بشكل واضح، وتم التوقيع على اتفاقية بهذا الشأن في 21 يوليو. وبعد سبعة أيام رر بيتان تطوان. وكان الاتفاق يقضي بأن يضع الأسبان موضع التنفيذ خطة الانزال - التي أثارت كثيراً من الجدل - في خليج الحسيمة قرب أجدير عاصمة دولة الريف، بينما سيغير الفرنسيون من الجنوب واضعين عبد الكريم بين نارين. وبدأت العميات في 8 شتمبر، وفي الوقت الذي كان عبد الكريم يحاصر تطوان للحؤول دون الانزال، تم إنزال 10.000 رجل في الحسيمة وتخذلوا بعدما توعدوا بكمبيوتر ونصف فقط نحو الداخل.

وبعد تأمين رأس الشاطئ، نقل برمودي ربييرا وحدات صامية لتلك الحصار عن عاصمة الحماية، وتم له ذلك في 13 شتمبر. ورغم جود المصيف على خوض قتال ضار خلال 18 ساعة لصرد الريفيين من مواقعهم. وحدث الذي وقع بعد ذلك قليل، عندما كان فراككو يراقب وحدات للفيق مندهشاً لرؤيته على رأى رؤوس المعاربة معلقة فوق رماح البنادق، يُعطي فكرة عن قساوة لرحال الدين كان فراككو يفقددهم. بعد ذلك احصار استمرت عمليات الحسيمة، وتم احتلال المنوسمي وجبل مورو في 23 شتمبر، وفي 2 أكتوبر احتلت بلدة أجدير حيث أحرق حيوش الاحتلال منزل عبد الكريم.

في نهاية أكتوبر كان الفرنسيون قد استعادوا كل الأراضي التي كانوا قد فقدوها في الجنوب. وفي بداية نوفمبر فارل برمودي ربييرا الانزال في

الحسيمة بمعركة توافلكر* واحتلال بونس في 1535، وبعد ذلك وشح صدره بالحالة الكبرى لسان فرناندو. وخلال اجتماع عُقد في وحدة في أبريل 1926، سميت فرنسا وإسبانيا بالاستقلال الدائقي للريف فيما يخص الشؤون الفلاحية والاقتصادية والإدارية تحت السلطة الاسمية للحماية. إلا أن عبد الكريم عاد إلى المطالبة بالاستقلال وقطع المفاوضات. إن نفوذ القوات المشتركة الأسبانية - الفرنسية وخصوصاً في مجال التطيران (إن أحد اسراب الصائرات الفرنسية، وهو السرب الشريفي، كان يقوم بمعدل 470 مهمة يومياً) وضرورة القتل على جبهتين أدى إلى اضطراب عبد الكريم إلى تسليم نفسه في 25 مايو 1926 ونُفي إلى جزيرة لاريويون. واحتج الأسبان لدى الفرنسيين، وكتب فرانسيسكو فرانكو: «إننا نترك [ميدان القتال] وفي قلوبنا الرغبة في فرض عقاب رادع على المجرمين. عقاب م تره الأحيال فقط». لكن باريس تصرف بطريقة ذكية عندما لم تحمل من عبد الكريم شهيداً للقضية الوضعية.

إب استسلام القائد الريفي م يؤد إلى نشأت كل قوات الأنصار بل استمرت العمليات العسكرية خلال سنة بعد ذلك. وتدرجياً أصبح الحبيب المشق مضيقاً من لدن كل اطرافه مما أدى إلى انهك ويأس المقاومين. وفي نهاية دحبر من سنة 1926، بلغ عدد الاسلحة المنروعة من القبائل 36 ألف بندقية. وكانت عمليات 1927 تكنسي طابع الدوريات البوليسية أكثر من طابع العميات حربية وفي 10 يوليو تم الاستيلاء على آخر موقع معربي. وخلال الخمسة عشر شهراً الأخيرة حتل الحش الأسباني 39 فنية بكاملها وأمسى احتلال 12 قبيلة أخرى؛ وستولى للعدو على 42.000 بندقية و 130 مدفعا و 236 مدفعا رشاشا و 8 مدافع هون و 5 بنادق رشاشية وكمية ضخمة من المدحيرة.

* تراهاكار (الطرف لأخر) معركة بحرية وقعت في 21 / 10 / 1805 حيث نمت التصحية بالأسطول الإسباني وشكلت انتصار كبيراً للإنجليز على الأسبون.

في يوليو 1927، صرح الجنرال سان خورخو: الذي كان يدبر لموضبة السامية منذ يونيو 1925: «ب.س.»: «كان نزع السلاح أحد المحاور الرئيسية لسياستي، ولم يستسلم في أي أهلي لا يحمل بندقته. هل لا يؤخر هذا بشرط الاستسلامات؟ لم يكن يعني ذلك. ووجود السارق أمامي لا يشعل بالي، لا أريدها أن توجد خلقي».

احتفلت الرجعية في صبح نهاية الحرب، وتم اعلان يوم 12 أكتوبر عيداً للسلام، وفي كل صلاة كان الاساقفة يحمدون الله القدير على الجرائم التي ارتكبت وعلى القمع الشرس المسلط على الريفيين. ومن 1927 إلى 1930 احتاحت جميع القبائل موجة من الارهاب، ولكي لا يقع الاحلال بـ«التهدئة» كان يجري البحث عن أدنى المؤشرات التي يمكنها أن تفترض وجود أية محاولة للتنظيم أو لدعاية الوطنية. وفي نهاية 1927 وحده برمجودي ربيرا بداء «أنويا» إلى المغاربة قال فيه: «لا أجهل أنه مازال هناك متمردون، وسيبهم لا يستسلم آخرون خوفاً [منهم]. والخوف من الاشرار هو أكثر اشكال الخوف شناعة. إن الرجال الصالحين يناضلون ضد الغش والمشر والأهواء. وانتم طيبون وشرفاء وعليكم ان تسلكوا سلوكاً حسناً. ترجوا هادئين وتمنعوا بسلامكم. وإن لم تسلم احدكم سلاحه بعد، فليصنع ذلك بسرعة لأن في البندقية هلاككم، ولا تكثرثوا بنزع السلاح، كونوا مستقيمين وصادقين وأوفياء، واعملوا وسيجعلكم الله أغنياء وسعداء. ويمكنكم العيش في طمأنينة ونعمة أكثر من أي شعب. وإن الدين يخدعونكم ويقودونكم الى التمرد، يعرضون نعمتكم وطمأنيتكم للخطر. أبعدهم عنكم وقاتلوهم وستكونون أغنياء وسعداء».

وحواي منتصف 1928، وزعت الموضبة السامية على القوات القمعية تقريراً للجنة الشؤون الأهلية. بعد اعطاء توجيه حول أحسن طريقة للقيام بالعمل البوليسي، يُحبل التقرير الثورة التي سُحقت مؤخراً. ومن الصعب العثور على تشريف لضال لشعب المغربي أكبر من الذي يتضمنه تقديم هذا التقرير السري الذي حرره أولئك الذين يعتقلون ويعدبون ويعتالون الوطنيين المغاربة. وهذا ما يقوله التقرير: «إن الصراع لم يكن

ضد جيش نظامي، بل كان لصراع ضد كل شيء، ضد المناح، ضد الأرض، ضد الزعماء، ضد قطاع الطرق، ضد متعصبين وضد جماعات بكاملها رجالاً ونساءً وأطفالاً. وإذا برز قائد قرنه يُطاع ما دام يكافح ضدنا ولما يستسلم لا يبقى مطاعاً. ولم يكن من الممكن عقد معاهدة مع أي أحد. وعندما يُهزم قائد يبرز مائة قائد يعوضونه ويلغون المعاهدة.

وهكذا، فمنذ 1909 حتى سنة 1927، حيث كان احتلال باب نارة، ونزع السلاح من السكان تنويجا للعمل، كان كل ساكن مقاتلاً بل أكثر من ذلك قائد فرقة، وشكل كل البلد مجموعة مسلحة».

— الفصل الثالث —

I التهدة

في الوقت الذي لم تكن اصداء الطلقات التي تُغتال بها أبرز لشخصيات المغربية قد اُغمدت بعد، وفي الوقت الذي كان صراخ المعدن في مصالح المارقة واحتجاجات آلاف وآلاف الريفيين المعتقلين ما زالت تُسمع، أعطى سقوط الملكية في اسبانيا زخماً جديداً للرغبات الوطنية للمغرب. إن رجال ملزيم الجدد كان لهم ماضٍ غريق كاصول من أجل التخلي عن المغرب، إذ كان من المنطقي أن يُنتظر منهم، على الأقل، التخفيف من الضربات التي كانت تنال على المغاربة بدون توقف منذ أن أرغموا على إلغاء السلاح. وسبق للجمهوريين والاشتراكيين أن نزعوا كل تظاهرات السخط، وانتقدوا بصراحة عمل الملك في المغرب ودعوا إلى احترام استقلال الشعب المغربي. والآن، حان الوقت لاستدراك الخطأ. وفي الأخير، أتاحت لهم الفرصة للعمل، ولم يعد من الممكن لهم الحديث عما لم يفعله الآخرون، أو عما يقترحون القيام به. إلا أن حية الأمل حلب بسرعه. وأدرك الريفيون أن الأمر يتعلق بنفس الكلاب وإن اختلف أطواقهم، وأن تحريضهم المعادي للاستعمار لم يكن يستهدف سوى «دخول الدار» من أجل السبق للسلطة. فمن 1931 إلى 1936 لم يقع ولو أدى تغيير سياسي — اجتماعي في الحماية، مادامت الحقوق [التي يُخولها] الدستور غير مكتوبة بالبرية. إن الإدارة الجمهورية، سواء في مدة الستين الاصلاحيتين أو الستين السوداءتين، لم تحاول حتى «نُسه» النظام ولإعطاء المغاربة بعض الحقوق ولا منحهم الاستقلال الذاتي الخ... فقد اقتصروا فقط، وحصرأ، على مواصلة «التهدة» التي بدأها الديكتاتورية. وسبق أن رأينا كيف تحاول هذه اتورية اخفاء معسكر حقيقي للاعتقال بالنسبة إلى اسكان المغربية. إن جمهورية الكادحين من كل الصفات، كما ورد في البند الأول من دستور 1931، حاولت أيضاً اتقن الآلية القمعية والمراقبة اسوليسية. وخططت لمشروع سياسة استعمارية، على غرار وصوره السياسة

الاستعمارية الفرنسية، يرمي إلى استئصال كل فكر وطني من عقول المغاربة. ولحسن الحظ، أدى الصراع الصفي العنيف، الذي كان يدور في شبه الجزيرة، إلى بقاء كل هذا حبراً على ورق. ويمكن تحقيق بعض الاجراءات فقط، منها: فرض الحواز أو بطاقة الهوية للتنقل من قبيلة إلى أية قبيلة أخرى، وضع بطاقة معلومات بوليسية لكل السكان العرب في المنطقة؛ والقيام بتناورات عسكرية سنوية، وإعطاء تسهيلات للهجرة الاسرائيلية مع منح امتيازات لها، واصدار مرسوم يفصل التعليم البربري عن التعليم العربي. واعتباراً للانفجار الاجتماعي الهائل الذي كانت تعيشه المتربول، يمكن القول إن السنوات انست من السيطرة الاستعمارية الجمهورية كانت سنوات اهمال تام وشامل. فمن رئيس الجمهورية حتى آخر ماضل في حزب من أقصى اليسار، كان الكن ينسى وجود مستعمرنا، وذلك ما لم يكن يسقط فيه حتى أبلك الرجعيين بمن فيهم قادة الحركة الفاشية. إن مسؤولية لقادة الجمهوريين ولعماليين لفضيحة. وإذا كان بريودي ريبيرا قد حاول، فور قيامه بالانقلاب، أن يكون منسجماً مع المواقف العلنية التي دافع عنها في 1917 و 1981 بطرحه مشكلة التخلي عن المغرب، فكيف برحال ليراليين واشتراكيين وماركسيين لم يحاولوا القيام بأدى اصلاح استعماري؟ قبل الخوض في الأجوبة الممكة على هذا السؤال، لنستعرض، حسب التسلسل التاريخي، الاحداث الرئيسية والتصريحات المتعقبة بالمغرب منذ 14 أبريل 1931 إلى حدود عشية فبراير 1936.

بينما كان السكان الاسبان عميلية، المدينة اخروسة بقوة من طرف الجيش، يحتفلون بالانتصار الجمهوري، نوع من الاحتفال للمغاربة، صاح قائد اشتراكي من أعلى شرف مقر البلدية قائلاً: «إن النكل الذي تطورت به الأحداث الهامة فيما وراء الحدود، سيشكل دليلاً، على أنه سيأبى لا تبدأ في الراس». وصرح برامح استعماريات تاملًا قائلاً أن: «لا شيء ولا أحد سيحل ملهوء الصرم هذه الحركة. ووراء هذه الجبال تحدف فيكم نظرات شعب حنا لتريته، فلتكن حكمتا قوية حتى يصل إليهم التفكير الاساني بكل وصوح. ولئن فصلت الحماسة للجيش من أجل المشروع العسكري في ظل الملكية، فهي ظل الجمهورية سيقضل لنا العزم

«الدليلي تلغراف» في افتتاحيتها ليوم 23 أبريل 1931 «إن الحس الوطني الإسباني، لا يمكنه أن يكون مستعداً للتخلي عن المجال الاستعماري الوحيد، الذي تحدد أهميته وموقعه الاستراتيجي مكانة اسبانيا كدولة عظمى، وذلك أكثر من أي عامل آخر. ولنفس السبب لن يكون الجمهوريون مستعدين للتنازل عن الموقع الممتاز الذي يحتلونه».

وعبرت الحريدة الفرنسية الصادرة بالمغرب «لافيجي ماروكان» عن ثقة مماثلة أيضاً: «إن تغيير النظام لا يُقنعنا. إننا نثقون من أن الجمهوريين الإسبان لن يتخلوا أبداً عن الأرض الريفية التي روتها دماء كثير من ابنائهم الذين سقطوا إلى جانب اننا دفاعاً عن الحضارة».

وفي نفس التاريخ، جاءت تصريحات إيداليسيو برييتو [الذي قال] «إن الحكومة ستحافظ على وحدة الحماية وعلى أكثر العلاقات وداً مع فرنسا من أجل نجاح العمل المشترك». وتصريحات البخانيرو لورو «إن منطقة الحماية الإسبانية في المغرب لا تشكل مستعمرة. اني عندها بمثابة رأس جسر ممدود بين أوروبا وأفريقيا» وتصريحات الجرال سان خورخو «إن المغرب ليس هو اسبانيا، ولا يمكنه ان يكون مثل اسبانيا مسرحاً لصراعات سياسية. واليوم، والحسن الحظ، ليست عند المغاربة أسلحة، غير أن ذلك لا يشكل ضماناً كافية على أن لن تثار حالة حرب حقيقية. ولا يمكن نهج إلا سياسة واحدة قوامها: السلطة والعدل من طرف احامي والخضوع والنظام من لدن احمي».

لم تكن هذه التأكيدات تُبشر بأي خير بالنسبة إلى وفد الوطنيين المغاربة السادة: سيدي محمد البوهالي وسيدي أحمد غيلان وسيدي عبد السلام [بنونة] وسيدي اللبادي الذين ساهروا إلى مدريد في 6 يونيو ليسلموا إلى الكلاسمورا الوثيقة التالية:

لعلمهم العيش بكل سمو حياة شريفة وجديرة بالاحترام». وفي صباح نفس يوم 14 أبريل، أطلقت النار في تطوان على مظاهرة للمغاربة كانوا يعبرون عن فرحتهم [بانتصار الجمهورية] رافعين الأعلام الجمهورية الإسبانية والأعلام الوطنية المغربية. ولما شاع خبر وجود عشرة حرجي في حالة خطيرة، حاصر حشد من العرب مبنى المتلوية السامية، مما أرغم المندوب السامي على الفرار إلى طنجة. وتصاعدت الاضطرابات، وفي 23 أبريل أعلنت الحكومة الجمهورية حالة لحرب «من أجل منع أعداء متسترين من تحريب عمل عدة أجيال، بواسطة دسائس لا نطاق، حيال نخطة اليوم بشرف تمثيلها». وفي 21 أبريل عينت الحكومة الاشتراكية الجنرال سان خورخو مندوباً سامياً. وفي 28 أبريل اتفقت البلدية الاشتراكية للميلية على عدم حل الحرس المدني «لأن هذه المدينة عاشت التجربة الحزينة والمأساوية لسنة 1921. وذلك هو ما جعل من الضروري تسيح المعمرين في تنظيم من نوع الحرس المدني قد يساعدهم في دفاعهم في حالة وقوع مأساة أخرى ممكنة. والتجأ إلى هذه الهيئة على اخصوص سكان الناضور وسلوان وجبل أعرويت وكل أولئك الذين يتعاطون الاستعمار [الملاحى] ويضطرون إلى العيش في البادية. إن البندقية تشكل ضماناً بالنسبة إليهم كما هي صمانة بالنسبة إلى الدولة في نفس الوقت، ولا أحد يمكنه أن يدافع على الأرض أحسن ممن يدافع عن أملاكه وعائلته». وفي اليوم التالي تم استقبال سان خورخو بتطوان من طرف الإسبانين وهم يتفقون: عاش الزعيم! وعند رده على تنهائي ممثل فرنسا ثوركيت، قال سان خورخو بأن «الجمهورية لن تسي أنداً حملة الريف المجيدة التي تأخت خلالها جيوشنا، وكافحت حتى النصر من أجل السلم والثقافة والتقدم في الحمايةين». ومن اقول إلى الفعل. ففي 5 مايو فرق الجيش مظاهرة للعمال المغاربة مما أسفر عن عدة قتلى. وكان العمال يطالبون بقائي ساعات للعمل اليومي، وتساوي الأجر اليومي مع أجر العمال الإسبانين، ويعطائهم الاسبقية في العمل لأنهم من مواليد البلد. إن احتلال تطوان من طرف الجيش وإعلان القوانين العرفية جعل حداً، وبشكل عنيف، لأول اضطراب هام واجهه الجمهوريون. واستحسنت فرنسا واحترا «صرامة» الجمهوريين حيال الوطنيين المغاربة. وهكذا علفت

فخامة الرئيس،

إن فرح كافة سكان المنطقة الأهليين، كان عظيماً لما علموا بانتصار الجمهورية في إسبانيا، وقد ابتهجوا بهذه المناسبة، كما أن ميلاد الجمهورية أثلج صدورهم وهللوا له جميعاً. وفي هذه المنطقة تم الاتفاق على تكوين لجنة لتهيئة الحكومة الجديدة وتقديمها تأييدها المطلق. وهذه اللجنة تمثل في نفس الوقت الطموحات التي تتوق إليها منذ أمد بعيد [هذه المنطقة]، مع الأمل في أن تستحق من طرف رجالات النظام الجديد، الترحيب برغباتها التي تُشكل مُثلها العليا التي لم تستطع التعبير عنها لحد الآن لأسباب شتى.

ولهذا الغرض، فإن لجنة المنطقة، بعد تكوينها، تشرف باستقبالها من طرف معاليكم، وستعبر هذا اليوم من أسعد أيامها وفي نفس الوقت تشرف تسليمكم هذه الوثيقة الموقعة من لدن أبرز المسلمين بالمنطقة، وتُشكل وثيقتهم دليلاً على صداقتهم المخلصة وتأييدهم المطلق للحكومة، كما أنها تتضمن في نفس الوقت بعض المطالب التي تمثل إصلاحات عادلة ومنصفة، ومن الأكيد أنها ستلقى الترحيب من طرف معاليكم.

وبهذه المناسبة يشرفني أن أبلغكم أوصالة عن نفسي، وبإية عن سمو الأمير خليفتنا، وعن عموم السكان وعن زملائي، أصدق تهانينا بمناسبة تعيين معاليكم رئيساً للجمهورية الإسبانية. وإننا لا نشك في أن معاليكم وكذا الشخصيات التي تكون الحكومة الحالية سترحب بمطالبنا وتقدم لنا الدعم الذي نلتمسه لتحقيقها حتى يعم نفعها على المنطقة وعلى ازدهارها، وذلك مع صيانة تعاليمنا الدينية، وحقوقنا وعاداتنا وتقاليدها القائمة، وحتى تكون هذه الاجراءات ناعثاً على توطيد علاقات الصداقة المخلصة.

واننا لنعدكم بالتعاون معكم من أجل إنجاز كل إعادة تنظيم تكون ضرورية مادامت جميع الإصلاحات الاجتماعية ترمي إلى تحقيق أهداف عامة وليس خاصة، ويجب أن يساهم فيها الحماة والخميوون، توخدمهم المصلحة المشتركة التي تجعل منهم أسرة واحدة، وقد سجل لنا التاريخ ذلك في

أخباره. وفي الأخير نطلب من العلي القدير أن يقود خطانا تحت رعاية سمو الأمير الخليفة وقيادة الحكومة الحامية للجمهورية الإسبانية:

1 - « الحريات العامة: الصحافة، الاجتماع، التجمع، التعليم، التنقل عبر كل أرجاء البلاد، تكوين النقابات،

2 - « التعليم: توحيد الخطط في جميع مناطق المغرب. الرفع من عدد مدارس التعليم الابتدائي، انشاء التعليم الثانوي ومدارس المعلمين.

3 - « العدل: اختيار القضاة عن طريق مباراة. تقديم راتب كافي للقضاة من الميزانية العامة للدولة، وليس من حقوق المتقاضين. فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية.

4 « الفلاحة: تكوين ملكية عاقبة غير قابلة لتمويت، وذلك عن طريق توزيع الأراضي الجماعية. تقديم قروض للفلاحين. المساواة الجبائية بين الفلاح والمهجر الأوروبي. وحماية الفلاح من [انهاكات] الاداريين الاستعماريين والمعمرين والمراقين.

5 - « البروليتاريا: تطبيق قانون الشغل الاسباني على العمال المغاربة وعشاء نفس الأجر مقابل نفس العمل، ومساعدة العمال المغاربة العاطلين. تجديد الصناعة [التقليدية] المغربية وحمايتها من المنافسة الاجنبية.

6 - « المالية: حذف بعض الضرائب، والمساواة بين المغاربة والاسبانيين فيما يخص الضرائب الأخرى.

7 - « الصحة: الرفع من عدد المؤسسات الصحية، توزيع الأدوية على المحتاجين، مكافحة السكن غير المصالح، ومكافحة الدعاية السرية والعلمية. إنشاء عدد كاف من الملاجئ للعجزة والمعوزين والرفع من مساعدات الحكومة للمسطحات الخيرية المغربية.

اجمهورية لا تنوي التخلي عن المغرب، بل مواصلة العمل الاستعماري. وأكد أحد تابعيه، الذي سُبِّحَ فيما بعد نائباً اشتراكياً عن المغرب، أنه من الأفضل الاستمرار في الحماية حتى لا تقع في يد دول أخرى. لكن مع تلافي أن يكون الأهلي مستغلاً لأنه يجب احترام حقوقه. إن هذه النظرية الاشتراكية - استعمارية ماثلة للاشتراكية شوفينية التي فضحها البلاشفة في حرب 1914. كان من الواجب ماهرة الحرب وكشف القناع عن الذين وقفوا بجانب «برجوازياتهم» لأنها كانت أكثر ديمقراطية. وترجمة ذلك على صعيد المسألة الاستعمارية يعني الوقوف في وجه «احتلال» المستعمرات، وفضح الذين مازالوا بصالح المستعمرات، لأن معاملتهم «للمستعمرات» أكثر «ديمقراطية». غير أن ذلك يعني مطالبة ورثة الاشتراكية - الشوفينية بما لا طاقة لهم به في الوقت الذي كان ورثة البلشفية يسفصون أيضاً في الاشتراكية - استعمارية. وبحق برهنت جريدة استعمارية، هي «تغراما الريف»، على أن «كل الأحزاب الاشتراكية، بطرياً، تُعادي المشاريع الاستعمارية، لكنها حينها حكمت فإنها لا تفرص مذهبها. وذلك ما وقع في بلجيكا، حيث لم يدع لعمه الزعيم الشهير فدير فيلد، الذي شغل منصب وزير الشؤون الخارجية، التنازل عن الكمو. ونفس الشيء حدث في الدنمارك التي تحتفظ بجزر فيروبي وكرويدلاند. والعماليون البريطانيون، الذين يتبنون أفكاراً اشتراكية، يُثيروا المشكل أيضاً. ففي مصر يذاهمون عن نفس الرأي الوصي، لكي لا نسميه الامبريالي، الذي دافعت عنه الحكومات الرجوعية السابقة. ولئن وصلوا في الهد إلى استقلال ذاتي نسبي فإنهم يرفضون مشروع الاستقلال. وذلك لأن أسس املاءمة والتعايش العام تفرض نفسها على احكامين ولو كانوا اشتراكيين». وتؤكد «أ.ب.س» أنه حتى لو كانت حكومة شيوعية، فإنها لن تجرؤ على مواجهة انزعاع الدولي الذي قد يثيره الاحلال بالوضع الاستعماري القائم.

عندما أعلنت الجريدة لفرنسية «لو حراس» من باريس عن احتمال وجود تهريب للأسلحة لعائدة الوطنيين المغاربة، كدست جريدة «صول» النبأ مؤكدة أنه: «من الممكن أن تتسرب بنادقها لا أكثر. إن 50.000 جندي و 10.000 شرطي يقومون بحراسة صارمة». وفي إفريقيا - يلاحظ

إن مثل هذه المطالب التي كانت ممكنة [التحقيق] بما فيه الكفاية في إطار الجمهورية، لأنها كانت تكتفي بالمطالبة بأن لا يتوقف لتغيير الذي وقع في اسبانيا في 14 أبريل في مدينة صريفة؛ هذه المطالب قد تم رفضها من طرف الحكومة الجمهورية. وعادت اللجة إلى تطوان بشكل عادي ومرت دون أن تثير أي انتباه على الإطلاق. وذهب الكلاسمورا إلى حد رفض الاعلان عن المطالب المغربية السبعة مما جعلها مجهولة كلياً من طرف الرأي العام. والأفطع من ذلك هو أن لوسيانو لوبيز فيرير - تحدث العهد بالتعيين كمندوب سامر صرح في 10 يونيو لجريدة «صول» بأن مشكل المغرب لا يتعدى كونه مشكل نظام وأمن. هناك بعض التحريض الوطني ويجنود صالحين سيسهر على أن يسود الهدوء. وصاحت إحدى الجرائد الرجعية بعض: أن قادة الحركة الوطنية يريدون الذهاب إلى أبعد مما يلائم مصالح ابيد محمي. فإذا شُحح حرية الصحافة مثلاً، تنتشر المذاهب الهدامة، فإنما ستعرض لخطر جسم، طرا لجهل العام [السائد] في البلد.

وبعد ذلك نقبس، ومن أجل مساعدة العمل التقني، صادق محس الوزراء على مرسوم يُعطي بموجبه تسهيلات كبرى لليهود الاسبان وللسكان العرب من أجل الاستقرار في ما يُسمى المغرب الاساني. وفي لوقت الذي كانت تُفرض عشر سنوات من الإقامة في شبه الجزيرة للحصون على الجنسية الاسبانية، كانت تكفي ستان فقط في المستعمرة المغربية. «لأن لعنصر العبري هام وهام جداً، بالنسبة إلى اسبانيا في المغرب، من أجل توطيد العمل التهديبي». كما ورد على لسان ثورو.

وكان تعيين بن عبود كصدر اعظم جديد تنابه صيغة موجهة المغربية. لأن من تم تعيينه عربي مُأسس يفهم في صيغة فصلاً عن كونه حصل على الجنسية الاسبانية. إن ما تم تحراً على القيام به، لا الملكية ولا الديكتاتورية يتم تخفيفه من طرف اسبانيا البرالية والدستورية، ألا وهو نفس [مواض] إساني بشعل وطبعة اسلامية واضحة فلا من فقط عدم تخفيض انضباط «السبع» بل تفرض اهانت، غير ضرورية من جهة أخرى. على السكان العرب. وفي اواسط يونيو صرح لرنكو كسابيرو في حنف بأن الحكومة

كاتب الافتتاحية - لا يمكن القيام بتكهنات من هذا النوع؛ لكن، في الأخير، كل الأمور تدفع إلى الاعتقاد أنه ليس ثمة الآن سبب لقلق؛ إن القبائل مجردة من السلاح.

إن اصرار الحكومة الجمهورية على حملة إهانة المستعمرين، دون أي سبب، أدى بها، في شهر شتمبر، إلى إقامة نصب [تخريباً بذكرى] «إبطال وشهداء الحرب» في قلب المغرب. وطول النصب 14 متراً ويمثل جندياً في حالة تأهب ومكبل بالغاز. وكان إعلان يوم 7 أكتوبر، كعيد عسكري صرف، يوماً للحيش تعويضا مختلف أعياد القديسين الحماة «براعة» إضافية أخرى للحكومة. لأن ذكرى الانتصار الإسباني على الأتراك لم تكن الأكثر ملاءمة اعتباراً للعلاقة مع الشعب المستعمر. وعندما بدأت مناقشة مشروع دستور، تساءل النائب أنجيل أسوريو إكسارصو إذا كانت إسبانيا، بناءً على الفصل السادس، تعدل علناً ورسمياً عن [استعمال] الحرب كأداة للسياسة الوطنية، فمادام ستفعل لو برزت بؤرة فرد في المغرب ووجب إخمادها بقوة السلاح؟ غير أن التناقض قد تم حله بحيث من طرف خيمينيس دي أسوا عندما أحاط أن عمل الحماية لا يسوغ أبداً تسميته حرباً وإنما عملية بوليسية. ونوسع في أفكاره وطرح في 6 أكتوبر في «لوكران كوتيدبان دي ماروك» بأن حكومة اشتراكية: «لن يكون لها من حل إلا الإبقاء على حملة عسكرية. وإن العديد من الاشتراكيين يفكرون مثلي، ويصرحون أحياناً بالعكس أمام الجمهور لأنه من الضروري استئالة العطف الشعبي»، ذلك ما أكدته رجل القانون الدرؤ.

في الخريف جرت مناورات عسكرية هامة؛ [عمليات] بوليسية حسب اللغة الاصطلاحية الاستعمارية الخمس دي أسوا؛ تهدف إلى التأكد أنه بالإمكان نقل 25.000 جندي، في وقت وحيز، إلى حيث تفرض الظروف ذلك من أجل إبادة كل محاولة تمرد. وذكر قائد قوات الاحتلال الجنرال كمانياس، أنه إلى حدود عهد قريب جداً، كانت جميع القبائل في حالة تمرد صريح، ومن ثم مازال يوجد العديد من أنصار عبد الكريم، وإن كراهية الأسبان من طرف المستعمرين شديدة بما فيه الكفاية.

ولقد رد المقيم العام الفرنسي على ذلك قائلاً: من الضروري الاحتراس من مناورات الجامعة الإسلامية التي لا تتبع ولا تخضع لتحريضات تولد في المغرب نفسه، بل هي حصيلة مخطط يشمل كل البلدان الإسلامية وبشكل خاص بلدان شمال إفريقيا. ويجب التصدي لهذه الحرب الصليبية بحذر شديد ودون إهمال، واضعين دائماً في متناول ادراك الاهليين المقارنة بين الخطب الدنية الهدامة للمتعضين الميادين للموصى وبين حياة النظام والعدل والرفاهية والهدوء، والتي هي نتاج خلق الثروة في البلد ومادامت إسبانيا وفرنسا موحدتين من أجل هذا العمل لا يمكن أن يكون هناك غم. غير أن الأمر يختلف تماماً إذا تنبه الاهليون إلى أن يشاء طلاقاً أو عى الأقل أننا غير مباينين.

لقد عبر أحد المدعويين؛ وهو الملحق العسكري لسفارة الامريكه القبطان روبرهوف فليتشر؛ عن إعجابه بالعمل الذي أجرته إسبانيا في المغرب، وفاربه بالمجهودات التي بذتها في الفارة الأمريكية. وبعد هذه العمليات، تفقت القيادات الفرنسية والاسبانية على تسجيل المعومات حول كل الاهيين البالغين من 14 سنة وأخذ صور لهم. وبموازاة هذه السياسة القمعية دعت الحكومة إلى مدريد، بمناسبة اعلان ألكلا سمورا رئيساً لجمهورية، ثمانية قواد من العملاء البارزين من بينهم سيدي عبد انقادر وسيدي أمخروشن وهما خائنات للمغرب منذ 1909، وسيكوبان في 1936 في البداية القائدين الوحيدين اللذين كان بإمكان التمرد الفاشي الاعتراف عليهما. ولم يحصل معهما أي مشكل، ولعب كل طرف دوره. إذ شكر أمخروشن الوجود الإسباني وغير ألكلا سمورا عن اعترافه لذلك ووعدهم بعدم التحلي أداً عن تدبير المقارنة.

وانتهت السنة الأولى من الحكم الجمهوري بزيارة وزير التعليم العمومي فرناندو دي لوس ريوس إلى المغرب. وفور وصوله، في 29 دجنبر، صرح أن الاشتراكيين الأسبان عندما يمارسون السلطة، ويواجهون الوقائع، فهم يعمون بحسجام معها، ويولونها الأسبقية على تصوراتهم الأيديولوجية. وفي العرائش قام زيارة الحالية اليهودية، وصرح ها أن

على طاقم متصرف من الرجال الذين اكتسبوا تفوقاً تقنياً لا يُنكر خلال تجربتهم الاستعمارية الطويلة في الجزائر، والذين يتوفرون في نفس الوقت على تربية سياسية تجعل منهم مدافعين ثمينين عن مصالح المنيبول. والآن اسمحوا لي أن أقول ليس تحيا الجمهورية التي قد تُفهم بشكل متحيز، وإنما أن أنتهي بصرخة نُعلننا نهترُ جميعاً بنفس الشكل: عاشت اسبانيا!.

وزارت لجنة أخرى، رسمية هذه المرة، يرأسها راموس نائب الكاتب العام في رئاسة المجلس، تطوان والعرائش والقصر الكبير والشاون وكتامة والريف والناصور أمتية؛ وفي إحدى المأدبات الكبرى والعديدة أكد السيد راموس إن «الدين يلاحظون من الخارج ردود فعل الشعب الإسباني تجاه المسألة المغربية، والذين يعتقدون أن في هذه القضية إخراجيه، وهي أهم قضية خارجه بالنسبة إلى اسبانيا، سيحدث تغيير جوهري نتيجة تغيير النظام. يمكن لأولئك أن يسحبوا أن لا أحد في اسبانيا يتحدث عن التخلي عن المغرب لأن لا أحد يرغب في ذلك إنه الملاحظين الأجانب قد خطأوا: إن ما كان يريد الشعب الإسباني هو أن لا يبقى المغرب كابوساً بالنسبة إلى الأمة وأن تكون كلمته رحيصة». ولذلك عند استقباله، خلال الصيف، وفد من القواد الذين يطالبون بقروض لبواديهم، نصحه المندوب السامي بأن «لا يظفروا إلى النجوم»، وأن يتركوا أظفارهم «إلى الأرض». وهكذا سيدركون أنه أمام المطالب «المتكررة والمثلهفة» فقد وجد نفسه مضطراً لئس إلى رفضها وإنما إلى أن أوحى إليكم بتلخيصها، مشيراً لهم بأنه بإمكانهم إيجاد ما يبحثون عنه في المالية المحلية «بقرص صرائك جديدة على انقبائل».

مؤامرة التمرد لعاشل سانه جورخو — 10 عشت — دشن معرض حول العمل الذي حققته اسبانيا في المغرب. وفي امهرس نُشرت مسودة نظرية حول التماثل بين البربر والاسبان «علم أن السُتَيب والبربر كانوا السكان الاوائل لاسبانيا والمغرب... وعدد من المدن على طريقي انصق تحمل نفس السانقة «ط» التي تعني وطن وأرض [...] وإن الاسم اريبي الذي يخلطه البعض مع «جبل» محمي، يشير إلى ساكن الساحل (الريف)؛

العبريين لاند وأن يجدوا ذراع الجمهورية دائماً مفتوحة من أجل استقرارهم في المغرب. وأنهى رحلته في القصر الكبير حيث اجتمع مع ماضلي الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني في «الدار الاشتراكية» وحذرهم بأنه «لا يمكن أن يغيب عن نظرنا بأننا نقوم بمهمة في الحماية، ولذلك لا يمكن أن تُطرح نفس المطالب التي تُقدم في شبه الجزيرة».

وبدأت سنة 1932 بزيارة أخرى، وهي الزيارة التي قامت بها لجنة من النواب الراديكاليين. وفي 16 يناير صرحت في سبته أن كل اسباني يُقيم بالمغرب يجب أن يظهر بين المسلمين كنموذج للتساك، وأن يضع على الرف ايديولوجيته معتبراً دائماً أننا نوجد أمام شعب محمي. وذهب أحدهم إلى حد المطالبة بأن لا توجد أحزاب حتى فيما يُسمى مواقع السيادة وهي المكان الذي كانت الحكومة الجمهورية تسمح فيه بوجود الأحزاب فقط. وبعد شهر شرع في نهج سياسة ترمي إلى فصل البربر عن العرب. فبينما كانت المنطقة الغربية مسلمة، استمرت المنطقة الشرقية في الحفاظ على مميزات البربرية. وكانت الاجراءات الجديدة مع استعمال العربية في الريف و[اللغة] الريفية في جباله. وم تكن الجمهورية تفعل سوى محاكاة ما كان الفرنسيون يقومون به منذ أمد بعيد، أي «القيام بطوير البربر خارج إطار الاسلام» (المرشال ليوصي)، مع الخذف المبيت الرامي إلى مضاعفة تقسيم الدولة المغربية. وفي اواسط مارس نُظم قانون الجمعيات في منطقة الحماية ويص فصله الرابع، في السند «ب»، على أنه «تعتبر غير شرعية الجمعيات التي تستهدف القيام باحدى أو بعض الجرائم التي تعرقل العمل الحامي لاسبانيا في المغرب». وأتى الربيع بزهنتين استعماريين في نثر أزبيا ومرتينيس بريو. فقد أكد الأول، خلال تدخله يوم 31 مارس في البرلمان، أنه من اللازم اعطاء الدليل للاهليين على أن اسبانيا قادرة على استعمار المغرب بشكل إسباني ومفيد. وخلال رحلة قص قصيرة عبر الحمسة، لقي الثاني، في 20 أبريل بالكارينو الإسباني بتطوان، الخطاب التالي: «على الصعيد السياسي لا ادرك تمام الادراك وجود ضرورة لاستمرار الكثير من لاسبانيين في رفع راية همة سياسية. إن اقسام إسباني امغرب إلى أحزاب ترتب عنه لها حسارة وطنية صرفه. إن المثل الأعلى هو التمكن من التوفر مثل فرنسا

ذهبتهم باتجاه [تشي] تصورات وافكار اسبانية». ورد على ذلك الجنرال تيرمن المدعو الفرنسي موافقا ومبدأ الملاحظة التالية: «إن التجربة تميل إلى إثبات أن الاهليين الذين مكثهم من التعليم الأكمل هم الأكثر عداء لنا». واختتم الحفل الجنرال قائد جيوش الاحتلال الاسبانية مؤكداً، بحدية، أن الجيش البطل في المغرب، سيكون في كل حين سداً للجمهورية ولاسبانيا في هذه البقاع. وإن قضية سان خرخو، الحديثة العهد، الذي كانت له علاقات طيبة جداً مع عسكري الحماية، هي التي تفسر هذا الاعلان عن الاحلاص.

وأهم الاحداث التي انتهت بها السنة الثانية للجمهورية هي انعقاد مجلس العرائش، ومرسوم 8 اكتوبر وتسليم رخص للتقيب عن المتجم واعتقال 500 وطني في باب تارة. إن اجتماع السكان المسمين بمنطقة لكوس، اجتماعين بالعرائش، اتفقوا على المصالبة بتوسيع الاصلاح الرراغي ليشمل منطقة الحماية دون أن يعبرهم أحد اي اهتمام، وفرض لاجراء المنخذ في اوائل اكتوبر الجوار على الاسبانيين لدخول منطقة الحماية، وكان العرب مصالون بالخواز للانتقال من بلدة إلى أخرى. ومن بين الخييات التي تذكر في هذا القانون، تمت الاشارة الصريحه إلى ضرورة «عدم تمكين الذين ينشرون علانية افكاراً أو مذاهب تشكل خطراً سياسياً أو اجتماعياً من الدخول إلى المنطقة». وكان السبب في اصدار المرسوم هو ضبط شاحنة محملة بالمواد الدعاية العوصوية خلال الصف. ومن المعلوم ب الفيدرالية الفوصوية الايبرية والكفدرالية الوطنية للشغل هما المنطمتان الوحيدتان اللتان حاولتا اقيام بعمل سياسي في وسط الجماهير الريمية.

وبلاضافة إلى ذلك، كان المرسوم يصر على أنه لا يمكن أن يستقر في المستعمرة، لا اولئك الذين يملكون ثروت اقتصادية ليستقروا كما نكس، أو الذين يمكنهم العيش من ريعهم. وفي اواسط الحريف سلمت لشركات مناجم الريف، وسيطولراره، والكتينا، وبني مساياء، وأورويان اندرندة أمريكيان مينس التي كانت تستغل الحديد والرصاص والأتينيوم المغربي، سلمت لها رخص من أجل التقيب في بني ورياعل (الحديد) ونمسما (الحديد) وبني حُرمار (ارصاص) والقصر الكبير (البنول) وسي بوزرة

وبعد ذلك يمكننا القول ريفيين أو ساحليين، فنحن كالأخرين [...] إيبيرو بربر الذين كانوا الابطال المحاصرين في ساكنطو وبوماسيا كما أن انديفيل وقرياطو المدافعين عن استقلال الوطن ضد فيالق قبصر مثلما كان القائد يوغورطة في الطرف الآخر بلابيض المتوسط كابوساً باللسة إلى الرومان [...] وفي إقليمي تركوند وليون توحد نواحي حافظ سكانها على المميزات العرقية وعلى ملامح سكان المغرب (الموريكاطوس). وقديما كان الرحال حليقي الرأس مع الابقاء على خصلة شعر في القذال، ومارلوا يستعملون، لحد الآن، السراويل المعربة .. إن محالس البدية مازالت تجتمع لحد الساعة مثل محالس أو الجماعات في امواء لطلق وعزابها وعيوبها. وليس من المحاطرة في شيء تأكيد نفس الأصل البربري [...] ويعلم أن اسلحة تحتفظ بكثير من التشابه مع اليسكية [...].»

وقد وضعت حداً لهذا الهذيان أطروحة جغرافية مدهلة عرضها السائب الراديكالي الاشتراكي أنطونيو حابين — البحر الايض المتوسط هو — وعبارات لمرتيس باريو لم يكن يصدقها حتى هو، مفادها أن المغربي قد أدرك جيداً مدفع السلم، وبما أن اتفاقاته الروحية مع الاسباني متعددة جداً، فهو يرتبط مع هذا الأخير علاقة صداقة طيبة، وإن لم تكن هذه العلاقة قد فضت نهائياً على أحقاد وكرهيات الأيام السالفة فإنها تحت جزءاً هاماً منها.

ولردع الاقلية التي كانت ما تزال تكره [الاسبان]، تم تطعيم مناورات عسكرية جديدة في شتمبر في تسمان كانت عبارة عن مناورات كبرى لاجتياح بوزرة متمردة في محال الريف. وتدريب حوالي عشرة آلاف رجل على الحصصيات المميرة لحرب الحما خلال أسوع. وفي الانحترع الذي عقده الصباط في اليوم الأخير بعد أن نه المندوب السامي إلى أن «الأهلي» ليس عدواً ولا مهزوما وإنما أخ يقوده نحو التقدم، ويحب رده إذا تمرد ضد لسلطة، غير أنه ليس عدواً، نه هاضرو في حاحة إلى وصيننا» سحل [المندوب السامي] أهداف السياسة الاستعمارية الجمهورية والتمثلة في «الابقاء على الريفيين في محيطهم والتهيء» بشكل تدريجي، لتطوير

(النحاس) وسبته (الانتيموم). في 30 نوفمبر، قام وفد هام من الوطنيين بزيارة الاسقف كليبوليس النائب الرسولي للمغرب في طنجة ليعرض عليه وضعه القمع الموحدة في المنطقة الأسبانية، وسلم له مذكرة توضح بشكل مفصل، أبرز الأحداث، وفي اليوم التالي سافر الأسقف إلى تطوان حيث بلغ للسندوب السامي بالمغاربة الذين قاموا بزيارته. وأدت حراستهم من طرف البوليس إلى اعتقال أزيد من 500 محرض وطني في عيد ميلاد المسيح، مما أدى إلى موجة من الاحتجاج في وسط السكان المغاربة ثم إسكانها بمزيد من نفمي [الوطنيين]. وركزت الوثيقة أساساً على موقف المراقبين (وكان لكل قبيلة مرافق) الذين كانوا، قبل وخلال وبعد الجمهورية، يتعاطون لنهب المنهجي والاستغلال العرب دون حدود. وكانت يدهم، كسادة اقطاعيين حقيقيين، السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية في الدوائر التي كانوا يراقبونها. وكانوا يتدخلون في قرارات القواد ويتفدون إلى الأجهزة التقليدية، وينظمون معاملات العقارية دون أن تكون لهم معرفة بالتشريع الإسلامي للملكية. كما كانوا يسهرون على القضاء دون أن يعلموا هل تتبع القبائل تعاليم القرآن أو على العكس قوانين الاعراف والتقاليد، ويقررون في الشؤون المالية مع جهلهم بضرائب الفوائد ويديرون الجماعات فاهرين قفزة مصارع ثيران وبذلك كانوا مستعمرين إسبانيين. ومما كان يزيد من خطورة ذلك، ما ينسب به أولئك من ثقافة عامرة رديئة، وتكوين غير كاف وجهل باللغة، وعقلية أبوية وجنوح مزمن إلى اعتبار القبيلة ساحة لجمعية خصوصية من اجرمين.

وافتح العام الجديد، وهو آخر مدة الستين الاصلاحيتين، خوان مولى المندوب السامي الجديد الذي صرح، حتى لا يكون دون مستوى سابقه، أنه لن يسمح بالدعاية الوطنية في المنطقة، وأن جبرالات الحمايات في إفريقيا سيكونون أفضل مستشارية. وكان خوان مولى هو المندوب السامي الرابع عشر الذي يتقلد هذا المنصب، بينما لم يعين الاستعمار الفرنسي خلال نفس المدة (21 سنة) إلا ثلاثة مقيمين عامين. وفي هذا الجانب، كما هو الشأن في جوانب أخرى، كان استعمارنا غير مرض بما فيه الكفاية. وفي شهر فبراير استقبل المغرب أولى زيارات السنة وهي زيارة

النائب ونسيلا وكاريو من جناح يسار الحزب الاشتراكي. ذلك أنه بعد الحملة البوليسية التي استهدفت باب تازة، كان القلق يسود في الأوساط الاستعمارية في مليلية. لكن لم يكن ذلك هو السبب، لأن اليسار الاشتراكي أيضاً التزم الصمت حول المسألة الاستعمارية. وفي 21 فبراير ألقى كاريو خطاباً وسط الاعلام والتهافتات الرولنارية بدار الشعب، لكنه لم يتحدث ولم يشر إلى المسألة الوطنية المغربية. وإن الاصلاحات التي أدخلت على القانون الجنائي لعام 1870، في 27 أكتوبر 1932، بهدف «أنسنة الوثيقة التشريعية القاسية» خلال مدة سنة تقريباً إلى حين إصدار قانون جنائي جديد، إن هذه الاصلاحات لن تطال المغرب حسباً أوضحته الحكومة في بداية الربيع. فالمغاربة سيقفون خاضعين لقانون الحرب لسنة 1914. وإن تخليد الذكرى العتوية لميلاد بيدرو أنطونيو دي أركون مداح الاستعمار الإسباني، ووضع لوحة تذكارية في الدار التي سكها بتطوان قد أثار استياء عميقاً في وسط الشباب الوطني بعاصمة الحماية. وإن الصرامة التي يطبق بها قانون الجوارات شهرت بها حتى الجريدة الاستعمارية «تلغراما الريف»، «لا يجب التضحية بشعب بكامله، بإخضاعه لاجراء غير منطقي ومقلق تعابشه الودي مع منطقة التحوم».

بعد أن وشح خوان مولى صدر قائد مجموعة الحدود النظاميين (ريگولاريس) لمدينة مليلية بميدالية سان فرناندو «حراً لسلوكه الطولي في فك الحصار عن كدية التامر خلال حملة الريف». وبعد تكريم الاستعماري البارز كانديدو لوبير حذر خوان مولى الفوضيين، في ماي، بأنه غير مستعد لتحمل سوء السوك نظراً للاتعكسات التي يمكن أن تكون له على المغربية. فإن المندوب السامي لمدة الستين الاصلاحيتين والمندوب السامي المقل للجهة الشعبية سافر إلى مدريد حيث غزا التحريض الوطني المتزايد إلى مائورات ملكية، معادية للجمهورية ومعادية لإسبانيا، وتحرض المغربية على التمرد. وبعد أن بحث النضال الوطني لشعب المغربي بالرجعية، باسم الديموقراطية، أضاف «طالبت أن يتعلم الاطفال الاهيون الاسبانية. ولن تسند أية وظيفة لأي هلي لا تتكلم لغتنا. وبصحت المراقبين، وهم موجهو ومرشدو المغربي، بتحفيظ الاهلي على استصلاح أراضي جديدة

- 2 — استقلال القضاء عن القواد.
- 3 — التخفيض من الضرائب.
- 4 — التحصيل أو الشروع في [إنشاء] التعليم الابتدائي.
- 5 — قبول المعاربة في المحاليس البلدية.
- 6 — مراقبة اسكان اليهود.

وللد على تصاعد الحركة الوطنية قررت حكومة الجمهورية القيام بالماورات العسكرية مرتين في السنة ابتداءً من 1933. وفي غشت قام من جديد 25000 رجل في السهل الأصفر بفرض الماورات الكبرى التكتيكية التي تمت في السنة الماضية؛ أي إبادة مجموعة من الغوار المسممين المتمردين. وقبل الاستعراض الذي انتهت به هذه التمارين، هدد موليس قائلاً «إن الاضطرابات، بينت لنا أنه لا يمكن ترك الحبل على العارب بالنسبة إلى الأهليين لمدة طويلة، بل من الضروري جعلهم يحسون، دون انقطاع، بشغل سلطه صارمه مع دراسه المشاكل التي تطرح لهم وبدون مقابل. غير أن تلك السلطة مصرة على الحفاظ على النظام والانضباط الضروري بالنسبة إلى شعب يحب حراسته ومارال بعيداً عن استكمال تطوره».

كانت العمليات الفرنسية في جنوب المغرب، المتاحم للصحراء، تعرضها صعوبة كون كثير من المقاتلين يستعملون إيفي والصحراء الإسبانية كقاعدة لمقاومتهم. واحتدت الضغوط الفرنسية على مدريد لتقوم باحتلال ما يعود لها وإلا قام الجيش الفرنسي بذلك. وفي صيف 1933، ذهبت جريدة إنجليزية «الدبي مابل» إلى حد اقتراح تعاون فرنسي إسباني في الصحراء علالية، من أجل تصفية بقايا «الحركة» الوطنية المغربية التي مزالت تقاتل بالسلاح. وبجحت باريس في «تطهير» الأطلس في بداية شتمبر. «لقد هزمتونا لكن أولادنا سيلقون بهم إلى البحر». ذلك ما صرحت به مجموعة من بربر الأطلس إلى مرسل «بوتي باريزيان»، وحاولت مدريد القيام بأول إنزال لها في إيفي. غير أن الثائرين رجال الدين كانوا على متن الباقلة الحربية «الميرانت لوبو» لم يجحوا حتى في رمي انحطاف لأن القنائل لا تدنو مستعدة لاستقائهم.

للري يمكن زرعها؛ فإذا تشبث الأهلي بالأرض وبمزروعات مثل القصب الذي يتطلب نموه أربع سنوات، فذلك يشكل ضمانة لهدوء المنطقة. يجب أن نخلق لهم مصالح، إنه السبيل الوحيد لكي لا يقدموا على طردنا».

ومع البدايات الأولى لحر الصيف، وصل إلى المغرب وزير الداخلية كسارس كيروثا، الذي صرح أن حكومة الجمهورية تدرس مخططاً يسمح بجعل احماية مكاناً للتوسع بالنسبة إلى التجارة والصناعة الأسبانيين. وبعد ذلك بأيام، في 2 يوليوز، انفجرت بالقصر الكبير أحداث عنيفة معادية للاستعمار. وكان السبب هو عرض مسرحي قدم لفائدة المدرسة الإسبانية — العبرية. وكان العمل الفني الذي وقع اختياره يتطرق لغزو اسبانيا من طرف لمسلمين، وكان الممثلون اليهود يرتادون ملابس عربية. واعتبر المغاربة ذلك بمثابة استفزاز، وطاقوا في المدينة في مظاهرة مطالين بتوقيف العرض المسرحي المذكور، وهاجموا مبني الاعدادية والمديرية وهيئة التدريس والسلطات الإسبانية ومقاهي «الابلط» و«لاس كلومناس» مراكز تجمع الاستعماريين واليهود. واضطرت عائلات يهودية وإسبانية إلى اللجوء إلى لعرائش لأن المعاربة استولوا على المدينة. وبعد أيام «حرر» الجيش القصر الكبير. إن السياسة الموالية لليهود التي كانت تتبجحها الجمهورية، كانت ترمي إلى استعمارهم كمناعة بلصواعق ضد الغضب الشعبي المغربي. إن الاسرائيليين كانوا الخرقاء الحسراء التي كانت الحكومة تلوح بها لكي لا يهاجم الاستعمار الإسباني مباشرة. ودون السقوط في أي نوع من معاداة السامية، من اللازم الاقرار بأن اليهود شكلوا عامل كبح للاعتاق المغربي؛ ويتحمل مسؤولية ذلك بالنسبة للاستعمار الإسباني — الفرنسي الذي كان يستعملهم كألة حربية ضد [الحركة] الوصية؛ والبرحوازية اليهودية التي كانت تقصر القيام بذلك الدور المكافئ جيداً بدون شك.

وبعد أسبوع، وقع تشبث مظاهرات جديدة بالعنف من طرف الجيش في تطوان. وبالرغم من ذلك استطاع القادة الوطنيون تسليم وثيقة لمنشوب السامي تتضمن المطالب التالية:

- 1 — إلغاء ما يُسمى «الظهير البربري».

وخلال الحريف، في نوفمبر، استقبل المغرب رئيس الجمهورية نسيو ألكالا سمورا الذي عبر فور وصوله عن فرحه لِمَا شاهد «الوحدة الكاملة والتداخل التام بين المسيحيين والمسلمين الموحدتين مع اليهود». ولذلك خصص أهم جزء من إقامته [بالمغرب] لزيارة الثكنات والمنشآت العسكرية. وفي معسكر دار الرقبين أشار إلى أن اللفيف الأحمي (ترسيو) يحقق في السمع نفس المآثر التي حققها في الحرب وعبر عن أمله في «أنكم واعدون برسالتكم وتستثمرون في العمل في الظل وبصمت كما هو ضروري لتدعيم هذه السلم. ولا نشك، ولو لحظة واحدة، أنه إذا اضطربت هذه السلم في يوم ما، وطلب منكم الوطن تصحيات جديدة، ستعرفون تقديمها برباطة جأش وبالموت إذا كان ضروريا. ومثلما مات احواننا بالأمس بالانتماء على الشفاء مرفوعي الرأس، سيموت نخلصكم إن كان ذلك ضروريا». وقبل العودة إلى مدريد دشّن رئيس الجمهورية الجزء الأول من الطريق الرابطة بين ملبدة وتطوان، والتي تشكل صلة وصل حقيقة بكل القائل لمبثوثة في المناطق الحبلية، والتي كانت تعيش معزولة عن المراكز الحضرية ودون مواصلات منتظمة. إنها طريق استراتيجية حقيقية لأن فعالية أي جيش رهينة بوسائل نقله وطرق مواصلاته. ومع ذلك، قدم ألكالا سمورا ذلك كعكة لاحتازات الاسبايين الاستعمارية.

وعلفت «لافيجي ماروكين»، الناطق الرئيسي باسم الاستعمار الفرنسي بالمغرب، باعجاب على زيارة رئيس الجمهورية. وقالت، إن لم يفعل الاسبايون إلا الصيل فذلك راجع إلى أن آخر طلقة نارية اخترقت لفضاء لم يمض عليها «إلا ست سنوات»، وانزلت الاستعراض العسكري الذي شارك فيه 6000 جندي في تطوان أمام ألكالا سمورا، «وذلك ما يبين أن فرنسي المغرب بمكهم أن يطعمشوا: إن الجيش الاسباني ميقط وقوي ويسهر على أمن البلد الريفي في الشمال، كما يفعل ذلك جيشا في الجنوب. إن المغربي خالص ضاهريا فقط، ونظرا لسوسولوجيته المتنوية يمكنه أن يؤل في الوقت الذي لا تفكر في ذلك».

وبدأت مدة الستين السوداوين تغيير في المدوية السامية حيث

استبدل خوان مولىس بمنويل ريكو أفيو، وفي التعليق على هذا التعيين اتفقت «أ.ب.س» و «إبل سوسباليستا» على قلة الاهتمام الذي توليه الحكومة لمغرب. ويشير الملكي كاتب المقال بنوع من النقد الذاتي إلى أن «الجمهورية تتبع نفس الرأي المتقلب الذي اتبعته الملكية». إننا مازلنا أمام نفس المشاكل التي كانت قائمة عند انطلاق آخر رصاصة، ويؤكد الاشتراكيون أنه «لا يمكن الحديث بحدية عن استعمار فلاح في الوقت الذي يموت فيه فلاحونا من الجوع والنسيان في المنطقة الشرقية، وهم الوحيدون المجتمعون في وحدات انتاجية. والمزارع التجريبية تنهار في عزلة مخيفة، والصناعة لا وجود لها. هناك فقط بيانات وراتب ومكافآت. وفي المغرب مازلنا مورطين في ربطة خيوط بينلوب، ولا تُمسك بالخيوط الذي يؤدي بنا مرة واحدة إلى اللبفة. والتبذير الوحيد هو تعاقب التدوين السامين على الأرض المغربية مثل طيران أسراب السنونو. ويُعيد لنا كل خريف سياسي مندوبا ساميا وفي كل ربيع يُؤخذ من جديد. وذلك حد مربح بالنسبة إلى المعين لكنه غير عملي بالنسبة إلى المستعمرة. إن السنوات ليست كسنوبو ييكر. إن السنة تحمل معها عدة أشياء لا تعود أبداً. وكل تعويض هو بمثابة سنة ضائعة» ولذلك فإن كاتب الافتتاحية — الماركسي — يتأسف مرة أخرى على عدم الاهتمام المطلق الذي توليه اسبانيا لهذا «العمل التمديدي الجميل» الذي عهد به إليها في المغرب.

كان ريكو أفيو يجهل كل شيء عن المغرب، وبالنسبة إليه كانت مهمته تقتصر على «أن لا يُشوش أي شيء اهتمام الحكومة بالمشاكل الوضعية». إن ماضيه كوزير للداخلية وككاتب عام لأرباب عمل مناجم الفحم بأستورياس، يبين بشكل واضح جداً الفكرة التي كانت للمندوب السامي الجديد حول «الاضطراب». لكن مشاكل استعمارية جديدة كانت تستقطب اهتمام الحكومة. وكما رأينا سابقاً، يقدر ما كانت الجيوش الفرنسية «تهديء» جنوب المغرب، كان يفرض على مدريد تسوية الوضع في الأراضي التي تملكها في المنطقة المذكورة. فما دامت تدث الأراضي مطوقة واما أن باريس لا يمكنها أن تقبل باستمرار ثورة للتمرد على حناح المناطق المحتلة وبجانب خط مواصلات ذي أهمية مثل مواصلات المغرب — البيجر، ليس

إلى رفض الذهاب إلى إيفني. وبعد ذلك بأيام، وجه الحزب الشيوعي نداعاً إلى الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني، من أجل تنظيم عمل مشترك يوم فاتح غشت «صد الحرب في إيفني وصد هجوم الامبريالية الإسبانية على الجماهير الشعبية لكطالونيا».

ونلاحظ أن الحزب [الشيوعي] واحة حقيقية وسط صحراء الكبت الذي ميز سياسة الأحزاب العمالية تجاه هذه المسألة في تلك الفترة. غير أن لواجهة ليست مزهرة كثيراً مادام الحزب لا يربط حرب إيفني بالوضعية في المحمية وإنما يربطها باضطهاد الرطنية الكطالونية. وبالإضافة إلى ذلك، يصادف هذا الانبعاث المعادي للاستعمار احتمال نشوب حرب جديدة. كل الأمور تميل إلى الإشارة إلى أن السياسة المعادية للاستعمار، ليست صالحة إلا في الظروف الحربية أو القريبة من الحرب. بحيث عندما تم احتلال إيفني دون مقاومة مسلحة مغربية وقع أقبال التنديد المعادي للاستعمار. وكان ذلك يعني الاستمرار في التحليل انطلاقاً من المصالح الإسبانية فقط. ومع احتلال عين النخلة — 10 يوليوز — وسيدي أحمد العروسي — 14 يوليوز — وسجاعة في 15 يوليوز، ينهي آخر توسع استعماري في تاريخ إسبانيا أنجزته جمهورية كادحي كل الطبقات. وبعد ذلك بتقليل رحصت الحكومة الجمهورية للشركة الإسبانية للبحث والاستثمار ش.م. بالتنقيب عن الفوسفات في الأراضي الصحراوية.

وعاد الاشتراكيون بسرعة إلى «الاشتراكية — الاستعمارية». ففي القاش حول الميزانية تدخل فيدرت، لثابت عن الحرب الاشتراكي العمالي الإسباني، على الشكل التالي: «عندما تواجه مسألة المغرب، فمن الضروري، قبل كل شيء، تبيان ما هو المدلول الذي أرادت الجمهورية أن تعطيه لنفقات التي تتم هالكه. ونحن الآن لم يكن المغرب يُثير إلا الكراهية وعدم المهيم. وعديدة هي الأرواح التي ضُحّت بها الأمة الإسبانية هناك وأكثر من عشرة آلاف مليون بسيطة بقيت مقبرة في تلك المنطقة السيئة الذكر. والآت بدأ يظهر المعنى الواضح لما يجب أن تكون عليه رسالتنا الحمائية وما سيكون عليه، بدون شك، في السنوات القادمة».

ثمّة إلا حلين استعماريين: إما أن تهجم إسبانيا وإلا فستضططر فرنسا إلى القيام بذلك، ثم إن الامبريالية الفرنسية كانت تطلب باستمرار أن تتحرك إسبانيا عسكرياً أو أن تعطيها، على الأقل، حق المطاردة. ووضعت الخطط أثناء سفر رئيس الحكومة الفرنسية هيريو إلى إسبانيا في خريف 1933. وفي نفس الوقت وقعت أحداث بسيطة في الحصور الاستعمارية وفي المعامل المختصة بانصبه.

في الداخلة، ومدينة كاتل، ورأس بوجدور ورأس جوي، والرأس الأبيض التي كانت في ملكيتنا منذ 1884. وكانت مساحة المقاطعتين تبلغ أزيد من 260.000 كلم مربع ولم يتم احتلالها من قبل لأن ذلك كان يقتضي قبح جبهة عسكرية رابعة في المغرب تُضاف إلى جبهات مليلية وسبتة والعرائش. وفي أواخر دجنبر 1933 انتهت مظاهرات الصحراويين بقمع شرس ومات خلالها النقيب سبصار كاولا.

وأدى تهيب القوات العسكرية التي سنشارك في هذا المشروع الاستعماري الجديد، إلى احتجاج عنيف من طرف الأحزاب العمالية. إنها المناسبة الوحيدة، خلال كل المرحلة الجمهورية التي عبرت فيها الأحزاب بدون لبس عن موقفها الواضح من الاستعمار. وفي 6 أبريل 1934، أي ثلاثة أيام قبل الغزو، كتبت «السوساليستا»: «لا يمكننا كبح ذعرنا. إن قوات مختلفة وجديرة بالثقة تخبرنا أن عناصر الحرب تتراكم حول Cabo Juby. عدة أجهزة للطيران مسلحة بالرشاشات والقنابل، وتوهم على تفاصيل دقيقة؛ لن نلح على التفاصيل لأنها لا تهم. والمهم هو التحذير. دعا على علم بعض التحضيرات التي تدعونا صراحة فما هي المسألة، التي نطرح معالجتها في إيفني والتي تستلزم الإرسال العفوري للآليات الحربية؟ إن التحضيرات تتم بسرعة كبيرة، وإن لم يمت الوقت بعد، نعلن عن تحوّلنا ورسمياً، لا شيء من هذا — ونحن نحسه خطيراً — قد طهر. وننتظر أن تتم طمأننتنا بالرغم من أن طمأننتنا لا ترتبط بالأقوال بقدر ما ترتبط بالبناء محتمل لهذه التحصينات».

وفي 20 أبريل، فضح نائب شيوعي بالكروطيس العزو ودعا الجنود

للوطن في ميادين القتال، فإنه يقوم الآن بعمل سام جداً في مجال الاستعمار
واسلم والتقدم».

وبعد أيام تفجرت ثورة أكتوبر، وأرسلت الحكومة جنود اللقيف
وبعض الوحدات النظامية والعرب من أجل نحق احتجاجات البروليتاريا
الاستورية. إن العنف والقسوة واللااسابية التي تهاجم بها هذه الوحدات
العسكرية المغربية، تساهم في تعميق اهوة القائمة بين البروليتاريا، الاسابية
والوطنية [المغربية]. وبالرغم من أنه لا يمكن بأية حال تحميل [مسؤولية]
سوك بعض المرتقة لشعب بكامله أو لطبيعته، فإن الواقع هو أن الدم
العمالي في المهاجر المنجمية، جاء ليشكل ستراً جديداً من عدم التفاهم
بين الشعبين الاسباني والمغربي. إن الكيب وعدم الوضوح إن لم يكن
التصفيق، للقمع في المغرب من طرف الاحزاب العمالية، شكل عرفة في
وجه فهم الطرف اسسم حتى لا يميز في كراهيته [بين عناصر] الأمة
المضطهدة. إن الظميين الذين أتوا إلى أوفيدو، صوا حقدهم ورعنهم في
لانتقام من الاسانيين دون أن يتوقفوا لتمييز إلى اية طبقه ينتمون؛ والعديد
من الجنود النظاميين كانوا شهوداً أو ضحايا الجرائم البشعة التي قترها
الجيش الاسباني.

إن الكراهية العمياء والحقبة التي كانوا يحسون بها تجاه الاستعمار
الاسباني ستملئت من طرف الذين كانوا حقاً المسؤولين عن الاستغلال
الاستعماري واستفادين منه. وبعد سنتين تكررت هذه المصورة من جديد
على نطاق أوسع؛ وتحمص هيئة أركان الاحزاب الماركسية مسؤولية تلك
المصورة. لأنها لم تر أو لم ترد أو تسطع أن تدرث أسلوب الترجمة العمية
للتحالف الموصوعي القائم بين الطبقة لعاملة الاسابية وسكرة الوطنية
المغربية. إن التجربة المأساوية للاكتوبر الاستوري كان يجب أن تكون درساً
لاستدراك ذلك الطلاق. ومع ذلك لم تنفع إلا في جعله أكثر عمقاً. وبدأت
لدعاية الماركسية حملة — ستصل إلى حد الخبوت وتقارب العث خلال
الحرب الأهلية — حول «محيات» المغاربة وبذلك كانوا يسهلون مهمة
الذين يستعملون رغبة الرقيق في الانتقام.

وبعد ذلك بأقل من شهر، في فاتح يوليوز، خلال الاحتفالات
بالمولد السوي، عادت [الحركة] الوطنية المغربية إلى التعبير عن وجودها.
فعند مرور الهدايا والجمعيات تُنشد دعاء، له دائماً طابع ديني، يمدح قداسة
ولي المدينة ويطلب الحمد والشكر من الله. وفي تلك السنة، وبفصل ذكاء
الشباب تحول الدعاء إلى شديد يتغنى بحرية المغرب. ولكي لا تنشأ مشاكل
كبرى — يتعلق الأمر بعمل ديني — اضطرت سلطات تطوان إلى تحمل
مرور الاستعراض عبر الشوارع والاحياء الرئيسية للمدينة. وخلال هذا
الاستعراض كان المتظاهرون يرددون شيدتين رئيسيتين:

يا مغرب، أبناؤك يكون على الحرية المفقودة
يا حرية أحدادنا، غودي إلها
غودي إلها ليحتفي نير الحماة
نير الأمة الاستعمارية
نريد الحرية والمساواة
تحت راية الاسلام
صيعنا كل حقوقنا
ويكي كيارنا الحرية
الحرية التي فقدوها يوماً
فقدوها بتعاملهم مع الدول الخامية.

وانتهت احتفالات المولد السوي بحوالي ألف اعتقال. وفي شهر
غشت طلب عبد الكريم، المنفي في جزر لارينيون، من الحكومة الفرنسية
العودة إلى المغرب أو إلى مكان أقل بُعداً «توجد معي أمي المتقدمة في السن
والتي لا تريد أن تموت قبل أن ترى بلدها من جديد، ومعني أبناء وأعمام
براءتهم بدمية ومازالوا في المنفى». ذلك ما كتبه عبد الكريم لوزير الشؤون
الخارجية الفرنسي. وبعد التشاور مع مدريد التي عارضت الطلب، رد
الوزير الفرنسي برفضه: «لأن غودتك ستشكل مضايقة كبرى بالنسبة إلى
جيراننا. إن الحرب بين اسبانيا والريف، اكتسبت طابع عنف لا يمكن محو
ذكره. إن حياتكم نفسها لن تكون في مأمن في شمال المغرب».

مع بداية الحريف حل بالمغرب وزيران، وزير الملاحه سير لوديل
ريو الذي صرح أن «أعمال السلم والاستعمار التي تُنجر في الحماية عبر
معروفة» ووزير الصناعة فرانسو لادي قال: «إن كان اللقيف يُكسب أمجاداً

وسجلت سنة 1935، ماعدا ليريرات الطقوسية — خ. مارياسيد ورير الاشغال العمومية ومرييس باريو وأميريكو كاسترو الذين أدلوا بتصريحات استعمارية معروفة — المظاهرات الوطنية بمناسبة موت عبد السلام بنونة خلال عيد الأصحى وعيد المولد النبوي، وسُفر خمسة وطنيين على متن دراجات إلى مدريد من أجل تسليم رسالة إلى رئيس الجمهورية. وسجلت هذه السنة أيضاً الأعدام الذي لا يُصدق رمياً بالرصاص، بسبب أعمال عُت خلال حرب الريف في سنة 1925، في حق وطنيين محكيين ساهما في كل مرحل الحرب لتحررية لوطية عبد الكريم، بقي واضحة النهار في 30 يونيو على الساعة 12 صباحاً تم اغتيال الوطنيين بن المختار ومحمد بن علي في سوق الحد بأمر من الجمهورية. إن هذه الجريمة كما كان شأن عدة جرائم أخرى وكأغلب الأحداث التي سردها هنا مررت دون أن تلاحظ على الإطلاق. وإن مناسبة أخرى لتوحيد ضحايا أكتوبر 1934 مع ضحايا الاستعمار الإسباني؛ هؤلاء الصحابا المعنلون من طرف نفس الحكومة الجمهورية؛ هذه المناسبة لم يستعد منها مع الأسف.

ومضاً عن ذلك، عرف تلك السنة مجهودات الحكومة للمشاركة، بشكل أو بآخر، في تقسيم الحشنة. وكان تصريح وزارة الشؤون الخارجية، بعد ما سمي بمعاهدة الأبيض المتوسط بين موسوسي ولا فال، قاطعاً بما فيه الكفاية: «إن إسبانيا مهتمة، أكثر من أية دولة أخرى، بهذه المسألة اعتباراً لاتساع شاطئها في البحر المذكور، واعتدراً لأن لأراضي الجزيرة التي هي بمثابة زهور زينة تقدرها لامة الأسبانية جمعاء، واعتباراً لمواقع السادة التي تملكها على الشاطئ الأفريقي واعتباراً لمنطقة الحماية، التي تحوطها لها المعاهدات في المغرب، لهذه الاعتبارات ترتبط هذه [الأراضي] أكثر فأكثر بمصر أمش. ولعده اعتبارات توحد حاضرة في الوعي التاريخي لوطيا، لا يجب قطع، بل لا يمكن أن نكون [إسبانيا] غائبة عن مباحثات لها علاقة بلرموز الاماسية لوجودنا الوطني ذاته».

وبدأت «أ. ب. س.» و«بلاكو إي نيكرو» و«الصول» حملة ليس فقط من أجل حق في العسمة، وإنما أيضاً لمضادة بأن نعاد إلى إسبانيا منصفه

ورغة التي احتلتها فرنسا لطرد عبد الكريم، ولتوسيع أراضي الصحراء وإيفي. ولإصلاح قانون الدولي لطنجة الذي كان سيحدد في 1936 مطالبة بأن تصبح هذه المدينة تحت السيادة الأسبانية. وكما كان من المنتظر لم تتأثر أية قوة امبريالية بهذه الدعاوي وبسرعة تم التخلي عن الموضوع لأن أحداثاً هامة كانت تجري في مجال السياسة الوطنية، إن أحزاب ونقابات اليسار التي اتفقت على برنامج من 14 نقطة، عقدت ما بين يونيو وعشت 1935 الاتفاقية التي تبلورت في جبهة شعبية.

ومن بين الانتقادات القليلة الموجودة، ربما كان تدخل اشتراكي — استعماري، هو أنطونيو أكونيا ماضل في «ح. ش. ع. إ.» ونائب اشتراكي عن المغرب في الكرتيس؛ أحسن نقد «للاستعمار الجمهوري — الاشتراكي»

سقوم بتلخيص لأهم فقراته، إنها طوية غير أنها غنية بتفاصيل اجلية الاستعمارية «للاشركيين — الاستعماريين».

«إذا نحن جهرنا بالمصالح النافعة جداً للمنطقة بالعناصر الضرورية لاعطاء تسهيلات للاهليين، لذي اليقين أنه من الممكن لتحصيص بوفرة من الميراثية المخصصة للعناصر المسلحة في الميزانيات المقبلة.

«من أهم مصالح الحماية، المصلحة المتعلقة بمكانب المراقبة التي تنكص بمراقبة الحياة السياسية والاقتصادية لقبائل. وتكلف هذه المكاتب بحماية كل نواع الضرائب المفروضة على الشعب بمقهور، وهذه الضرائب ليست بقبيل، وتكلف أيضاً باستجار أراضي الخوس [...] وهي مكلفة بالسهر على سجلات المواليد والموتى والزيجات والطلاق. وبالاصافة إن ذلك، تقوم برئاسة المحاكمات التي تُعقد بين سكان القبية.

«إن الجزء الأكبر من المرافق يُجهل العادات والتقاليد والمشرع الاسلامي واللغات التي تستعمل في الحماية؛ العربيه ولشحة. الأمر الذي

الذي يجعلهم غير مؤهلين للقيام بهذا العمل الدقيق جداً، مما يترتب عنه استياء الأهاليين من عدم الكفاءة التي تُمارس بها مهمة الحماية التي تتحملها إسبانيا هناك.

« ومن أسباب الاحتجاج أيضاً وجود كاتب واحد لـ 25000 من السكان في كل مكتب للمراقبة، ومع ذلك لا يتم اختيار الكاتب من بين الموظفين المتخصصين والمفتدرين. ويحدث أيضاً أن الأهاليين عندما يريدون الانتقال للعمل في أماكن خارج القبيلة عليهم أن يتزودوا بالرحضة المناسبة. لكن، خصوصاً عندما تكثر الأعمال الفلاحية بالمغرب، يضطر العديد من المغاربة إلى الانتقال من قبيلة إلى أخرى، وعندهم القيام بذلك الاجراء ولا يعني بهم إلا موظف واحد، وتتم الخدمة بتقصير واضح وذلك بسبب آخر للاستياء الذي أشير إليه.

« لا بد أن أتحدث عن مصالح الاستعمار [الفلاحي]. توجد في المغرب مديرية للاستعمار [الفلاحي] لها ثلاث مزارع فلاحية تجريبية. ويمكن لسيادة النواب أن يقفوا بوصح على الملايين المستعملة في هذه المزارع الفلاحية، ويأتي المندوب السامي ليصرح لنا أن الاستعمار [الفلاحي] لم يبدأ بعد. وأسأل الحكومة: في ماذا صرفت كل هذه الملايين؟ إن المستوصفات بدون أطباء، عندما كانت الملكية تقوم هناك بذلك السذير الصحيح كان بإمكانها أن تصرف في الأطباء العسكريين، لكن الجمهورية التزمت بالنقل من هذا النوع من العناصر الصحية بشكل كبير: إنها تكون أطباء مدبرين غير أنهم لا يوجد طبيب في كل مستوصف، وإن مستوصفاً يديره ممرض لكن دون أن يتوفر على الأدوية وعندما يطلبها لا يبعث بها إليه لعدم توفر المال. ويأتي المغاربة بجرحي إلى هذه المستوصفات ولا يمكن معالجتهم إلا إذا حملوا معهم ضمادة من قبيلتهم. إن ذلك لعار بالنسبة إلى أمتنا.

«ولو كانت للقبائل والمكاتب المراقبة مدرسة أيضاً، يُلقن فيها تعليم للصغار الأهاليين، وتقام بها مطاعم تشجيعاً للأهاليين الشباب على الذهاب إلى المدرسة، فحتى لو لم تقدمهم الرغبة في التعلم فسيجدهم بهم الجوع

وستقدم [هكذا] في المجال عمل إسباني.

«علينا أن نهتم أيضاً، في الميزانيات المقبلة، بالمساهمة في تكوين الشباب الأهاليين حتى يمكنهم تقديم خدمات مساعدة لكل الهيئات الرسمية للحماية؛ يجب علينا أن نساوم في تكوين الشباب الأهاليين هذا، لأنه إذا كنا ندعي تمدين المغرب، علينا نحن الجمهورية الديمقراطية إيجاد الوسائل الضرورية لتصبح الهيئات الرسمية في يد العناصر الأهلية. وهكذا إذا سلمنا في يوم ما إدارة وتسيير الشعب لهؤلاء الأهاليين سنكون قد أدينا مهمتنا بشكل كامل وهي المهمة التي أسندت لإسبانيا. وهذه المهمة، وهذا الجهد المواطن بهذا الشكل سيُعطي نتائج مفيدة لإسبانيا لأن شعارنا يجب أن يكون هو رفع المستوى المعنوي والمادي للأهاليين.

« وذلك هو ما لا يتم اليوم، لأنه لا يُعار أي اهتمام لما يتعلق بالاستعمار [الفلاحي]. إن المغرب ليس مخزناً للثروات، لكنه يتوفر على مناطق يمكن زراعتها وعلى المياه أيضاً، وفي العديد من الأماكن، يمكن القيام بدراسات لتوطين آلاف العائلات الأسبانية والأهلية المرتبطة فيما بينها اقتصادياً، والتي تشكل أمتن قاعدة للسهم. ليست للمغربي أية مصنعة في الفرد إن لم يكن له دافع ما، وباعت ذلك بالنسبة إليه لحد الآن هو الدوس، المستمر لأرضه.

« وعني أن أصرح بأن، أن السياسة التي تسبج اليوم ليست هي السياسة التي يمكن أن تصبج بها إسبانيا لكي تكون محترمة. لقد شاهدت كثيراً من الحالات الشبيهة بتلك المهارل التي كانت الديكتاتورية تنظمها لاستقبال الديكتاتور، رأيت تجميع المغاربة من أجل استقبال المندوب السامي، وتركهم بدون أكل من الساعة صباحاً حتى الساعة مساء وعرض على من تغيب دعيمة تتراوح بين 9 و 25 بسيطة، ويودع في السجن من ليست له إمكانيات مادة للاداء. وأعرف كيف تم اعتقال أهاليين، لا يمكن اتهامهم بأنهم وطنيون، أحسوا بشكل محترم ضد النظم السياسي القائم في الحماية. ومن واجبي أن أطالب حكومة الجمهورية بوضع حد لهذه المصائب وأن يعامل الشعب المعصي كما لم يعامل أبداً، لأن إسبانيا، إسبانيا الديمقراطية

لا ترغب في أن يكون لها أي كابوس مع مشكل المغرب.

«توجد معسكرات عسكرية مثل معسكر تركيشت يضم لواء وكتيبة من اللفييف الاجنبي (تيرسيو) وطابورا من الجنود النظاميين وسرية مدفعية كلها محاطة بالجبال في قلب الريف. وأي تمرد مغربي قد يكون كافيا ليقع شيء مماثل لأنوال أو الشاون. لا يجب أن تقام معسكرات في مواقع لا تضمن الشروط الاستراتيجية. ولا يجب أن تستقر وحدات من أجل إبعاش مدن وإنما من أجل اتقاء أي تمرد. وفي المغرب توزع القوات وفق متطلبات القرى التي أنشئت لتستعمل بل ولتعيش من محصول الميزانية المتأثري من وجود لواء للمشاة أو كتيبة اللفييف الاجنبي (تيرسيو) ولم تنشأ من أجل استغلال معين أو من أجل استثمار ثروة طبيعية.

«إنني واثق أن وزير الحرية إذا اطلع على هذه الاحداث سيصحح ويوزع الجيش بالشكل الذي يكون معه فعلا لضمان النظام والهدوء في المنطقة. وذلك بشق الطرق والمسالك لنقل القوى العسكرية حتى تحضر بسرعة لاجتداد أي انتفاضة محتملة. ويمكن القيام بذلك بسرعة بجيش مقلص العدد الى اثنى حد ممكن، لكنه فعال. لكن إذا لم يتغير النظام سنهزم من جديد مثلما هزمنا في 1921 و 1924 إذا ما دعت الضرورة الى تدخل الجيش في المغرب مرة أخرى».

وما لبث المغرب أن أصبح ليس كابوسا فقط بل تحفة خطيرة بالنسبة الى الجمهورية، ولم يكن ذلك بسبب أعمال الوطنيين تحديدا. وعند تحليل أسباب فشل الجمهورية الثانية، لا يوجد تقريرا أي عمل يتضمن في سرده لتلك الأسباب عدم حل المسألة الاستعمارية. يبدو أنهم يسون جميعا أن إسبانيا كانت تسيطر في شمال المغرب على أراضي تبلغ مساحتها 19.900 كلم / مربع يتجاوز عدد سكانها المليون نسمة، ويشكل هؤلاء القاعدة العسكرية الرئيسية للرجعية الإسبانية. من الاكيد أن القادة الجمهوريين كانوا يواجهون مشاكل داخلية خطيرة تكتسي صفة لأولوية ولم يكن الحل الكلي أو الجزئي للمسألة الاستعمارية يقل أولوية، لأنهم بعدم حله وقعوا الى حد ما، على الحكم القاضي بموتهم، وذلك لأنهم سهلوا [تكوين] قيادة

عامة بالنسبة الى المرجعيين الذين مستهم القوانين الجمهورية في مصالحهم. إن النظام الذي ولد في 1931 دخل التاريخ والسيف الكلاسيكي الاستعماري فوق رأسه. وكل محاولة التطور الديمقراطي والنمو الشعبي كانت تقتضي الاصطدام مع ذلك السيف عاجلا أم آجلا. وبالرغم من أن الجمهورية اتبعت سياسة استعمارية في الحماية، فإن جيش افريقيا صوب طغنة خمر لمؤسسات الجمهورية. كان المغرب بينته الاستعمارية نفسها «مطلقة لفاشية» في قلب الجمهورية البرحوارية. وتكفي قراءة لصحفة الاستعمارية الاسبابية الصادرة في الحماية لتكوين فكرة عن معادتها للديموقراطية. وانطلاقا من أن المحمي كان يظفر ويشاهد تصرف الحامي، كانت تلك الصحافة تنتقد بلداعة كل «عدم الاستقرار» لجمهوري وكانت تعتقد إذن أن الأهي سيفقد احترامه لموصي عليه. ذلك هو مصدر حنينها لديمقراطية برمودي ريبيرا ومدحها المهجي للاجراءات القمعية، وارتاحها لما رأت أن الجمهورية لا تحون وحدها مثلها العليا وإنما أيضا الجبهة الشعبية. وفي هذا السياق يندرج تذكيرها الدائم بعسكريين مثل سان حرخو الذي هتف به «كفائد» (كوديو) في مايو 1931 والمرشح عن المغرب في انتخابات 1933، والذي أصبح سجيناً بعد عشت 1932. وفي نفس السياق يندرج ثناء الصحافة على القدرة والعظمة التي تصور بها شخصية الجنرال فرانكو، واستقبال الجيوش التي سحقت ثورة استورياس، ج... إن الاستعمار بينته نفسها يولد الفاشية، وإن استغلالا لليباليا ودستوريا غير ممكن داخل مستعمرة. وهذا لا يعني أن جمهورية برحوارية لا يمكنها أن تكون استعمارية، كل جمهوريات البرحوارية كانت استعمارية - بل يعني أن كل الذين يقومون بالدور الحزن كجلادين للشعب المستعمر، هم بالضرورة فاشيون اعتبارا لدورهم. لم يدرك الفاشيون لماذا كانت الجمهورية ضرورية، ومنذ اللحظة الأولى كانوا ضدها وشكلوا سندا رفيعا لكل المؤامرات الرجعية الممكنة. إن المناورات العسكرية السوية في البداية، ثم نصف السنوية بعد ذلك من أجل الانقاء على الوطنيين المغاربة خائفين، كانت تمكن من الحفاظ على جيش مهيء تقيا. إن الامكانية الوحيدة التي كانت للجمهورية هي التحالف مع الوطنيين الذين كانت مطالبهم تقتصر في تلك المرحلة على المطالبة

حيواناتهم المداجنة. وستعطي الحبال والطرق بانقراض الرجال والدواب المذبوحة، وستشير أكوام من القايا المحروقة الى الموقع الذي كان يوجد فيه بيت «لان».

لم تكن للمغرب أية قيمة اقتصادية، والقيمة المحدودة التي كان يملكها - الحديد - كان من الممكن الاستمرار في استغلالها من طرف الرأسمالية الإسبانية، دون أن تكون السيطرة السياسية على البلاد ضرورية. إذن، لماذا حافظت الجمهورية على المغرب؟ الجواب الوحيد الممكن هو تنمية السياسة الخارجية الإسبانية للامبريالية الإنجليزية-الفرنسية، لأن خرق معاهدات 1904 و 1906 و 1912 كان يعني مواجهة المصالح الاستعمارية البريطانية و الفرنسية. كانت للعض مصلحة، ولعدة دوافع، في أن تستمر الجمهورية وفية للمعاهدات الدولية التي عهدت لها بمهمة «تهدئة» المغرب. وهي معاهدات لا تفيد بلدنا في شيء وفضحها كان سيقابل تعاطف الجزء الأكبر من الأمة. وكان بالامكان أيضا اختيار صيغ وسيطة من شأنها أن لا تصطدم جبهويا مع الاميراليين. إن إعادة السيادة للمغاربة - وهو ما كان يجب أن يتم - كان سيؤدي إلى تغيير خطير في الوضع الاستعماري القائم، لكن ايداع الانتداب الاستعماري، الذي سلمته لها دون أخرى، لدى جمعية الأمم كان ممكنا لاسيما بعد أن خصص لاسبانيا فئات الوليمة الاستعمارية. وبعد سنوات، فور انتهاء الحرب، فصح الفاشيون الاتفاقيات الاستعمارية المذكورة، وهاجموا الامبريالية الإنجليزية الفرنسية باعتبارها مسؤولة عن بؤسنا الاستعماري. ووضعوا انفسهم تحت مظلة الامبريالية الألمانية لمطالبة بجزء من المغرب الفرنسي والجزائر وتونس. وكان التخصيص الرئيسيان في قانون العام، فرناند و مريا كستيلا وخوسي مريا أرييلس، يقيمان الدليل على اهم لا يخرقون أي اتفاق سابق بمطالبهم لان كل اتفاقية تحتوي على بند ضمني حاضرا باستمرار ولا يكتب أبدا مفاده أن «كل المعاهدات مقدسة، لكن ليست أية معاهدة أرزية».

وكان بإمكانهم أيضا الاستمرار في المحافظة على الحماية ب «اسلوب استعماري تقديمي» يعني جعل مفعول الدستور الجمهوري أو على الأقل

بستقلال ذاتي واسع وتسيير إداري فعال. وهي مطالب قابلة للتحقيق كليا حتى في إطار طرح استعماري. وذلك ما لم يفهم أو لم يرد إدراكه والنتيجة نعرفها جميعا. طمعا من الأكيد أن الصراع الطبقي كان سيواصل مساره في إسبانيا لو لم يستمر في المغرب، لكن الرجعية ما كانت لتتوفر على نقطة ارتكاز لا تبعد عن شبه الجزيرة إلا بسبعة عشر كلم فقط. لم يكن لأي بلد استعماري ممنكات في تناول يده إلى هذا الحد، وذلك ما يزيد من خطورة تلك الارضي.

وبالرغم من ذلك فقد وقفا على العمى الواعي أو اللاواعي الذي أصاب الشخصيات الجمهورية. اليمين، اليسار، خلال الستين السوداء، خلال الستين الاصلاحيتين، اعداء الثورة، والثوريون، كلهم رددوا نفس النشيد الاستعماري، بأدوات موسيقية مختلفة، لكنهم أنشدوه. والتذبذبات الهائلة للسبسة الإسبانية لم تمس المغرب في شيء ونتائجها لم تعبر البحر لايض المتوسط. بل الاسوأ من ذلك شب صراع من أجل تبيان من هو أحسن مستعمر ومن يحسن التحكم في التقنيات القمعية ومن يحقر الأهليين أكثر. وأوقفوا [العمل] بالمستور عند الحدود المغربية ومعوا الاحزاب السياسية ورفضوا للمعاربة الذي يشتغلون في مواقع السادة حتى الاتء التنفيذي السياسي. والاستثناء الوحيد، وإن كان نسبيا، كان هو الفدرالية الفوضوية الايبيرية والكنفدرالية الوطنية للشغل. وتمت متابعة الجمعيات والاجتماعات والصحافة والماضلين الوطنيين، فضلا عن مواصلة تقسيم شعب بمساعدة قمع شرس. وكان ذلك بمثابة تسميد للارض لفائدة الرجعية الإسبانية، ومساهمة موضوعية في أن يمتد المنظر العام الاجباري والقمعي والناهب القائم في الحماية ليشمل كل البلاد. وبسرعة ذاتي الاسبانيون ملدات نظام فاشي. إن الأسلوب كان استعماريا الى حد أنه صيغت بسرعة العبارة القاتلة : إن الجيش الإسباني استعماري ويستعمر شعبه نفسه.

وكتب مانويل بنفيس في «زمرة يقودها العرفاء» يقول : «سيطلق الجيش في إسبانيا نفس الاساليب المتبعة في المغرب. ومثلما كانت تحرق القبائل في عملية عقاب، ستحرق منازل ومحاصيل الكاينكوس وستقتل

جزءاً منه يمد إلى ما وراء المضيق. وفي يونيو 1931 عندما زار وفد من الوطنيين الكلاسمورا وسلم له مجموعه من المطالب كان بإمكان ذلك أن يشكل مبادئة ملائمة جداً لبدء تحالف بين الشعب الإسباني والشعب المغربي. لقد تقرب المغرب من الجمهورية ولم يكن إلا الرفض إن لم يكن الاحتقار المطلق. وسيحدث نفس الشيء فيما بعد مع الجبهة الشعبية. ورأى الوطنيون المعاربة أن مطالبهم لا تجد أذناً صاغية عند الأحزاب العمالية إن المطلق - المشؤوم بالنسبة إلى الشعب الإسباني - بين الديمقراطيين الإسبانين وبين المغاربة، يتحمل مسؤوليته - ونكرر ذلك - الأولون (لديمقراطيون إسبانيون) وفد أدوا ثمن ذنبهم. إن عدم وجود سياسة معادية للاستعمار واضحة وصريحة في مختلف أنواعها الممكنة: الاستقلال أو التحمي عن ممارسة الحماية أو استقلال ذاتي، أو إقرار برامج إصلاحات ديمقراطية دنيا والتي قد تتوافق في آخر المطاف مع نص المعاهدات التي أقيمت بموجها الحماية، أي تهيب وتتمدى الشعب المغربي لممارسة الحكم الذاتي، إن انعدام تلك السياسة أدى إلى أن العمل ضد القوى الاستعمارية في إسبانيا، لم تكن له لا صرامة التوجيه ولا المدى الذي تتطلبه الظروف.

والدليل على ذلك هو أن اللائحة الطويلة للاتهامات التي رفعها العاشيون كأساس لمردهم لا تتضمن، ولو من بعيد، أي شيء له علاقة بالمغرب. وهم الذين أضروا بذلك القدر على ما يسمونه «النزعة الانفصالية» فيما يتعلق بالحق العادل في تقرير مصير القوميات الكطلانية والباسكية والكيبشكية، لا يتحدثون عن السياسة الاستعمارية ولا يهتمون بالجمهورية أو الجبهة الشعبية ولا يشيرون إلى وضعية الحماية في ظلها. وذلك لأن الرجعيين حتى لو بحثوا بالبحر، لن يتمكنوا من العثور على أي سبب للاحتجاج فيما يخص معاملة الجمهوريين والجبهة الشعبية لريفيين «الهمجيين». وعرف الرجعيون كيف يثمنون بدقة قيمة الامكانيات التي تقدمها لهم المستعمرة المغربية.

وبالرغم من أنهم يكادون لا يتحدثون عنها على العموم، إذ يقدمون تمردهم كرد فعل وطني، فمعظم المؤرخين مثل ريكاردو دي لسييرا عندما

يعلق على الحرب ضد عبد الكريم، في كتابه تاريخ الحرب الأهلية الإسبانية، نقلت منه زهرة ارتياح حينما يكتب: «من المهول التفكير في المصائب التي كان من الممكن أن يحملها معه سرطان الريف، لو بدأت معه الحركة الحديدة تصفد الاستعمار. فبالنسبة إلى المشرع اللاحقة لسان خرخر وهرانكو وقادة أفارقة آخرين كانت تهدئة المغرب تعني قاعدة لا تغدر بثمان وخرانا مشرباً مخلصاً ولا ينفد».

وكان من المعتاد أن توجد في مدن وثكنات منطقة شمال المغرب لوحة حجرية افتتحتها لمعربة بعد استقلالهم - نقشت عليها العبارة التالية «إن جيش إفريقيا إسباني بشكل مضاعف». ووصف الجنرال فرانكو، برؤية سديدة، المغرب بحجة الخط الأمامي وبأنه حجر زاوية انتصاره.



- (3) التحسين العام لظروف عيش وعمل الطبقة العاملة (الزيادة في الأجور، احترام عقد الشغل، الاعتراف بنقابات الصراع الطبقي، ضمان حرية أوسع بالنسبة للعمال في الرأي والتجمع والتظاهر والصحافة)
- (4) الحرية لكل السجناء الثوريين والعفو الشامل على المتابعين والمعتقلين ذوي الصفة السياسية الاحتجاجية.

رب أحد قد يجادل بما معاده أن المطالب المغربية لا تظهر، لأن الاقتراح تركز حول النقطة الأساسية، ولوجود رغبة في عدم معاكسة المجموعات اليرحارية «اليسار الجمهوري» و «الاتحاد الجمهوري» التي من المتوقع ان لا تكون لصالح تلك المطالب، وقد يُفسر الولع بالوحدة كل ذلك، إلا أن المسألة ليست بهذه السهولة. ففي مشاريع البرامج الطويلة المقدمة من طرف الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي، لم يترك أي مطلب جانباً، باستثناء المغرب بالطبع. ورغم حظر الاسهاب تعيد فيما يلي سرد النصوص الكاملة للمشروعين، ويعطينا ذلك فكرة دقيقة بما فيه الكفاية عن الصمم الهائل للاحزاب العمالية حيال صرخات احتجاج القبائل الريفية.

«نعتبر اللجنة التنفيذية للحزب الاشتراكي من المناسب عرض رأيها حول القط التي يجب أن تشكل، في نظرها، دليلاً لطموحاتنا من أجل بورة برنامج بفيد كقاعدة لتكثّل انتخابي مع المنظمات ذات الطابع العمالي ومع أحزاب اليسار الجمهورية».

وبذلك الغرض قسم الاشتراكيون الدليل المذكور الى جرئين. أحدهما شامل للقرارات التي تتخذ قبل اجراء استشارة الهيئة الانتخابية خصوصاً إذا كان لأحد أو لبعض الأحزاب الجمهورية المشار اليها تمثيل في الحكومة التي عليها أن تدعو هذه الاستشارة. والحزب الآخر بمثابة واجبات تنفذها الحكومة والكورطيس احدى في فترة ما بعد الانتخابات.

«نعتبر أن القرارات التي يجب اتخاذها قبل الانتخابات هي :

(1) الاعادة المطلقة للضمانات الدستورية بأقصى سرعة.

الفصل الرابع التهدئة II

في صيف 1935 بدأ ينضج اتفاق احزاب ونقابات اليسار. وفي نفس الوقت كانت إسبانيا تملك أكثر من 300.000 كلم / مربع من الأراضي الاستعمارية، يعني أكثر من نصف امتداد المتربول، وأكثر من مليون من السكان استعماريين. وقبل ذلك بسنة تم آخر توسع استعماري: إفني وجزء من الصحراء. وفي آن واحد، يذكر بالاجتماعات التي تمحضت عن ميلاد الجبهة الشعبية، وابعاد وطنيين مغربيين رميا بالرصاص في سوق احد، وهما محمد بن علي وس احتار، بجريمة الكفاح الى جانب عبد الكريم منذ عشر سنوات خلت. وقبل شهور وقع أول استعمال لجنود معارية في أوفيندو OVIEDO إلى جانب وحدات أخرى من جيش افريقيا. وعبر الوطنيون المعارية عن حصورهم السياسي على امتداد السنوات الجمهورية وكان قلق قبائل الريف واضحا، وتكونت الجبهة الشعبية من أحزاب لها تقاليد واضحة في معاداة الاستعمار، وأمل انغارية أن تأخذ الجبهة الشعبية بعين الاعتبار فقرة ما أو سطرًا ما من أحد مطالبهم؛ أو أن تطرح على الأقل ضمناً المسألة الوطنية في المغرب.. أمل بدون جدوى. مرة أخرى، وبشكل انتحاري، وقع تجاهلهم. واتفقت على هذا الموقف أحزاب اليمين مع احزاب اليسار الأكثر تطرفاً في الجمهورية الثانية.

وخلاص تجمع سياسي عقد بسينا منوميثال في يونيو 1935، اقترح الحزب الشيوعي على كل القوى العمالية والجمهورية انشاء الجبهة الشعبية وقدم كقاعده برنامجاً لتكوينها النقطة التالية :

- (1) مصادرة أراضي كبار الملاك العقارين... دون أي تعويض من أجل تسليمها مباشرة ومجاناً للفلاحين الفقراء والعمال الزراعيين.
- (2) تحرير الشعوب المصطهدة من طرف الامبريالية الاسبانية واعطاء الحق في التسيير الحر لشؤونها لكل من كطالونيا وبلاد البسك وكليسيا.

(2) العقوب شامل عن المظلمات العمالية التي تم حلها بمقتضى حكم قضائي نتيجة لأحداث أكتوبر.

(3) تأخير تاريخ الدعوة للانتخابات كلما سمح القانون بذلك حتى تعود الحالة الطبيعية بالعمل.

(4) احرية الفورية لكل المعتقلين الذين لم يقدموا للمحاكمات، والسراح المؤقت أو التخفيض من عقوبة السجن بالنسبة الى المعتقلين الذين حوكموا من أجل افعال لها علاقة بحركة أكتوبر الثورية. إصدار الاحكام بسرعة في كل المحاكمات الجارية والتي لها علاقة بنفس الأحداث.

(5) إعادة العمل بالبلديات المنتخبة بالاقتراع في 12 أبريل 1931. والمقاعد لشاغرة، بسبب وفاة أصحابها أو تطبيقاً لاحكام اصدرتها المحاكم، سيتم ملؤها بالتمنيل الذين تختارهم الأحزاب المختصة.

(6) الالتزام القاطع بأن تتخذ كل الاجراءات الضرورية لكي لا يتدخل أو يحاول التأثير على المعركة الانتخابية لا الولاة ولا نوابهم ولا القوى العمومية أو أية سلطة تابعة للحكومة. وستسلم محاضر الاقتراع مع كل الضمانات بمجالس الاحصاء.

وتحدد فترة استثنائية لتعديل اللوائح الانتخابية حتى يتمكن كل المواطنين الذين تم اقصاؤهم لسبب أو لآخر ولا يوجدون ضمنها، من المطالبة بإدماجهم فيها. إذا لم يكن اقرار البطاقة الانتخابية مصحوباً بكل الضمانات التي تحول دون أن يشكل هذا الاقرار امتيازاً أو وسيلة لتصفية عدد من الناحين، فيجب تعليقه حتى يتم تقديم مثل هذه الضمانات

إجراءات حكومية وتشريعات ما بعد الانتخابات :

(1) «إصدار عفو واسع على كل المحكومين بجرائم ذات صبغة سياسية أو اجتماعية. وستدرج الحالات التالية ضمن هذا القانون حتى يمكن الاستفادة منه :

أ- المحكوم عليهم بجرائم ارتكبت بمناسبة اضراب الفلاحين في شهر يونيو 1934.

ب- كل المحكوم عليهم بجرائم طعن الصبغة والدين لم يشلهم نص قرار القانون الذي صوت عليه الكورطيس في يونيو 1934.

ج- المحكوم عليهم بجرائم، ترتب كجرائم العام، ارتكبت بمناسبة حركة أكتوبر الثورية.

د- المحكوم عليهم بسبب جرائم ارتكبت فردياً دفاعاً عن افكارهم أو لمعارضة اجراءات حكومية تعسفية.

هـ- المحكوم عليهم بجرائم يعاقب عليها قانون المتفجرات.

(2) «إصدار قانون يمنح معاشات مدى الحياة لعائلات العمال الذين ماتوا نتيجة شطط رجال الشرطة في قمع حركة أكتوبر. وتعيين لجنة لتصفية الاحداث التي وقعت، وفرض العقوبات المدية أو الحبائية التي يستحقها مسببها [الأحداث].

(3) «الاعادة المطلقة لجميع لقوانين ذات الطابع الاجتماعي التي سنّها الكورطيس التأسيسي والمصادقة على :

أ قانون المراقبة العمالية الذي قدم مشروعه للمجلس التأسيسي من طرف الحكومة الجمهورية الاشتراكية.

ب- قانون يلغي كل القوانين التي سنها البرلمان الأخير.

ج قانون يُحدد عقوبات جنائية بالنسبة الى أرباب العمل الذين يخرقون القوانين ذات الطابع الاجتماعي والاتفاقيات المتخذة من طرف الهيئات الملكة لتنفيذها والسهر عليها.

د- مصادقة البرلمان على كل الاتفاقيات التي اقرها المكتب الدولي للشغل.

(4) «تأميم البنوك واتخاذ اجراءات صد هروب الراسمبل.

(5) «تأميم الأرض، باستثناء الملكية الصغيرة كما كان يحدها مالكوها، وتسليمها للاتفاق لشركات العمالية لتستغلها جماعياً. وكإضافة ضرورية :

أ- مصادرة آلات وأدوات ودواب الحرث التي يمكنها في ذلك الموسم ملاك الأراضي المؤتممة، ولتي ستصبح مع هذه الأخيرة تحت

إذا كان المشروع المضاد الذي تقدم به الحزب الشيوعي يتفق في أغلب المقطع [مع مشروع الحرب الاشتراكي]، فقد كان أكثر جذرية من هذا الأخير فيما يتعلق بالمعتقلين السياسيين والميشيا الشعبية المسلحة، ويختلف عنه فيما يخص المسألة الزراعية لكنه أيضاً لم يتعرض للاصطهاد القومي في المغرب.

(1) «الحل الفوري للكونغرس الحالي والدعوة الى انتخابات عامة في الاحل المحدد قانوناً».

(2) «الاعادة الفورية والمطلقة لكل الضمانات الدستورية. حرية واسعة للاحتجاج والظاهر والصحافة بالسسه الى الجماهير وهيأتها القافية والسياسية. النقض الفوري لكل القرارات والقوانين التي تعارض مع هذه الحريات».

(3) «الحرية الفورية لكل المعتقلين الموقوفين والسراح المؤقت للذين حوكموا من أجل افعال لها علاقة بحركة أكتوبر الثوريه أو تجاريم سياسية سبقت أو جاءت بعد أكتوبر».

(4) «العمو الشامل عن المظلمات العمالية التي تم حلها بمقتضى أحكام قضائية تبيح أحداث أكتوبر، وإعادة الأموال والممتلكات المحجوزة وإعادة كل المعاقبين بشكل انتقامي، بسبب هذه الأحداث الى مناصبهم فوراً. الحق الواسع بالنسبة الى كل الكادحين في التجمع والاضراب».

(5) «المساعدة الفورية للعاطلين بيواحهوا قساوة الشتاء والشروع في أعمال عمومية مختلفة لتشغيلهم».

(6) «إعاده العمل بالبيديات المنتخبة بالاقتراع في 12 أبريل 1931. والمقاعد الشاعرة بسبب وفاة أصحابها أو بصيفق لاحكام أصدرتها المحاكم، سيتم ملؤها بممثلين تختارهم أحزابهم...».

(7) «إعادة العمل فوراً بقانون كاتالونيا واحترام كل القوانين التي صادق عليها البرلمان الكطلاني».

(8) «حل المنظمات انماشية والملكية وتجريدها من السلاح، واغلاق نواديها ومراكز تأمرها».

تصرف اشركات العمالية بالشروط التي ستحدد.

ب- تحديد قانون الضريبة، التي تؤدها الشركات المنتفعة حسب القدرة الانتاحية للأرض. يعوض ويُبغى كل الالتزامات الضريبة الأخرى.

ح- ايجار برنامج واسع لسياسة مائية.

(6) «تأمين المصالح القروية بتجهيزها بالوسائل الصحية والثقافية الضرورية وبإنشاء السريغ لوسائل الاتصال واسفل بين المدن والقرى الذي يولد ويوطد التضامن بين مصالحها».

(7) «التعبير العميق والجذري بكل المؤسسات المسلحة بتعبير تكوينها وأساسها وصلاحياتها، وتعيين الأشخاص المدنيين والعسكريين الذين يمكنهم انقيام بالمهمة التي تُسند إليهم على أحسن وجه في قيادتها».

(8) «إنشاء مليشيا مسلحة يضم اليها الجمهوريون والاشتراكيون الذين يختارهم ويقترحهم الحزبان».

(9) «اصلاح التنظيم القضائي واصلاح نظام سيره. كل مواطن يعتقل يجب أن يُسَم مباشرة للقاضي المختص، ويُسمع على الشرطة أو القوة العمومية إحضاعه لاستنطاق لا يمكن ان تكون له، في جميع الأحوال، أية شرعية. ولا يمكن للمعتقلين أيضاً البقاء في محاجر الشرطة أو الثكنات أو أقسام المديرية العامة للأمن بصفتهم معتقلين. والتغيير الشامل لنظام السجون في كل مراتبه، والالغاء الفوري للحكم بالاعدام. تحديد لصلاحية القضائية لقانون القضاء العسكري في احوالهم العسكرية الصرفة».

(10) «اصلاح الادارة العمومية في كل دوائرها».

(11) «تعيين سفير لاسانيا في الاتحاد السوفياتي وإبرام معاهدة تجارية مع هذا البلد».

(12) «مواصلة سياسة الاستقلال الذاتي وإعادة العمل بقانون كاتالونيا في كليته والمصادق عليه من طرف المجلس لتأسيسي. وطرح القوانين التي تتقدم بها المناطق الأخرى للنقاش والمصادقة من طرف الكونجريس» في مدلولها الرامي الى الاعتراف بشخصيتها الخاصة في إطار الوحدة الوطنية».

ب- «كل المحكوم عليهم بجرائم لها نفس الصبغة ولم يشملهم نص قرار القانون الذي صوت عليه الكورطيس في يونيو 1934.

ج- «المحكوم عليهم بجرائم نصف كجرائم للحق العام ارتكبت بمناسبة حركة أكتوبر الثورية.

د «المحكوم عليهم بسبب جرائم ارتكبت فرديا دفاعا عن مثلهم العليا أو لمعارضة احراءات تعسفية ورجعية للحكومة.

هـ «المحكوم عليهم بجرائم يعاقب عليها قانون المتفحرات.

(2) «اصدار قانون تمنح بمقتضاه معاشات مدى الحياة لعائلات العمال الذين ماتوا نتيجة شغلهم وحال الشرطة في قمع حركة أكتوبر. وتعيين لجنة لتصفية الاحداث التي وقعت وفرض لعقوبات المدنية أو الجنائية التي يستحقها بسبب الأحداث.

(4) «التحسين العم لظروف عيش وعمل الطبقة العاملة. الاعتراف ثنائي ساعات للعمل في اليوم، و 44 ساعة عمل في الأسبوع. بالنسبة الى اعمال الذين يشتغلون في الصاعات غير الصحية وأيضا بالنسبة الى اشباب الى حدود 18 سنة العمل خلال ست ساعات في اليوم.

(3) «قانون الضمان الاجتماعي للعمال الصناعيين والزراعيين على نفقة أرباب العمل وللدولة بالنسبة الى حالات حوادث الشغل والأمراض واشيحوخة والعجز والحمل.

(6) «المصادرة بدون تعويض لأراضي الاقطاع والنلاء السابقين وكبار ملاك الاراضي والكنيسة وتسليمها العوري واجبني للعمال الزراعيين والفلاحين الفقراء لاستغلاله فرديا أو جماعيا حسب ما تقرره منظماتهم بشكل حر. وستوضع الاراضي التي تملكها الدولة رهن إشارة الفلاحين الفقراء والعمال الزراعيين لنفس الغرض. اعادة كل الممتلكات الجماعية للبلديات.

فزع ملكية آلات وأدوات ودواب الحرث التي يملكها في ذلك الموسم ملاكو الاراضي لمصادرة والتي ستصبح تحت تصرف العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء.

(9) «مراجعة قيادات الجيش والمؤسسات المسلحة الأخرى، وأيضا إدارة الدولة والمنصب العمومية لأعضاء العناصر الملكية والفاشية منها.

(10) «التطبيع الفوري لعلاقات مع الاتحاد السوفياتي، وتعيين سفير سبانيا في الاتحاد السوفياتي.

«وللدعوة للانتخابات سيتم الالتزام الرسمي من طرف الحكومة على أنها ستتخذ الاجراءات التي تضمن نراعتها. ويجب أن لا يتدخل أو يحاول التأثير على المعركة الانتخابية لا الولاة ولا نوابهم ولا القوة العمومية أو أية سلطة أخرى تابعة للحكومة. وستسهم محاضر الاقتراع مع كل الضمانات محالس الاحصاء.

«تحدد فترة استثنائية لتعديل اللوائح الانتخابية حتى يتمكن كل المواطنين، الذين تم إقصاؤهم لسبب أو لآخر ولا يوجدون ضمنها، من المطالبة بدماحهم فيها.

«يمكن لكل المواطنين القيم بوظائف يتم اسنادها على أساس الانتخاب. ونعنا لذلك ادراج اسمائهم ضمن لائحة المرشحين سواء في حالة وجودهم بالسجن أو في الاعتقال الاحتياطي أو أثناء قضاء مدة الحكم وأيضا بالنسبة الى الذين يوجدون في المهجر.

«يعين مجلس انتخابي وطني يتكون من ممثلي جميع الأحزاب الجمهورية والعمالية ويتكف بضمان نزاهة الاحصاء الانتخابي، ونخب التروير خلال الانتخابات. ويكون لهذا المجلس حق التدخل في كل الحالات التي تطلب فيها مه ذلك أو إذا اعتبر من المفيد التدخل، ويجب أن تكون قراراته مخترمة من طرف السلطات.

اجراءات حكومية وتشريعات ما بعد الانتخابات :

(1) «اصدار عفو واسع على كل المحكوم عليهم بجرائم ذات صبغة سياسية أو اجتماعية. وسدرج الحالات التالية ضمن هذا القانون حتى يمكن الاستفادة منه :

أ- «المحكوم عليهم بجرائم ارتكبت بمناسبة إضراب الفلاحين في شهر يونيو 1934.

إن الملكية الصغيرة، كلما كانت تستغل من طرف مالكيها لن تكون محترمة فقط بل ستتوفر كل الاستغلاليات لفلاحية، سواء الفردية أو الجماعية، على قرض فلاحى واسع لاقتناء الآلات وأدوات الحث والبذور ومواد البناء الخ...

سيتم إلغاء الديون المتأخرة والرهون والإيجارات المتأخرة وأداء السخرة القفودالية مثل الرسوم القفودالية والعقود الفلاحية لميودالية الخ... إن الدولة ستساعد خصوصاً على إنشاء تعاونيات فلاحية، وسيوضع تخطيط كبير لسياسة مائية وستتخذ إجراءات لتشجيع الريادة في الاتحاح لفلاحى.

يحدد قانون الضريبة التي تؤدها الاستغلاليات الفلاحية الفردية أو الجماعية حسب القدرة الانتاحية للأرض ويُغني [هذه قانون] كل الالتزامات الضريبية الأخرى.

«إحصاء العاطلين والافرار القوري لمسح إعانة للعمال الموجودين في بطالة اضطرارية على أن لا تكون قيمة تلك المساعدة أقل من ثلاث بسيطات في المدد وبسيطتين في الودي. الشروع القوري في اشغال ذات منفعة عامة - بناء مدارس ومساكن شعبية ومستشفيات لاستيعاب البطالة الاضطورية. تمديد المنصق القروية بتجهيزها بالوسائل الصحية والثقافية الضرورية وبالانشاء السريع لوسائل الاتصال والنقل بين المدينة والقري الأمر الذي يولد ويوطد التضامن بين مصالحها.

(8) «تأميم التنوك واتحاد الحرايات ضد هروب الرساميل إقرار الضريبة التصاعدية على الربح وعلى الأرباح الصناعية. إلغاء قانون التقييدات والتخفيض العام من الضرائب المفروضة على صغار التجار والصناعيين. توحيد الضرائب وتطبيقها برسم مقلص.

(9) «طرد الأخويات الدينية ومصادرة ممتلكاتها لعائدة الدولة.

(10) «التعليم العلماني الإخباري. إنشاء المطاعم المدرسية وخزانات الملابس لكي يُحصل الاصلال المحتاجون على المواد العدائية والملابس.

(11) «حل المنظمات الملكية والعاشية وتجريدها من السلاح واعلاق

مراكزه ونواحي تأمرها ومصادرة ممتلكاتها وثروتها.

(12) «التعير العميق والخنوري لكل المؤسسات المسلحة بتعير تكوينا ونظم سيرها وصلاحياتها. وحل ثلث التي يكرهها الشعب بسبب تصرفها. نصهر الجيش وكل المؤسسات المسلحة من الصراط الملكيين والعاشيين ويعين أشخاص مدنيين وعسكريين في القادة مخلصين للقضية الشعبية ويقومون على أحسن وجه بالمهام التي تُسند إليهم.

(13) «إنشاء ميثاقا شعبية مسلحة مكونة من العمال والفلاحين.

(14) «اصلاح النظام القضاي واصلاح نظم سيره. كل مواطن يُعتقل يجب أن يسلم مباشرة للقاضي المختص، ويمنع عن موظفي الشرطة أو القوة العمومية اختصاصه لاستقطافات لن تكون له، على أية حال، أية شرعية. ولا يمكن أيضاً للمعتقلين البقاء في مخافر الشرطة أو الثكنات أو اقسام المديرية العامة للأمن بصفتهم معتقلين.

التغير الشامل لنظام السجون في كل مراتبه ومع كل عقوب للمعتقلين، الانعلاء القوري لتحكم بالأعدام، وتحديد اختصاص قانون لعدالة العسكرية في الحرائم العسكرية الصرفة.

(15) «اصلاح الادارة العمومية في كل دوائرها. وتطهير الادارة من كل العناصر الملكية والعاشية واعداء الشعب

(16) «توطيد العلاقات مع الاتحاد السوفياتي وتدعيم سياسته السلمية. تطبيق العقوبات على ابلد المعتدي. مشاركة اسبانيا في معاهدات الأمن الجماعي. المصادقة على معاهدة تجارية مع الاتحاد السوفياتي.

(17) «إعادة العمل بقانون كطالونيا في كلفته والمصادق عليه من طرف المجلس التأسيسي، وصرح قوانين الأقاليم الأخرى لمناقشة والمصادقة من طرف الكورطيس. مواصلة سياسة الاستقلال الذاتي والاعتراف لشعوب بخصيتها الخاصة من خلال الحق في تقرير المصير».

لن كانت البذور ودواب الحث وأدوات ومواد البناء حاضرة في فكر قادة الاحزاب العمالية ساعة تحرير هذه الخطاطات، فإن الجريمة الاستعمارية التي كانت اسبانيا ترتكبها ضد المعارية بدوس استقلالهم، وتزريق

هذه الأخيرة من المناسب للمصالح الوطنية لجمهورية الأنضمام. في هذه الشروط، الى كتلة اليسار التي يجب عليها أن تنصل لمواجعة الرجعية في الانتخابات العامة لنواب الكوريس.

«وكمرضية ضرورية للسلم العام تشرم الاحزاب المتكتنه ب :

1) اصدار عفو واسع، يفتصى قانون، بالنسبة الى الجرائم السياسية والاجتماعية المرتكبة بعد نوفمبر 1933 وإن لم تكن قد اغتيرت جرائم سياسية اجتماعية من صرف الخاتم. ويشتمل [هذا القانون] الجرائم التي تكتسي نفس الصيغة ولم يتضمنها قانون 24 ابريل 1934. وتراجع، وفقا للقانون، الاحكام الصادرة كتطبيق غير مشروع لقانون التشرد لاسباب ذات صيغة سياسية. والى حدود اعطاء الاهلية للمؤسسات التي يقضي بها القانون المذكور يفيد تطبيقه ويتمتع استعماله في المستقبل لمتابعة مثل عيا أو اعمال سياسية.

2) «اعادة الموظفين والمستخدمين العموميين : الذين تعرضوا لتوقيف أو النقل أو الفصل المقرر بدون ضمانات في المحاكمة أو بواسطة الاضطهاد السياسي : الى مناصبهم. وتتخذ الحكومة الاجراءات الضرورية لقبول العمال الذين طردوا بسبب افكارهم أو بمناسبة اضطرابات سياسية، من جديد في مناصبهم الخاصة في كل المؤسسات العمومية وفي الشركات التي تدير مصالح عمومية وفي كل الشركات التي يكون للدولة فيها ارتباطات مباشرة. وفيما يتعلق بالشركات ذات الصيغة الخصوصية فإن وزارة الشغل سوف تتخذ الاجراءات الرامية الى إلغاء كل حالات الطرد التي تكون قد استندت على سبب سياسي اجتماعي وسيتم عرضها على اللجنة المختصة لتصف من تمت تصفيتهم بشكل غير مشروع طبقا لقانون السابق عن نوفمبر 1933.

3) «سن قانون يُسمح بمقتضاه تعويض مناسب لصبر الذي لحق بالاشخاص، لعائلات صحايا نشاط القوى الثورية أو أعمال غير مشروعة للسلطة أو القوة العمومية خلال القمع.

ودفاعا عن الحرية والعدالة باعتباره مهمة أساسية للدولة الجمهورية

وحدثهم، وخطب كرامتهم، وهب ثرواتهم، وحرمان الجماهير الشعبية من وصيتها، والاستغلال المضاعف لدروليشريا الصناعية والرياعية التي كانت نقصا. مقابل نفس العمل الذي تقوم به الدروليشريا الاسبانية، أحرأ أضعف بكثير من أجر هذه الأخيرة، ومنع الدروليشريا المغربية من حق التنقيب، بالرغم من أنها تشارك بنشاط في الاضرابات، ومن الفضل في الاحزاب الماركسية، وتسليط القمع الشرس على الافكار الوطنية : إن كل هذا لم يرد في جدول مشاغل قادة الاحزاب العمالية. وهو ما يؤكد الصورة النابية التي كان المعمرون الاسبان يصورون بها دور الأهليين في اجتماع : «إن قيمة أي حيوان أكبر من قيمة حقنة من المعارة».

في 15 يناير 1936 تم الإعلان عن برنامج الجبهة الشعبية، الذي عدل بشكل هائل من طرف الأحزاب الجمهورية. كان من الواضح، كما ورد في الصاعقة البائية أن الاحزاب الثورية كان بإمكانها إضافة المطالب المعرية دون أن يثير ذلك مشاكل كبرى، وبعد ذلك يعبر «الاتحاد الجمهوري» و «اليسار الجمهوري» عن رفضهما هذه النقطة أو تلك. وفي نهاية المطاف لم تكن المطالبة بالاستقلال أو بالاستقلال الدائي للمغرب أخطر من تأميم البنوك والأراضي. ولو طرحت ما كانت الأحزاب البرجوارية لتقبلها مثلما لم تقبل المطالب الأخرى، وكانت الأحزاب العمالية ستكون قد احترمت، على الأقل، تقليدها المعادي للاستعمار.

لم يتم لأمر كذلك، وجاء بين الجبهة الشعبية على الشكل التالي : إن الاحزاب الجمهورية، اليسار الجمهوري، والاتحاد الجمهوري، لشبيبة الاشتراكية، والحزب الشيوعي، والحزب القاني، والحزب العمالي لتوحيد الماركس : من غير المساس بالحفاظ على مسلمات مذهبها : توصلت الى الالتزام بمخطط سياسي مشترك، يساعد كأساس لتكتل قواها المختلفة في المعركة الانتخابية المقبلة، وكقاعدة للحكومة يجب على أحزاب اليسار الجمهورية أن تطلقها، بدعم من القوى العمالية، في حالة الاتصال. وتعلن [هذه الأحزاب] أمام الرأي العام أسس وحدود اتفاقها السياسي وتطرحها على أنظار المنظمات الجمهورية والعمالية الباقية إذا ما أعتبرت

ولدستورها، فإن الاحزاب المشكلة ستعمل على :

3 - 1 «إقامة سلطة الدستور من جديد. وستتم متابعة اختلافات المرتكبة ضد القانون الاساسي. ويجب ان يكون القانون الاساسي لمحكمة اضمائات موضوع اصلاحات حتى لا يكون الدفاع عن الدستور موكولا لضمائات تكونت بقناعة ما أو نتيجة مصالح مصادرة لسلامة النظام

3 - 2 «مباشرة سن قوانين أساسية اكدها الدستور وهي ضرورية لسيره العادي وعلى اخصوص القوانين الاقليمية والبلدية التي يجب أن تستلهم الاحترام الصارم للمبادئ المعلنة في الدستور. سيباشر الكورطيس اصلاح قانونه بتغيير بنية ووظائف الدفن الرلمانية التي ستصبح مكلفة، بمساعدة امينات التقنية لمحقة بها، بالاجراء المكون لقوانين.

3 - 3 «إقرار مبدأ السلطة بكل مفعوله، لكن يُلزم بممارسته دون الانتقاص من أسباب الحرية والعدالة. يُراجع قانون النظام العام ليحمي المواطن بشكل أفضل ضد تعسفية الحكم ودون أن يفقد ذلك، القانون من فعايته الوقائية. ستخذ أيضاً الاجراءات الضرورية لتجنب التمديدات التعسفية لحالات الاستثناء.

3 - 4 «تنظيم قضاء متحرر من الاسباب القديمة لتراتب الاجتماعي والامتياز الاقتصادي والموقع السياسي. وبعد إعادة تنظيم القضاء ستوفر له شروط الاستقلال التي يضمنها الدستور. يتم تبسيط الاجراءات في القضايا المدنية وتعطي سرعة أكبر للطعن أمام المحاكم المختصة في المنازعات الادارية مع توسيع صلاحيتها. وستعطي للمتهم ضمانات أكبر في القضايا الجنائية. تُقيد القوانين الخاصة، والعسكرية منها خصوصاً، لسطر في الحرائم العسكرية الصرفة وتتم أنسنة نظام السجون بالغاء المعاملات السيئة أو نظام العزلة الذي لم يُقرر قضائياً.

3 - 5 «اجراء تحقيق لتحديد المسؤوليات الملموسة، في حالات الاعتداء التي قام بها رجال القوة العمومية في ظل قيادة الحكومات الرجعية، حتى يتم التحقق من الخطأ الفردي وتتم معاقبته. ويشرع في وضع إطار لوظائف كل هيئة داخل حدود قوانينها الخاصة. ويتم اختيار قيادتها ويعاقب

بالفصل عن المصلحة كل موظف يرتكب معاملات سيئة أو يتخيز سياسياً. تنظم هيئة المراقبة بموظفين اكفاء ومخلصين تمام الاحلاص للنظام.

3 - 6 «مراجعة قوانين انضباط الموظفين وتتخذ عقوبات مشددة ضد كل تقصير أو تجاوز لفائدة مصالح سياسية أو في حالة الحاق ضرر بالحريئة العمومية.

4 - «لا يقلل الجمهوريون مبدأ تأميم الارض وتسليمها للفلاحين الذي طالب به مندوبو الحزب الاشتراكي. ويعتبر الجمهوريون الاجراءات التالية مناسبة وترمي الى خلاص الفلاح والمزارع المتوسط والصغير لأن ذلك ليس انصافاً فقط وإنما لانه يشكل أمثن قاعدة لاعادة بناء الاقتصاد الوطني.

4 - 1 «التخفيض من الضرائب والمكوس كإجراء لمساعدة المزارع الذي يعمل في أرضه. معاقبة الربا والتقليص من عمليات البيع المنافية للقانون. إعادة تقويم منتحات الأرض وخصوصاً القمح والحبوب الأخرى، واتخاذ اجراءات للقضاء على الوسطاء وتجنب مؤامرة أرباب المطاحن. تشجيع تجارة تصدير المنتجات الزراعية.

4 - 2 «يُنظم تعليم زراعي وتقدم الدولة مساعدين تقنيين كإجراءات لتحسين ظروف الاناج الزراعي. وتُرسم مخططات لتعويض بعض الزراعات وإقامة أخرى جديدة بالمساعدة التقنية والاقتصادية للإدارة العمومية. تنمية المراعي وتربية المواشي وإعادة تشجير العايات. القيام بأعمال مائية واعمال لاقامة الري واستصلاح أراضي للري. تشييد طرق وبيات قروية.

4 - 3 «إجراءات من أجل اصلاح ملكية الارض : الالغاء الموري للقانون المعمول به حول الابحارات. تراجع اجراءات طرد المستأجرين التي تمت. يعزز في الملكية المستأجرون القدامى والصغار، إثر تصفية مقدمة. يُسن قانون لايجار يضمن : الاستقرار في الأرض ويسر ثمن الربيع الذي يكون قابلاً للمراجعة، منع اليجار بالخلف وأشكاله المقتنعة، تعويض التحسينات المفيدة والضرورية التي يقوم بها المستأجر والتي تصبح سارية المفعول قبل أن يتخلى المزارع عن العقار، التمتع بحق ملكية الأرض

المصالح الخصوصية التي تستفيد منها مباشرة. إن الجمهوريين لا يقبلون مساعدة البطالة التي طالب بها المشغون العماليون، ويعتبرون أن إجراءات سياسة الفلاحية والإجراءات التي ستتخذ في فرع الصناعة والأشغال العمومية، وإحتمالاً كل مخطط إعادة البناء لوطني، يجب أن لا تؤدي عايتها فقط وإنما أيضاً المهمة الأساسية المتمثلة في امتصاص البطالة.

6 «يجب أن تكون المالية والبنوك في خدمة مجهودات إعادة البناء الوطني دون تجاهل أن قوات دقيقة مثل مؤسسات القرض لا يمكن إكراهها بأساليب القسر كما لا يمكن إعاشتها من خارج الحقن المأمون لتطبيقات المرحمة والتوظيف المكسب.

إن الأحزاب الجمهورية لا تقلل إجراءات تأمين البنوك المقترحة من طرف الأحزاب العمالية، إلا أنها [الأحزاب الجمهورية] تعترف مع ذلك بأن نظامنا البنكي يسبب بعض التكميلات إذا كان عليه القيام بالمهمة الموكولة إليه في إعادة البناء الاقتصادي لاسبانيا، ونُشير إلى الإجراءات الثانية وهي مجرد تعداد لبعض الأمثلة :

6 - 1 «تسيير بنك اسبانيا بشكل يضطلع معه بمهمته في تنظيم القرض بكيفية ملائمة لما تتطلبه مصلحة اقتصادنا، ويُفقد صاعه كمافس البنوك مع تصفية مديراته المحمودة.

6 - 2 «إخضاع البنوك الخاصة لقوانين تنظيم تشجع سيولتها [المالية]، انطلاقاً من المبادئ الكلاسيكية التي أبرمتها من حديد تجربة الامرات الأخيرة، من أجل تعزيز ضمانات مودعي المال، وللخدمة المستنزمت المالية لسياسة إعادة البناء الاقتصادي التي يلتزم بها هذا البرنامج.

6 - 3 «تحسين نظام سير صناديق التوفير حتى تلعب دورها في خلق إرساميل، وأيضاً بسن الإجراءات لضرورية حماية التوفير الخصوصي، وتحديد مسؤولية المؤسسات والوكلاء في كل أنواع الشركات. وفيما يخص المالية، تلزم [الأحزاب] بالقيام بإصلاح ضريبي يستهدف مرونة أكبر للضرائب وتوزيعها أكثر عدالة للأعباء العمومية مع تجنب التوضيف غير المشروع للقرض العمومي لأغراض استهلاكية.

التي تم حرثها خلال فترة من الزمن، تشجيع أشكال التعاون وتنمية الاستعلايات الجماعية. نهج سياسة لتوطين عائلات فلاحية وتزويدها بالمساعدات التقنية والمالية الضرورية. سن قوانين لاسترجاع اممتلكات الجماعة. إلغاء القانون لذي أقر إرجاع وأداء ثمن مزارع البلاء.

4 - 4 - 1 «سن قانون أو مجموعة من القوانين تحدد قواعد حماية الصناعة يشمل الضرائب والاعفاءات الضريبية وأساليب تنسيق ونظم الأسواق ووسائل المساعدة الأخرى التي تقدمها الدولة لفائدة الإنتاج الوطني. تشجيع الإصلاح المالي للصناعات من أجل التخفيف من أعباء المضاربة التي تضغط على مردوديتها وتعطل نموها.

4 - 4 - 2 «إنشاء مؤسسات للبحث الاقتصادي والتقني تستقطب منها الدولة عناصر لإدارتها السياسية ويستقطب منها رجال أعمال عاصر تحدد مبادراتهم بشكل أفضل.

4 - 3 - 3 «اتخاذ الإجراءات الضرورية لحماية خاصة للمقاولات الصناعية الصغيرة والتجارة الصغيرة.

4 - 4 - 4 «الرفع من نشاط صناعاتنا بواسطة تخطيط للاشغال العمومية يُشير إلى عمليات التمدين وإلى إصلاح السكنى القروية وستحسب في ذلك التخطيط مسبقاً المواد التي تُستهلك وأثمانها لضمان مردودية هذه الأعمال.

5 - «يعتبر الجمهوريون أن الاشغال العمومية ليست فقط وسيلة للقيام بالأعمال الاعتيادية للدولة، أو مجرد نهج ظرفي وغير كامل للاعتناء بالبطالة؛ بل يعتبرونها أيضاً وسيلة فعالة من أجل توجيه الادخار نحو أقوى مباحث الثروة والتقدم المهمة من طرف مبادرة المقاولين.

5 - 1 «يتم إنجاز مخططات كبرى لبناء مساكن حضرية وقروية ومصالح تعاونية وطرق للمواصلات وموانئ وأعمال الري، أو إقامة الري أو استصلاح الأراضي.

5 - 2 «ولإنجاز هذه الأعمال، سيصدر تنظيم تشريعي وإداري يضمن الاستفادة من الأعمال وحسن إدارتها والمساهمة فيها من طرف

6 3 1 «تراجع بعمق الضريبة المباشرة، وستتوقف عن سيرها العادي الى أن يُعاد تنظيمها على أسس تصاعدية.

6 3 2 «يتم إصلاح الضريبة غير المباشرة بالبحث عن تنسيق اندخل الخصوصي مع تكاليف الاستهلاك.

6 - 3 - 3 «يتم إصلاح الادارة الضريبية لتكون أداة فعالة للسياسة اضرية الجديدة.

7 - «إن الجمهورية التي تصورها الاحزاب الجمهورية، ليست جمهورية توحها دوافع اجتماعية او اقتصادية طبقية، بل نظام حرية ديمقراطية تحركه دوافع اصالح اعام والتقدم الاجتماعي. ولهذا السبب الحازم بالضغط، من واجب السياسة الجمهورية تحسين الظروف المعنوية والمادية لعمال الى الحد الاقصى الذي تسمح به المصلحة العامة للانتاج دون اعتار. خارج هذا العائق، للتصحيحات التي يجب أن تُفرض على كل الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية إن الاحزاب الجمهورية ترفض المراقبة العمالية، التي صالبا بها وفد الحزب الاشتراكي وتوافق على ما يلي :

7 1 - «عادة العمل بالتشريع الاجتماعي في نقاوة مادته، ومن أجل ذلك سنسن الاجراءات الضرورية لكي تكون العقوبات المتخذة بدون مفعول، بهدف ضمان التطبيق الأكثر اخلاصاً للقوانين الاجتماعية.

7 2 - «إعادة تنظيم قانون الشغل وفق ما يضم استقلاله، ليس فقط من أجل أن تصل الاطراف المعنية الى وعي عدم انخياز قراراته وإنما أيضاً حتى لا تنفي هذه الاطراف، مهما كانت الاحوال، دون التقدير لضروري لدوافع المصلحة العامة للانتاج.

7 3 - «تصحيح مسلسل انهيار الأجور في البوادي، وهي أجور جوع حقيقية، بتحديد أجور دنيا من أجل ضمان حياة كريمة لكل عامل. وخلق جريمة تخفيض الأجرة التي يُتابع بها تلقائياً أمام المحاكم. وبالرغم من أن سياسة إعادة النداء الاقتصادي يجب أن تؤدي الى امتصاص البطالة، فمن الضروري بالاضافة الى ذلك تنظيم التضامن إدارياً وتنقياً بإقامة المصالح الضرورية للاحصائيات والتوضيح، ومكاتب التشغيل وترصات الشغل مع

الاهتمام بطلالة الشباب بشكل خاص ؛ دون نسيان مؤسسات التوقع والضمان التي يكفها الدستور والتي يجب أن تُجرب على أسس من نوع اجتماعي. وعلى الجمهوريين أن يولوا للاسعاف العمومي ولاعمال الخيرية والصحة الاهتمام الذي تستحقه عند كل شعب متحضر دون المساومة في انتصحات. وتوحد تحت إدارة الدولة، المؤسسات المختلفة للوقوف الخصوصي مع تجميع مواردها دون المساس باحترام ارادة المؤسس.

8 - «يجب على الجمهورية أن تعتبر التعليم كاحتصاص لا يمكن رفضه من طرف الدولة في مجهودها السامي الرامي الى تحقيق اعلى مستوى من المعرفة، وبالتالي أعى مستوى معنوي بالنسبة الى أغلبية مواطنها، فوق كل الاعتبارات الدينية ولطبقية.

8 1 - «الدفع الى إنشاء مدارس للتعليم الابتدائي مع إقامة مطاعم وخزانات الملابس والتخيمات المدرسية والمؤسسات الملحقه الأخرى بمعدل ما أمحر خلال السنوات الأولى للجمهورية. ويجب أن يخضع التعليم الخاص لمرقة ممانئة للمراقبة المفروضة على المدارس العمومية وذلك خدمه للثقافة.

8 2 - «إنشاء مدارس التعليم المتوسط والمهني الضرورية لتعليم كل المواطنين الموجودين في وضعية تلقى ذلك التعليم في هذه المستويات.

8 3 - «العمل على تمركز التعليم الجامعي والعالي حتى تم خدمته كما يجب.

8 4 - «توضع حيز التنفيذ الوسائل الضرورية لضمان ولوج التعليم المتوسط والعالي من طرف الشباب العمالي والطلبة المختارين نتيجة كفاءتهم على العموم.

إن الاحزاب التحالفية ستعيد الى موقعه وبكل قوته تشريع الاستقلال الذاتي الذي صوت عليه الكورطيس التأسيسي، وستعمل على تطوير مبادئ الاستقلال الذاتي التي بص عليها الدستور وستوحه السياسة الدولية نحو الالتزام بمبادئ وأساليب جمعية الأمم.

عن اليسار الجمهوري أموس سلفادور إي كيراس؛ وعن الاتحاد الجمهوري بيرناردو خيردي لوس ريوس؛ وعن الحزب الاشتراكي العمالي

الاسباني خوان سيميون فيدرات ومانويل كوردوبو؛ وعن الفيدرالية الوطنية لشبيبة الاشتراكية خوسي كسورلا؛ وعن الحرب الاشتراكية أنجيل بسطانيا؛ وعن الحزب العمالي للوحدة الماركسية خوان اندراد؛ وعن الحزب الشيوعي فيسنت أوربيي.

لماذا لم تُدرج المسألة الاستعمارية ضمن هذه المجموعة من الخلافات؟ إن الخوف سهل: إن الذين كان عليهم اقتراح ادماجها لم يفعلوا ذلك؛ وبهذا الشكل اتفقت برامج اليمين واليسار على نقطة هي غض الطرف عن المستعمرات، وبالتالي تأييد الاستمرار في استغلال المغرب، وكل هذا دون تسيان غينيا، التي وإن لم يوجد فيها تحريض وطني من مستوى التحريض الذي يعرفه المغرب، فإن ذلك لا يشكل تفسيراً أو مبرراً على أية حال لسكوت الماركسيين على استغلال غينيا. وليس من المبالغة التأكيد على أن الديكتاتورية والجمهورية والجهة الشعبية ليست بالنسبة إلى المستعمر سوى ثلاث صيغ إمبريالية تُخفي نفس الهدف: استغلال بلاده. وبالنسبة إلى أسود من باطا أو ريفي من تركيست ليس لرغوكيايرو ودلوريس إيباروري إلا استمراراً للسياسة الاستعمارية لاندلوسيو يرييتو وحيل روبليس والفوس XIII وريمودي ريبيرا؛ ولن تتوالى الأحداث في الكشف عن صواب رأي المستعمر.

أدت انتخابات فبراير، في سبتة أو مليلية على السواء إلى انتصار مرشحي الجبهة الشعبية، حيث صوت 12773 معمرًا إسبانيًا على مرشح الحرب الاشتراكي العمالي الأسباني في مليلية لويس بريرا، بينما عين 8009 سبتيين مرشح الحزب الاشتراكي العمالي الأسباني أيضاً بيدروسو. وفي قلعتي السيادة وفي المغرب، أمام السكان العرب والعمال المغاربة كانت لافتات الجبهة الشعبية لليسار تتضمن فقرة بارزة تقول: «يدعون أنهم [تمثلون] إسبانيا، في حين أنهم نقلوا المغاربة إلى استورياس لنهب منارل إسبانيين محترمين واشباع رغباتهم القدرة والبذعة».

لعب العمال المغاربة دوراً كبيراً في الاضرابات التي شهدتها سبتة ومليلية خلال [الجمهورية]. وبالرغم من ذلك فإن رفاقهم الأسبانيين لم

يحتجوا ألدًا ضد الأجرة الرهيبة التي كانوا يتقاضونها، وكانوا يرفضون انخراطهم في النقابات والحزب البروليتارية. ولم يكن الاشتراكيون والشيوعيون يعيرونهم أي هتم، ويضطرون إليهم باستعلاء. وإن أول مغاربة الذين تم قبولهم في الحزب الشيوعي هم محمد الحاح دودوح، ومحمد بن عبد القادر، وسي سلام من سريش، وقد التحقوا بالحزب بعد ما بدأت الحرب العالمية الثانية وتم اعتقالهم في فبراير 1944 خلال الحملة الكبرى التي أدت إلى سقوط التنظيم السري لمليبية والناضور. وإلى ذلك الحين كان لشيوعيون الأسبان، بالمغرب لا يرمضون النضال الوطني للمغاربة فقط، بل يحوون أيضاً دون مساهمتهم الصريحة في الصراع الطقي. وتُشكل التجمعات والتظاهرات التي جرت بين يناير ويوليوز 1936 دليلاً واضحاً على ما نقوله. وستتوقف بعض الشيء في إحدى المدن، أهم مدن شمال المغرب، لقف على سلوك الأحزاب المتحالفة في الجهة الشعبية حيال الوطنية المغربية. وسنرى كيف أنه لا تتم حتى الإشارة إلى الوطنية المغربية، بل إن دعاية هذه الأحزاب تحمل شحنة عنصرية جائرة على جميع الأصعدة. إن أحداث استورياس لا تُجيز القدح في شعب بكامله. لقد ارتكب الأسبانيون بالمغرب جرائم كبرى وتعسفات وسرقات وانتهاكات، وحرص عبد الكريم على التعبير بين ما كان يسميه الفريق الاستعماري وبقية الأسبانيين.

عقدت الجبهة الشعبية أول تجمع لها يوم الأحد 19 يناير بسبينا ثوبا. وتدخل أنجيل روسيو عن الشبيبة الشيوعية؛ وكريستبال ماركيز عن لاسعاف الأحمر الدولي؛ وخوان لميرا عن الشبيبة الاشتراكية؛ ويندرو نفارو عن الحزب الشيوعي؛ وخوسي مورينو عن الحزب النقائي؛ ونطونيو دياس عن الحرب الاشتراكي العمالي الأسباني. ولم يتحدث أحد عن الاصطهاد الوطني للمغاربة، واكتفت الأحزاب بشرب بيان أحزاب اليسار، ولم يتمكن عمال عرب من حضور الحفل لأن منظمية معوهم من ذلك.

وفي الأسبوع التالي، الأحد 26 يناير، نفس السبعا، توجّهت فروع شبيبة الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي العمالي الأسباني إلى شبيبة

- (1) مطالبة الحكومة بتطبيق برنامج الجبهة الشعبية بسرعة أكبر.
- (2) إطلاق سراح تيمان وكارلوس برستس ومناضلين آخرين معادين للفاشية.
- (3) تدمير جدرانيات الأسبانيين الموجودة في مخافر الشرطة.

كانت المطالبة بإطلاق سراح تيمان ضرورية، لكن على بعد بضعة أمتار من المكان الذي كانت تنفي فيه الخطب يوجد وطيون مغاربة معتقلون وكل الريفيين كانوا مسجونين في قوائم [الشرطة] : إن العفو الذي أصدرته الجبهة الشعبية لم يطل المغرب. فلماذا لم يتم إدراج المعتقلين المغاربة والمسلحين في قوائم الشرطة في القسطين الثانية والثالثة ؟ ففي الوقت الذي كان فيه المسلم، الذي يريد الانتقال من قبيلة إلى أخرى، مطالباً بالادلاء برخصة بوليسية، كانت الأحزاب العمالية تهتم بمصير المعتقلين السياسيين الألمان أو البرازيليين ؛ بينما كانت تساهم في الإبقاء في السجون على [عناصر] ماهرة للامبريالية بشكل صارم وحازم. وتم تخليد عيد ميلاد لينين يوم 22 أبريل بسينما غويا بميلية، وتدخل رفيل مونتويا وبيدرو سسار عن الشيبة الاشتراكية الموحدة وخيسوس لوبيز فريلا عن الاتحاد الجمهوري وريكاردو فيوس عن الحزب النقابي وأوريليوس سوليس عن اليسار الجمهوري، وتحاهوا أن القائد اللشمي كان يصاب في أصروحاته حول المسألة الاستعمارية ب «نوع قناع كل الاستعماريين».

ونتيجة لذلك كان من الضروري على الحزب الشيوعي ليس فقط القيام بالدعاية في الرمكانات لصالح استقلال الشعوب المستعمرة و «إنما أيضاً أن يوضح باستمرار أن سلطة السوفيات هي وحدها الكيفية بتحقيق المساواة الوطنية». وذلك هو مصدر واجب الأحزاب الشيوعية في تقديم مساعداتها للحركات الوطنية. ويشير [لينين] أنه بدون هذا الشرط الأخير لن يكون النضال المعادي للاستعمار الا شعاراً كاذباً. ان تنني الاممية قولاً، وتعيصها بتزعة وطنية برجوارية صغيرة في كل الدعاية والممارسة العملية، حالة جد منتشرة ليس فقط بين أحزاب الاممية الثانية، وإنما كذلك في صفوف الأحزاب التي تسمي نفسها أحزابا شيوعية. ما معنى الاحتمال

مليلية. وتدخل رفيل مونتويا عن الشيبة الاشتراكية وماتويل روساس عن الشيبة الشيوعية وإتريكي بيريز عن الشيبة الاشتراكية وفرسيسكو برادل ودييغو خين عن الشيبة الشيوعية، والتموا القصمت من جديد حول مسألة العربية. وبعد ذلك بأربعة أيام، في 30 يناير، خلال تجمع للشيبة الاشتراكية بسينما الحمراء افتري خوسي دي سيرفال، أخ الصحفي الذي قتل في اسنورياس، وبيدرو غرمسيا على الشعب المغربي برمته يتفديده وكأنه الذراع المسحة للرجعة .

دى الانتصار الشعبي في فبراير الى قيام مظاهرة كبرى يوم 20 فبراير، وخلالها تم ترديد كل الشعارات والناشيد الثورية باستثناء الدعاية المعادية للاستعمار.

وفي مارس عيبت حكومة الجبهة الشعبية خوان مولىس مندوبا ساميا وقد سبق له أن شغل هذا المنصب. إن هدفه الرئيسي - حسب ما صرح به للصحافة - هو القضاء على اللجنة الوصية المغربية، وأن «القوة بالاضافة إلى العنف» هو الشعار الذي يجب اتباعه في السياسة الأهلية لشمال إفريقيا. ثم إن التجربة علمته أن كل نهال في هذا الاتجاه لن يؤدي إلا إلى استئصال مسألة الخريطين الوطنيين. ولاتات اتفاقها نظمت له الأحزاب العمالية استقبالا كبيرا بتطوان في 24 مارس. وجاب أكثر من خمسة آلاف عامل شارع تصوان هاتفين بحياة خوان مولىس. وبمناسبة استلامه لمهامه دعت حكومة الجبهة الشعبية مراسلي الصحافة الأجنبية - نيويورك تايمز، لاستامها ودمورفين بوس - لزيرة منطقة الحماية للوقوف على «التقدم الذي وصل إليه برنامج النهضة ولشتر امفانن الطبيعية للمنظر المغربية التي تأسر عرائتها الاجبي».

وبدأ الربيع في مليلية بتجمع أقيم احتمالاً بتوحيد الشيبتين الاشتراكية والشيوعية. وفي 12 أبريل تحدث، في سينما بريليو، إيميليو كوتيريس ورفيل مونتويا وخوسي مرين بشيا ومويل ترييغو عن الشيبة الاشتراكية وفرنسيسكو برادل وبيدرو سسار لسارو عن الشيبة الشيوعية وكانت الخلاصات المصادق عليها بالاجماع هي :

لذكرى ميلاد بينين في مستعمرة مع خرق مبادئه ؟ إن شيئا أكثر من جسده بقي محنطاً في ضريح الساحة الحمراء.

في الايام التالية، 23 و 24 أبريل، عقدت تجمعات جديدة في سينا الحمراء و الاسبانول وتدخل خووسي مرتين بنيا عن الشبيبة الاشتراكية الموحدة وأنخيل روسيو عن الحزب الشيوعي والفونسو ساينس عن اليسار الاشتراكي ومويل تريكو عن الشبيبة الاشتراكية الموحدة وأنطونوديس عن الحزب الاشتراكي العمالي الاسباني وخوسي مورينو عن الحزب النقابي وتحدثوا عما هو إلهي وما هو إنساني مع الاستثناء اللارم {عدم ذكر المغرب}.

وعشية فاتح ماي جمع احتفال آخر، بدار الشعب، المتعاطفين مع الجبهة الشعبية، وبعد تدخل ريكاردو كنتون عن الشبيبة الاشتراكية الموحدة ويبدو نفاو عن الحزب الشيوعي وخوسي مويبا عن الحزب النقابي ودييغو عن الحزب الاشتراكي العمالي الاسباني وأنطونو ديس عن الاتحاد العام للشغالين، تمت المصادقة على عريضة تتضمن 16 مطلباً لتسليمها الى مندوبية الحكومة بعد التطاهرة في اليوم التالي. وسواء في الاحتفال أو في المظاهرة أو في عريضة ال 16 مطلباً ؛ الموقعة من طرف أ.غوميس ودييغو خين عن الحزب الاشتراكي العمالي الاسباني، وج.خيميس، وح.مويبا عن الحزب النقابي، وروسيو إي كتاليود عن الحزب الشيوعي، وخ.ريفاء، وأ.ديس عن الاتحاد العام للشغالين، وريكاردو كنتون عن الشبيبة الاشتراكية الموحدة ؛ لا توجد أدنى إشارة للوطنيين المعاربة.

وفي منتصف شهر ماي، رفعت الجماعة الوطنية الجزائرية، نجم شمال إفريقيا، المطالب التالية للجبهة الشعبية الفرنسية :

(1) الاصلاحات المستعجلة :

أ - حرية الصحافة والتجمع والتنظيم ؛

ب - تعويض المندوبيات في الجزائر بمرلمان وطني منتخب بالاقتراع العام ؛

ح - قيم الجزائريين بجميع مهام الدولة في الجزائر ؛

د - التعليم الاجباري للغة العربية ؛

ه - تطبيق القوانين الاحترافية والحماية بالنسبة الى العمال المغاربة.

(2) حلاء قوات الاحتلال.

(3) الاستقلال التام للجزائر وتأمين كل الثروة الاقتصادية ونزع ملكية كل اعمرين المعتصين.

لم يقلل الحزب الشيوعي الفرنسي هذه الطروحات، وضغط على حكومة ليون بلوم لتصدر قراراً تحل بموجبه نجم شمال إفريقيا تطبيقاً للقوانين الخاصة التي تمنع [تكوين] العصب الفاشي. ان مطاهارات التضامن مع المنظمة الجزيرية المذكورة والتي قادها الوطنيون المعاربة، قد تم تشبثها بالعنف من طرف البوليس.

ونظم الطلبة المناهضون لفاشية في مبلية تجمع بسينا كويا، في آخر يوم من شهر ماي، لتتديد باحتلال ابطاليا لمحنة. وصودق على بيان لتضامن مع الوطنيين الحشيين، وتم السديد بالاستعمار الايطالي بشكل حرم ما فيه لكماية. كل ذلك مع تناسي أنهم يتحدثون فوق أرض يحتلها الاستعمار الاسباني.

وذكرت حكومة الجبهة الشعبية ؛ في «لاكسينا دي أفريقيا»، الجريدة الرسمية للمندوب السامي، ليوم 3 يونيو 1936 ؛ أن حق الاضراب غير معترف به في المغرب : «نعتبر أن لظروف الاقتصادية والاجتماعية ولسياسية في المغرب الاسباني لا تسمح بعدد بل بعكس ذلك، لي افساح المجال ليس في تشريع الحماية قانون متنازع عليه وخطر الى هذا الحد مثل الاضراب. إن هذا الأخير يشكل خطراً حقيقياً على السلم والامس العام في المنطقة». ولذلك، يحذر من أن الاضراب، في جانبه القانوني، يشكل حالة تمرد صريح ما دام غير مقنن. وبعد أربعة أيام، نظم الحزب الشيوعي تجمعاً دعائياً عمومياً ولم يسجل اخطباء إيسايل مونتويا وأنخيل رودريكي وفرنسيسكو برادال ويديو نفاو وأنخيل روسيو الكاتب العام

لتنظيم المييلي حتى احتجاجهم على ذلك [المح]. وفي 10 يونيو شهدت طليحة وتطوان مظاهرات وطنية هامة رددت فيها هتافات ولافتات. وقد فلت صدها حتى التايغز السدية. وبالرغم من الرغريد الصاحبة للمعاربة فلم يرها ولم يسمعها حاضرون في المؤتمر الاقليمي للحرب الشيوعي الذي فتتح اشغاله في نفس التاريخ تحت رئاسة إسابل مونتويا. وفي هذا المؤتمر تم تحليل الاعمال التي أنجزت منذ سنة 1932. وتدخلت كارمين عوميس وندحل في العروض كالبخمي ولويس موريت ومدينا بياسكلارس وإسبيجو ورموس ومرتيس واليها ومسارو وآخرون. وانتخب راموس وروسيو كمندوبين للمؤتمر الخامس المقلد أما مندوب اللجنة المركزية ونائب مدينته بداخوس مرتيس كتبون فقد التزم أيضا الصمت المعتاد ليس فقط حول الوطنيين بل حول الروليتياريا العربية كذلك.

وتكرر هذا الصمت في التجمع الختامي بسينا ثوريا يوم 21 يونيو بمشاركة بيدرو نزارو وإسابل مونتويا وبراندا ومرتيس كتبون وروسيو ؛ وفي المحاصرة التي قامها مندوب اللجنة المركزية في نفس اليوم بنادي «الأينيو لتعميم الاحتجاجي» حول «التقايات والدولة»، وفي اليوم التالي 22 يونيو بگراخ مونومنتال بكرينا لبابو إغليسيس حيث كان بيدرو سلسار والنائب عن بداخوس هما المدعوان الرئيسيان.

وجرت في الأسبوع من 6 إلى 12 يوليو، المناورات نصف السنوية الموازية. ففي السهل الأصفر في هضبة كتامة تركز 20.000 جندي مع قادتهم وضباطهم لمدة سبعة أيام تم خلالها وضع اللسعات الأخيرة لخطلة التمرد الفاتحي بالمغرب. وأصدر المقدم بگوي تعليماته الأخيرة لسكي وسولنس اللذين سيتحركان في مليلية ولسايس دي بوزوواڭ في تطوان وموخيكا في العرائش. وفي آن واحد مع هذه التحضيرات العسكرية التي كانت آنذاك معروفة لدى العموم، نظم الحرب الشيوعي أربعة تجمعات أيام 1 و 3 و 6 و 11 يوليو بنص العقليّة الرادعة تجاه الوطنية المغربية. وعلى بعد خمسة أيام من التمرد الفرائكاوي ووصلت المصادقة بالاجماع على خطاب تشهيرة ضد الاستعمار الايطالي وكأن الممتلكات الاستعمارية

الفرنسية أو الاسبانية غير موجودة. وحتى أمام الخطر الفاشي فإن قادة الحرب الشيوعي نبهوا جنرال المدينة، روميرالس، أنهم لن يمدوا يداً للشعب المغربي.

إن دفاعهم عن استعمارية الجبهة الشعبية جعلهم عزلا ومعزولين أيام 17 و 18 يوليو. وتلقى السكان المعاربة [نبا] التمرد بلا مبالاة تامة ما دام الأمر يتعلق بصراعات بين المستغلين. ولم يجد أي مناضل ثوري مساعدة من طرف الرقيقين.

إن التفرقة الممارسة بشكل منهجي الى ذلك الحد بين الطبقة العاملة [الاسبانية] والشعب المغربي بدأت تعطي ثمارها.

إن الشكيات المختلفة بالإضافة الى برقية من مدريد أدت في النهاية، يوم 17 يوليو، الى ترخيص الجنرال روميرالس بتفتيش مقر اللجنة الجغرافية مركز الفاشيين. وذهبت الشرطة للقيام بهذا التفتيش مما أدى الى التعجيل بتنفيذ مخططات الفاشيين. وأمام تخوفهم من أن يكشف سرهم صلبوا اللقيف الاحنبي لمساعدتهم، واعتقل هذا الأخير حرس الاقتحام. كانت الساعة تشير الى الخامسة مساء، وبدأ التمرد الفاشي الذي سيسيطر على مجموع التراب المغربي في أقل من 24 ساعة. وإن المقاومة الضعيفة التي واجههم بها العمال والفلاحون المجردون من السلاح في سبتة ومليلية وتطوان والعرائش أخذت بسرعة، ونفس الشيء بالنسبة الى البور العسكرية في قاعدة الطائرات المائية في طعيون ومطار سانية الرمل. وفي الساعة التاسعة من ليلة 17 [يوليو] تم احتلال مليلية بشكل شامل.

وعلى الساعة الحادية عشرة ليلا سقطت سبتة، وفي الساعة الثانية صباحاً سقطت تطوان. وأضاء مطلع الشمس الجهود الأخيرة لمجموعة من الضباط الجمهوريين والعماليين الذين تحصنوا في مبنى البريد والتلغراف بالعرائش. وفي نفس يوم 17 بحث العقيد بيگييدو بريقة الى المندوبين الحكوميين لمناطق إيفني والصحراء يعطيهم فيها أوامر صارمة ليعلموا حالة الحرب دون أن يهتمل فرضية أنهم لن ينضموا الى التمرد، وامثل مندوب الصحراء بينا رفض مندوب إيفني الامتثال، غير أنه لما أدرك أن سلك

النصاط موال للفاشيين التحق بمنطقة الحماية الفرنسية.

بينما كان الشعب الإسباني يقوم بإحباط الانقلاب العسكري في شبه الجزيرة، سيطر الفاشيون خلال حولة عسكرية على المستعمرات. وأصبحت بين أيديهم موالء ومطارات عسكرية ونخبة من الجيش و «لحم للمدافع» (جنود) وحديد الخ... وذلك لأن عماء الجمهورية والحبة الشعبية لم يرغب في حل ديموقراطي لما وصفه أسنيا فيما بعد في مذكراته «بنقطة الضعف الوحيدة للجمهورية».

عندما بدأت الحرب الأهلية التزم القادة الوطنيون المعارضة بسياسة الحياد؛ وباستثناء عبد القادر محروشي، فإن القواد لم يكونوا لصالح ولا ضد [القرود]، بل أفضل من ذلك اتخذوا موقفا مواليا للحكومة بعد ما تأكدوا من فشل القرود ولم يكن ذلك بدافع التعاطف مع الجهة الشعبية. إن احتجاجات الخليفة في 19 يونيو، وشكر كتلة العمل الوطني لبص الرقية (التي بعث بها بيرويون المقيم العام [المعين من طرف] احبة الشعبية الفرنسية الى مدير بنك الدولة بتطوان، بعد الانقلاب الفاشي مباشرة، والتي يخصص له فيها بتسليم 500.000 فرنك بلكثائب الاسبانية) بالإضافة الى مظاهرة 18 يوليو بتطوان والتي كانت على وشك اجهاض القرود في المهدي كل هذه الاحداث أدت الى اعتقال مغاربة بارزين والى وضع قادة الحركة الوطنية تحت الإقامة الجبرية في منازلهم. وكان لرد الفعل الوطني أهمية خاصة في عاصمة الحماية بعد قصفها من طرف الطيران الجمهوري. ويكتب انباري فاشي أن «أن عددا كبيرا من المجموعات الأهلية التي أتت من الحي العربي عبر طرق التجارة تجمعت قبالة بناية المدوية السامية. كانت المغريبات تصحن وكأنيهن محسوسات بصريح وكان رجالهن يضيئون الى هتافاتهم ضد اسبانيا تهديدهم بهراواتهم وعصيم المرفوعة. وعلى شكل حميرة هاهم أنصار عبد الخالق الطريس الذين لا يقهرون. إنه الظرف [المناسب] الآن أو أبدا ليكون المغرب للمغاربة، وتداولت الأسر الشعار، وأطلقت الجيوش الاسبانية النار محلفة عددا من القتلى في صفوف العرب، واحتد التوتر».

إن تدحرج الصدر الأعظم وحده، سيدي أحمد الغانمي، يمثل السادة الاقطاعيين، هو الذي حقق احتواء الجماهير المستعدة للهجوم. ويؤكد لويس كاليبسونكا في «خفير الغرب» أنه نولا الصدر الأعظم «لوفعت في ذلك اليوم كارثة كبرى كان من شأنها أن تُحبط كل ذلك». ومع مرور الأيام ودون زيادة التمرد، بدأ عدد من القواد ينصتون لوعود المتمردين وبدأت التحنيدات الأولى للشان المعاربة الذين سيكونون، مع الوحدات النظامية المرتقة التي كانت موجودة، أول الوحدات التي تدخلت في الحرب الأهلية الاسبانية. وبارغم من ذلك فإلى حدود عيد ميلاد المسيح لسنة 1936 لم يحدث أي تجنيد اجباري كبير في مجموع منطقة الحماية؛ ما الذي جعل 14% من السكاك المغاربة يحاربون الى جانب الفاشية في اسبانيا في السنة التالية؟ ماذا حدث بين يولوز ودحبر؟ لماذا تحولت المشاركة المغربية من أقلية الى أعمية؟ لماذا اختفت الاحتجاجات الريفية، وبعضها فُمع بالرصاص مثل احتجاج القائد بيي حماد، بل تحولت الى مدح؟ ماذا انتهت الحركة الوطنية الى الالتحاق بالقائدين العميلين عند القادر وأمحروشن اللذين ساندوا القرود منذ الوهة الأولى باعتبر أن المغرب عرف في العشرينات فترة من عدم الاستقرار والفوضى، مما دفع الجيش الاسباني ووحدات أهلية الى إعادة الطام مجدداً؛ وفي 1936 سارت شردمة من الاسبانيين على حصي عبد الكريم وبالتالي كان على الفئة السيمية من المغاربة أن تساعد الاسبانيين الصالحين تعويضاً لهم!

عندما أدركت كتلة العمل الوطني أن الحرب الأهلية الاسبانية سوف تطول، قررت استغلال الظرف لصالحها؛ ولذلك بدأت تجس نبض الطرفين. وكانت نتائج أول مسعى، قامت به الكتلة، لدى أخذ الجترالات المتمردين إيجابية بما فيه الكفاية، حيث أن المتمردين أوضحوا أنه ليست لهم نوايا استعمارية. وقال الجنرال، لقد عرفت إسبانيا كيف تعطي للعالم عددا من الشعوب كلها موحدة في الرابطة الروحية، وأكد الجنرال أن اسبانيا ستقوم مرة أخرى بدورها التاريخي ببعث احياة الكونية في شعب كان، مثل الشعب المسلم، مهداً لحضارة مزدهرة. وفي نفس الوقت قامت

كتلة العمل الوحداني باتصال مع وفد من الجمهوريين الاسبان في جنيف، وفي المدينة السويسرية وصروا الى اتفاق مع شكيب أرسلان ثوفد بموجبه لجنة عربية الى مدريد وبرشلونة للاحتجاج بقادة الجبهة الشعبية.

لكن قبل وصول اللجنة بنصف شهر، وفي الوقت الذي لم يكن التدخل المغربي قد اكتسب الثقل الذي سيصل اليه، كانت دعاية الجبهة الشعبية تصنع في نفس السلة كل المعارفة دون أن تُقيم أي نوع من التمييز. وبصيف عنصرية كانت تميل الى تعميق اكبر للهوة بين الشعبين. وبشكل بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، الصادر في 18 غشت 1936، دليلاً صالحاً [لتلك الدعاية العنصرية] ويمكننا أن نقرأ فيه فقرات موجهة الى هذا الحد مثل : «عار على العاقين العاجزين عن القتال بثبل، لأن الحياة حين، وعار على الدين فتحو، أبواب اسبانيا لأشرس اعدائها ! إن رعات الاسقف دون أوناس والكوت دون حوليان قد اهتزت انتهاجا : لم يقرص الخوبة من سلالتهما. وإرضاء لرغبات حقيرة في الانتقام الشخصي فتحوا أبواب إسبانيا للمسلم الذي يطمح في امتلاك بسايتنا الحصبة، وجبالنا الغنية، وأرضنا التي لا مثيل لها، ويرغب في الاستمتاع بحمال نساينا.

«بعد عدة قرون تكرر خيانتهم : كهنة وارسقراطيون وجسالات أنذال وابناء أسياد فاشيون يُخرحون من قعر القبائل الأكثر وحشية في الريف الرخال ذوي الغرائز الأكثر حيوانية، ويستقدمونهم للقتال في اسبانيا ويعذبونهم بكل أنواع العنائم : انتهاكات واغتياالات وسرقات، يُسمح لهم بكل هذا.

«إن الذين يسمون أنفسهم وطنيين، يصفقون لتهديم آثارنا الفنية العجيبة واخسودة في العالم، والتي تشكل مفخرة لاسبانيا، ويصحكون بشكل حيواني عندما يرون نساء المدن والقرويات الجميلات تُسلم للغرائز الحيوانية ولشبق قطع أبناء الاسياد السكارى والمرترقة المغاربة».

وبعد ذلك بأيام، وجه سلطان المغرب الى المقيم العام لفرنسا بالمغرب رسالة يقول فيها : «نرى بأسى الصراعات التي تُمزق بندا صديقا [...]»

بالاضافة الى تأثرنا لآلام رعايانا، ونأسف بشكل عميق أن بعضهم يمكن تعيبتهم خصوص حرب دون هودة، ليس دعما للحكومة التي تربطنا بها علاقة، ضد تدخل أحبي، وإنما على عكس ذلك من أجل دعم مشروع أسائها الدين يطمحون الى «سقاطها».

وفي نفس التاريخ قدم الوفد الوطني بمديره امطالب التالية :

- 1) أن تعلن اسبانيا الجمهورية استقلال المنطقة الحيفية عن اسبانيا وفرنسا ؛
 - 2) أن نضمن الحكومتان هذا الاستقلال وأن نقدا المغرب الحر كعضو لعصبة الأمم ؛
 - 3) أن تعقد اسبانيا مع الحيفة معاهدة تؤكد الاستقلال وتنظم علاقات اصادقة بين البلدين ؛
 - 4) أن تسلم الجمهورية الاسبانية [لمغرب] الاسلحة والعتاد الحربي الضروري ؛
 - 5) أن تغض فرنسا الصرف عن الحركة العسكرية المغربية داخل المنطقة الفرنسية ؛
 - 6) أن تمنح فرنسا الحريات العامة في منطقتها.
- بتحقيق هذه الشروط كان المغاربة على استعداد للكفاح ضد جيش فرانكو في قاعدته العسكرية بالدات أي منطقة الحماية.

وأحابت حكومة الحبة الشعبية شفويا بأنها لا تستطيع الاعلان عن الاستقلال في الظروف الراهنة، وطلبت من كتلة العمل الوطني قبول مبلغ 40 مليون بسيطة من أجل الدعاية لصالح الجبهة الشعبية بالمغرب. واحتج الوفد على هذا العرض الذي لا يُعقل، وانسحب ممعضا من قاعة الاجتماع. وفي برشونة تم استقبالهم وكأن الأمر يتعلق سفراء رسميين. وعقد الوفد المغربي مع القادة الكطالنيين مباحثات تمخضت عن اتفاق بين كتلة العمل الوطني وكل الاحزاب الكتالنية، يتضمن الاستقلال التام والتعاون المتبادل على قدم المساواة بين اسبانيا والمغرب. والتزم ممثلو كطالونيا في مدريد بالدفاع عن الاتفاق أمام حكومة لرتزو كبليرو، غير أن كل ذلك بقي

حرراً عن ورقه، ولم يمارس أحد الصغص الكافي، ودخل ذلك في طي السياب.

هناك مؤلف تاريخي إسباني واحد فقط يُشير إلى هذه الزيارات، وهو «الحرب والثورة في إسبانيا» الذي يحاول أن يلقى على عاتق الاشتراكيين بكل مسؤولية فشل مهمة هذا الوفد، غير أن ذلك غير منصف. فقد كان لشيوعيين نفس الدسب ولربما أكثر في كون المعارضة عادوا إلى بلادهم حاويي الوفاس. كان لهم وزيران في الحكومة، أوربي في الفلاحه وهيرنانديس في لتعليم العمومي، ولم يواصلوا لُصره المطالب الوطني إن مؤلفي الكتاب الذي ذكرنا يحاولون تفادي المشكل مؤكدين أن وزراء الحرب الشيوعي لم يتم اخبارهم بالسفر، في الوقت الذي يقولون قتل ذلك بحسين سطرأ أن قائد الحزب الاشتراكي الكطالاني الموحد رفيل فيديلا لم يتصل بالوفد شخصياً فقط. بل سافر إلى مدريد مع اللجنة الكطالانية التي كانت ستقوم بالمساعي الضرورية للمطالب المغربية. هل كان الحزب الشيوعي يُسير بشكل سيء إلى هذا الحد. حيث كان التنظيم في مدريد يجهل ما يجري في برشلونة؟ هل كان كل قائد يعمل لحسابه الخاص؟ أم يُحجر رفيل فيديلا أيضاً رفاقه في القيادة عمداً؟ ما هو تفسير مثل هذا التناقض؟ حقاً يبدو أن الأمر يتعلق بطمس مشكل حطير. وفي كل الأحوال، ليس ذلك الادعاء إلا واحداً من الاخطاء الكثيرة التي يتضمنها ذلك العمل، على الأقل في الفصل المخصص لمسألة المغربية.

ويؤكد الكتاب، أن الحزب الشيوعي بذل مجهودات مستمرة لحمل حكومة الجبهة الشعبية على تبني سياسة تدعم حرية المغرب، دون توضيح مضمون هذه المجهودات، ودون الإشارة إلى أن المعارضة كانوا يريدون الاستقلال. وفيما بعد يسجل الكتاب نقطة غير مشرفة بما فيه الكفاية، أن صح التعبير، لصاح الحزب الشيوعي، ويتعلق الأمر بخطاب لرؤو كيليرو أمام الكورطيس في فاتح دجنر 1936. وبالرغم من أنهم لا يشيرون إلى انتباس وغموض وعدم وضوح هذا التدخل، فإنهم يقدمونه كنتيجة للضغط الشيوعي على الحكومة. لقد كان هذا الضغط ضعيفاً لأن الفقرة

التي خصصها رئيس الحكومة للمغرب كانت واضحة ومقتضية واستعمارية صراحة: ما الذي يبدو غامضاً لمؤلفي «الحرب والثورة في إسبانيا»؟

«إن حكومة الجمهورية تعرف كيف تميز جيداً بين الخنود المرتزقة؛ المحدثين في الأراضي المغربية ضدًا على إرادة السلطان ذاتها (الأخرى من ذلك في المنطقة الفرنسية نفسها -) والدين يشكل تهديدهم واستعمارهم أحد الأفعال التي أثارت استنكار «العالم المتحضر»؛ وبين الجزء الآخر من المغرب الذي تحافظ له حكومة الجمهورية على كل الواجبات التي تفرضها التزاماتها في الحماية!

«ويجب أن نقف على الوعود الخيثة التي يقدمها الجنرالات المتمردون بعدما خدعوا معاربيهم المرتزقة لما دفعوا لهم - كما رأينا ذلك مع السجناء - أوراها مالية مساوية وألمانية تعود إلى فترة التضخم ولا تساوي كلها ريالاً إسبانياً. وفي حالة انتصارهم سيكونون أول من يعرض على المعارضة نفس معاملة الإبادة والوحشية التي تُستعمل من طرفهم ضد الاساتيين أنفسهم، ويتناسون الالتزامات الدولية.

«ويمكننا أن نؤكد للشعب المغربي أن حكومة الجمهورية لن تدخر جهداً لاعطائه أكبر الامكانيات من أجل تسمية شخصية الخاصة وحرية ورفاهيته وتقدمه. وفي هذا الاتجاه، فإن حكومة الجمهورية لن تردد أمام احتمال مراجعته القانون الذي يحكم المنطقة إذا اعتبرت ذلك مناسباً. ومن جهة أخرى إن التصريح بأننا لا ننسى التزامات الدولية يسمح لنا بأن نذكر بلداناً أخرى بالتزاماتها تجاهها، بما أن التعامل بالمثل في الحقوق والواجبات هو القاعدة التي تتركز عليها الحياة الدولية».

وعرض خوسي دياس، في نفس دورة الكورطيس، يتناقض أيضاً مع هدف مؤلفي «الحرب والثورة في إسبانيا» الرامي إلى تقديم الحزب الشيوعي وكأنه القوة الوحيدة المعادية للاستعمار. إن نص [تدخل] الكاتب العام لا يطرح ضرورة منح الاستقلال للمغرب وإنما «توسيع النظام الديمقراطي

لشمل الشعوب المستعمرة، مثل المغرب، التي هي اليوم ضحية خدع وحيانات فرانكو واساعه الذين يفرضون عليها قتالنا بالرعب».

وبعد ذلك بنصف شهر، في 18 دجنبر، نشرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بياناً بعنوان «الشروط الثمانية للانتصار في الحرب»؛ وبعد أن أكدت في بدايته «أن الشعب الإسباني لا يقاتل الملكيين والمغاربة واللصوص والنفيف الأجني فقط» طرحت مرة أخرى شعار «الاستعمار الديموقراطي»، «علينا أن نجعل الشعب المغربي يدرك أن فرانكو قائد للملكي العبيد يسير بالشعب المغربي بالخداع الى العبودية والى الموت، في حين أن انتصار الجمهورية الشعبية الإسبانية سيعني بالنسبة الى الشعب المغربي انتزاع حرياته الديموقراطية والحز والأرض لآبائه».

وبموازاة هذه الطروحات، واصلت دعاية فظة، عصرية وشوفية، تخرج المعاركة، منادية السكان لمكافحة غزو عربي جديد. وش كان ذلك مفهوماً من الناحية العاطفية مطراً لطابع الحرب وللأهمية الكيفية والكمية للوحدات الريفية، فإنه غير صحيح سياسياً من وجهة نظر ثورية : «مسلمون متوحشون سكارى شهواتهم تتحول الى هتك فطيع لفتياتنا ونسائنا في القرى التي دسها الحافر الفاشي [...] مغاربة حييء بهم من الدواوير المغربية ومن القرى الأقل تمدناً ومن الأراضي الصخرية الريفية»، هذا ما كانت تفعله دلوريس إيبروري بالصبط في الوقت الذي كان فيه بعض المغاربة يساعدون مجموعة من المعتقلين السياسيين الكنازيين، المبعدين في معتقل بالصحراء قرب فيلا سيسنروس (الداخلية) على قتل الحراس والضباط الفاشيين والهروب الى دكار مع طاقم باخرة للصيد. وبهذا الصدد، من الغريب ملاحظة السهولة التي يتم بها الصاق عبارة البربر بالمجموعات البشرية التي لا صلة لها بالمجموعة البشرية التي ننتمي إليها. ومع ذلك لو قامت الشعوب والأشخاص أيضاً بامتحان موضوعي ومتواضع للضمير كما يوصي بذلك علاج ماركسي سليم، فإن الدكريات التي تحتزنها ذاكرة شخص واحد، من أي زمان ومهما كان البلد الذي ينتمي إليه، ستكون كافية لهدم اسطورة الحضارة أو المصححة المرتبطة بهذا الشعب أو ذاك.

كان موقف حكومة لركو كلبيرو، كلها وبدون استثناء، محدداً بتصور «جبهة الشعبية نفسها وبضغوطات الامبريالية الانجليزية - الفرنسية وبمصالح الاتحاد السوفياتي. إن كوها تقدم نفسها كحكومة غير جمهورية، حكومة نظام، ديموقراطية برجوازية جعلها بحيرة على الالتزام بالمعاهدات الامبريالية التي قضت على استقلال المغرب، وكان عليها أن تكون استعمارية أكثر من الاستعماريين. ولذلك شهر لركو كلبيرو بفرانكو في الكورطيس قائلاً إن فرانكو يحرق الاتفاقيات الدولية عندما يعطي الحرية للمغاربة. وبالرغم من أن الدول لامبريالية خرفت معاهدة الجزيرة الخضراء عندما طردت الاسطول الجمهوري من طنجة مستندة الى الحياد الذي يخونه القانون للمدنية المذكورة، في حين أن ما ينص عليه قانون طنجة هو الحياد في الصراعات الدولية بين دول مختلفة، وهو حياد لا يمكن تطبيقه على أية حال على حالة مجموعة من العسكريين المتمردين ضد الحكومة الشرعية لبلادهم. وتابع القادة الجمهوريون سياستهم القاضية بعدم ارجاع الحكومتين الانجليزية والفرنسية. وكانت لندن وباريس من جهتهما تضغطان باستمرار لكي لا تغير اسبانيا التقسيم الاستعماري، إن إعلان استقلال المغرب كان سيهد العالم الاستعماري الانجليزي - الفرنسي الشاسع. وخلال الاجتماعات مع الوفد الوطني [المغربي]، كان سفير «جبهة الشعبية الفرنسية بلمريد قد أخبر لركو كلبيرو أن قبول المطالب المغربية «يشكل حماقة في رأيه».

وذهب وفد آخر من المغرب الى باريس اقترح اعطاء بعض الحقوق الوطنية [للمغاربة] مقابل تمردهم في الريف في مؤخرة فرانكو، إلا أنه تلقى رفضاً قاطعاً. وأخيراً لم يكن يهم الحكومة السوفياتية، النهمكة في الاستراتيجية المعادية للهلنيرية، ذلك موقع الامبريالية الفرنسية الانجليزية. إن الدواع عن الديموقراطية - وقد سحبت نعتها بالبرجوازية بشكل محتشم - قد غدا المهمة العليا لسياستها. يجب عدم «إفزاز» باريس ولندن بمطالب راديكالية بشكل غير مناسب مثل «المطالب المعادية للاستعمار، واسدن ستار من الصمت على القهر الوطني، لأن ذلك يتوافق مع مصالح أول دولة اشتراكية.

وكانت حكومة مدريد تتعرض لضغط مضاعف لأن ستالين كان يملك، عدا القنوتات الديبلوماسية العادية، وسيلة أخرى هي الحرب الشيوعي (كان محك مصداقية الشيوعي هو موقفه من الاتحاد السوفياتي)

التضامن الذي يتشبع به اليوم الشعب الأسباني وشعوب الاتحاد السوفياتي) أن الاختصاصي السوفياتي نظراً لكونه أجنبياً في إسبانيا لا يمكنه أن يكون مقيداً حقاً إلا شريطة الالتزام بصرامة بوظيفته المستشار والمستشار فقط. «واعتقد بالضغط أنكم تستعملون رفاقنا العسكريين بهذا الشكل.

«نلتبس منكم، باسم الصداقة، أن تتيقنوا لنا إلى أي حد يعرف رفاقنا العسكريون القيام بالمهمة التي تستدونها اليهم، باعتبار أنه لن يكون من المناسب أن يستعروا في إسبانيا إلا إذا اعتبرتم عملهم إيجابياً.

«ونلتبس منكم أيضاً اطلاعنا مباشرة ودون تحفظ على رأيكم في الرفيق رور نيرك : هل يرضي الحكومة الأسبانية أم من الأفضل تعويضه بممثل آخر؟

«ونعرض عليكم أربع نصائح ودية :

1 - من المناسب الاهتمام بالفلاحين الذين لهم ثقل كبير في بلد زراعي مثل إسبانيا، ومن المرغوب فيه إصدار قرارات ذات صبغة فلاحية وضريبة ترضي مصالح الفلاحين. ومن المناسب أيضاً جلب الفلاحين إلى الجيش وتكوين مجموعات من الغوار يلتحق بها الفلاحون في مؤخرة الجيوش الفاشية. إذ القرارات لصالح الفلاحين يمكنها أن تسهل هذه المسألة.

2 - ينبغي جلب البرحوازية الحضرية الصغيرة والمتوسطة إلى جانب الحكومة، أو، في كل الأحوال، إعطاؤها امكانية اتخاذ موقف محايد لصالح الحكومة، وذلك بحمايتها ضد محاولات اصادرة وبضمان حرية التجارة أكثر ما يمكن. وفي الحالة المعاكسة فإن هذه القطاعات ستتبع انفاشيين.

3 - «لا يجب استبعاد قادة الأحزاب الجمهورية، بل على العكس، يجب اجتذابهم وتقريبهم وإشراكهم في الجهود المشتركة للحكومة. ومن الضروري على الخصوص ضمان مساندة الحكومة من طرف أزيانيا وجماعته والقيام بكل ما يمكن لمساعدتهم على تجميد تردداتهم. وذلك ضروري أيضاً لمنع اعداء إسبانيا من أن يروا فيها جمهورية شيوعية والحؤول هكذا دون

لدي يُحاصر من خلاله دعاية الحزب العمالي للوحدة الماركسية وهو الحزب العمالي الوحيد الذي حافظ على موقف ثوري واضح فيما يخص المغرب، حسب رأي بعض المؤرخين. ومن هنا يأتي في نخضم مناقشة الاقتراح الوطني المغربي شمبر - دجنبر 1936، تجاهلهم الموضوع في لصائح التي قدموه للوكو كبييرو في الرسالة الموقعة من طرف ستالين وملونوف وغرو شيلوف بتاريخ 21 دجنبر والتي تقول «إلى الرفيق كبييرو، إن مثلنا نؤي لعادة الرفيق روز نيرك قد بلغنا عواطفكم الأخوية واحبرنا أيضاً عن شعوركم بأن يقينكم بالنصر هو مبعث شجاعتكم الثابتة. واسمحوا لنا أن نُعبر لكم عن تشكرنا الأخوية عن لعواطف التي عبرتم عنها وأن نحبركم بأننا نشاطركم تقنكم في انتصار الشعب الأسباني.

«كما وما زلنا نعتبر أنه من واجبنا، في حدود امكانياتنا، تقديم يد المساعدة للحكومة الأسبانية التي تنصدر نضال كل العمال وكل الديمقراطية. لاسبانية ضد البطانة العسكرية الفاشية المتصامنة مع القوى الفاشية الدولية.

«إن الثورة الأسبانية تشق بنفسها سبلاً تختلف في عدة جوانب عن الطريق الذي قطعته روسيا. وذلك مُحدد باختلاف المطلقات على الصعيد الاجتماعي والتاريخي والجغرافي، ومستلزمات الوضع الدولي المختلفة عن تلك التي وجدتتها الثورة الروسية أمامها. ومن الممكن جداً، أن يصير الطريق البرمائي وسيلة للتطور الثوري أكثر فعالية في إسبانيا مما كان عليه في روسيا.

«ومع ذلك نعتقد أن تجربتنا، وخصوصاً تجربة حربنا الأهلية، إذا ما طبقت بشكل مناسب للظروف الخاصة للنضال الثوري الأسباني، يمكن أن تكون لها قيمة معينة بالنسبة إلى إسبانيا. انطلاقاً من ذلك واعتباراً لطلباتكم الملحة التي بلغها لنا الرفيق روز نيرك في الوقت المناسب، موافق على وضع مجموعة من الاختصاصيين العسكريين رهن إشارتكم» وقد أصدرنا لهم التعليمات ليصحوا في الميدان العسكري لولا تلك الضباط الذين يجب أن يوجهوا عن طرفكم لمساعدتهم.

«وقد تم تحذيرهم بشكل قاطع بأن لا يغيب عن بالهم (مع وحي

تدخله الصريح الذي يشكل خطرا بالغاً بالنسبة الى اسبانيا الجمهورية.
4 - يمكن إيجاد المناسبة للتصريح للصحافة بأن حكومة اسبانيا لن تسمح بأن يتناول أحد على الملكية والمصالح المشروعة للاجانب في اسبانيا ولرعايا الدول التي لا تساند المتمردين.

تحية أخوية

من المفيد ابراز كيف يتناسى ستالين في النقطة الاولى الدور الذي قد يلعبه استقلال المغرب في القاعدة الرئيسية لمؤخرة فرانكو، عندما يُشير الى الدور الذي يمكن للقرارات الزراعية أن تلعبه في تنظيم وحدات الغوار. وليس ذلك نتيجة انعدام رؤية [واضحة] بل على عكس ذلك.

إن سفر الوفد المغربي قد أفزع فرانكو بما فيه الكفاية، حيث لم يكن من قبيل السياسة الخيالية تصور الكارثة التي كان قد يفرضها عليه تحالف رحاب الجبهة الشعبية مع الوطنيين، ولذلك كلف المندوب السامي بيكثدير بربط الاتصال بهم وباتعبير لهم عن كل الوعود التي يريدون سماعها مع القيام في نفس الوقت بنهج سياسة واسعة للاصلاحات الليبرالية في المنطقة. لقد أدرك فرانكو، منذ اللحظة الأولى، الأهمية القصوى التي يكتسبها بالنسبة اليه اجتذاب المعارضة كحلفاء. إن لحم المدافع (الجنود)، وأمن المؤخرة يستحقان حقاً وعداً بالاستقلال، وبرنامج من النوع الاصلاحى كان بإمكانه توجيه الحركة الوطنية والاستفادة منها لبلوغ أهدافه. وكان فرانكو يدرك بالبداهة أن الجمهورية أو الجبهة الشعبية نفسها لو أنها نهجت سياسة استقلال ذاتي، ولو أن المغاربة تمتعوا بنفس الحقوق التي كان يتمتع بها جميع الاسبانين في يوليو 1936، لباء التمرد الفاشي بالفشل. ذلك أن العرب سيواجهون كرجل واحد أولئك الذين يريدون سلمهم تلك الحقوق. وبهذا الشكل، ومن أجل سلب حرية الاسبانين، اضطر فرانكو أن يعد المغاربة بالحرية. وبنفس القدر الذي كان يجمع الاحزاب السياسية والحرية النقابية وحرية الصحافة ويُلغى التشريعات الديمقراطية في شبه الجزيرة، كان فرانكو يخصص للاحزاب السياسية المغربية. وبموازاة التشريع الفاشي الذي انهال على اسبانيا، تم اقرار

الديموقراطية في ما يسمى المغرب الاسباني، إلى حد أن منطقة الحماية في الشمال خلال حرباً الأهلية كانت بؤرة حقيقية للتحرير الوطني العربي.
وكان أول قائد تقابل مع بيكثدير هو الاسناذ المكي الناصري الذي سمع الممثل الفرنكاوي يقول: إن اسبانيا الوطنية مستعدة لمحو المعارضة الحريات الديمقراطية التي رفضها لهم الجمهوريون. وما اجتمعت كتلة العمل الوطني اتفقت على قبول الاقتراح الفاشي، مع العلم أن فرانكو يحاول استعماها. وم يكن أحد يجهل الماضي الاستعماري للزعيم المتمرد وأن حرية المغاربة ستنهي يوم انتصار الفاشيين في الحرب. غير أنه كان الاختيار لوحيد الذي بقي لهم، واعتقد قادة الكتلة أنهم سيتفرون على بعض الوقت لتطوير نشاطاتهم الدعائية والتنظيمية بشكل حر. وسقطت البذور التي زرعوها خلال السنوات الثلاث على أرض خصبة. وظهر ذلك بعد سبع سنوات ابتداء من 1947 عندما بدأت الحركة الوطنية ضغطها الأخير الذي سينتهي بطرد الفرنسيين والاسبانيين.

وبدأت سنة 1937، في منطقة الحماية، بالعفو عن الوطني المغربي أحمد بن أحمد بن الطيب الذي حكمت عليه الجبهة الشعبية بالاعدام نتيجة اغتياله لقائد عميل في ربيع 1936. وبدأت سلسلة من مواكب الحج الى مكة على نفقة الجبرالات المتمردين على متن عابر المحيط «المركيز دي كمياس» الذي سُمي من جديد «المغرب الأقصى». وخلال السفرة الأولى تم قصف هذا العابر من طرف الطيران الجمهوري، واستغل ذلك الى أقصى حد من طرف الدعاية الفاشية. وفي 21 يناير، خلال تجمع كبير في مسرح اسبانيول دعا القادة الوطنيين الرئيسيون : المكي الناصري، عبد الحالق الطريس والحاج عبد السلام بنونة وحسن بوعبيد بنداود، الرعيين الى النضال من أجل مغرب حر مستقر.

وفي نهاية يناير عينت الحكومة الانقلابية مغربيا هو سيدي محمد قدور بن أمغار قنصلا لاسبانيا في جدة ومكة في المملكة العربية السعودية. وفي افتتاحيتها، أبرزت الصحافة الوطنية الشمال افريقية السرية، الاسفار الجمانية والمرجحة لمغاربة الشمال الى مكة : «فينا تبعت اسبانيا الحجاج المسلمين من منطقة الحماية في الباخرة الرائعة «المغرب الأقصى» مع كل

أنواع الاهتمام والخدمات، فإن الجبهة الشعبية الفرنسية تجمعهم كالمأشية على متن الباحرة ميندوسا».

ولأول مرة منذ أن فقد المغاربة الاستقلال في 1912، اختلوا بشكل حر بعيد الاضحي. وأمر المندوب السامي بترين الشرفات وبالإدارة خاصة خلال العيد والترخيص بكل أنواع التظاهرات. وضمت إحدى المظاهرات آلاف المسلمين بأعلام مغربية وهتافات «يحيا المغرب»، ومرت أمام مبنى المندوبية السامية في 21 فبراير حيث استقبلت لجنة من طرف بيكيدير. ومن 1931 إلى 1936 كانت هذه المظاهرات متنوعة وكانت تنتهي دائما باصطدامات بين المتظاهرين والبوليس وبآلاف الاعتقالات.

وبعد ثلاثة أيام، تم الاحتفال بالثأخي الطلافي الإسباني - المغربي بمهر خمية الطلبة المغاربة بعاصمة الحماية. وفي قاعة مزينة بالأعلام المغربية تحدث عبد - الفائق الطريس والفائد الكتاني بيدرو ليون الذي أشار إلى أحزاب الجبهة الشعبية باعتبارها عدوة لاستقلال المغرب، وتلا قراراً يُعني كل القوانين القمعية التي كانت حكومات الجمهورية والجبهة الشعبية قد سلطتها على الريف وجباله.

وشرح العقيد بيكيدير، للحريرة الفرنسية «لوطان» في عدد 21 مارس، جواباً على سؤال حول الكيفية التي حصل بها المتمردون على الموافقة التامة للمغاربة : «إنهم يعرفون أنه بإمكانهم الاعتماد علينا لشركهم كل مرة أكثر في إدارة بلادهم. ثم سنرى بعد الحرب. وفي الوقت الراهن إن افقاد إسبانيا هو المسألة الوحيدة التي تبهم».

وبعد أيام، كتب المكسي الناصري في جريدة وطنية «الوحدة المغربية» ليوم 22 مارس 1937 : «نرمي إلى تعريفهم بالمثل الأعلى الوطني للوطنيين المغاربة كما يتصوره ويحس به هؤلاء ؛ وأن نفسهم لهم ما هي المطالب الحقيقية التي يرغب فيها الوطنيون.

«لقد عاش المغرب رهاء 25 سنة من الحماية دون أن يصل خلال

هذا الظرف الوجير إلى تفاهم حقيقي مع الأمم الحامية. ويفضل إسبانيا تجاوزنا، لأول مرة، عدم التفاهم هذا. إن القرار الأخير الذي يُخصص 75 % من وظائف الإدارة للمغاربة هو انتصار على معاهدات دولية هي بمثابة قيود ثقيلة تكبل وشفافة تضطهد المغاربة».

إن وفاة السلطان مولاي عبد الحفيظ بأنجيين ؛ وهو السلطان الذي قدم استقالته بعد ما أرغم على التوقيع، تحت تهديد السلاح، على المعاهدات التي تعطي شكلاً قانونياً للاحتلال الاستعماري ؛ هذه الوفاة كانت مناسبة بالنسبة إلى السلطات الإسبانية لتشييد خلال شهر أبريل كله، إشادة حقيقية بشخصية مولاي حفيظ.

ولاعادة الاعتبار لعبد الكريم. وفي ماي استقبل فرانكو في إسبانيا مجموعة من الحجاج بعد عودتهم من مكة وخطب فيهم قائلاً : «في هذه الظروف الجديدة للعالم، عندما يبرز خطر بالنسبة للجميع، وهو خطر اناس بدون إيمان، على جميع الناس المؤمنين أن يتوحدوا لمكافحة من لا إيمان لهم. وأنتم المسلمون الذين تقومون بتظاهرة الأيمان هاته، أنتم هم الذين تفهمون أحسن هذا الصراع. وعندما يُزهر نبات ورد السلم سنعطيكهم أحسن انزهور».

وعند استقباله بتطوان خلال الصيف لمحمد الليمون ؛ قائد الوطنيين المغاربة الذي لم يصع السلاح إلا منذ أربع سنوات ؛ عاد بيكيدير إلى الصرب على وتر الإحساسات الأكثر محافظة ورجعية في الإسلام : «إننا لا نحتاج إلى تعيقات لأن الشعب المغربي مثل الشعب المسيحي يعرفان أن من لا إله ولا وطن لهم يطاردوننا. إن هؤلاء الشيوعيين الملعونين يريدون إبادة من العام، غير أنهم لن يُحققوا ذلك لأن المسيحيين والمسلمين يكافحون معاً في هذه الحرب المقدسة. ويعون الله الذي لا يؤمن به الشيوعيون سيكون المنتصرين. تحيا إسبانيا ! يحيا المغرب !».

وفي نفس الوقت تساعد القمع ضد الوطنية في المغرب والجزائر التي تحتها فرساً، نتيجة للازدهار الذي عرفته الحرية في المغرب الإسباني. وفي

الى النضال. وهو ما يُعرف حسب تقاليد قبائل المغرب بـ «تفجير السوق» ويشكل علامة لمرد قبيلة مد. وحاصروا الشاحنات المتوجهة الى السوق، ولما رأى الوالي الفرنسي أنه يستحيل عليه ردهم، دعا اللفييف الذي ملأ الحقل ببحث الحزائرين في رمشة عين. إن هذا الحدث والاحداث التي وقعت في اعامل وفي ساجم النحاس في ناحية قسطنطينة قد تم استغلالها مذكاء من طرف الدعاية الفاشية في المغرب الاسباني، وعلى الخصوص الحادث الثاني نظراً خصائصه المميزة : أعلن العمال الجزائريون الاصراب احتجاجاً على تقاصيمهم لأجرة أقل من أجرة رفاقهم الفرنسيين، ولما رفض لعمال الاوروبيون، الاشتراكيون والشيوعيون، التضامن معهم حدث اشتاك بين الطرفين انتهى بتدخل الجيش، مما أدى الى سقوط عدد كبير من القتلى.

منذ بداية هذه الاحداث شرع ببيكيندير في استغلالها، واعطى الدحوء السياسي للوطنيين الذين جاءوا هاربين من الرباط والحزائر العاصمة، وسمح بمظاهرات يومية لصالح الاستقلال الاسلامي، وقدم احتجاجاً رسمياً لمقيم العام الفرنسي «ضد القمع البربري للوطنيين الشمال - افريقيين». وبدأت الصحافة الفاشية حملة ضد عمال السلطات الفرنسية وقدمت تفاصيل حول الحركة الوطنية وتصحياتها وطالبت باطلاق سراح قادتها ومناصبيها.

غير أن أحسن حججهم الدعائية قدمتها لهم مجموعة من الوطنيين الجزائريين من مستغانم، والمؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الفرنسي الذي انعقد في دجنبر في أرليس. فقد بعث الأولون برسالة الى الجنرال كيبو دي يليانو، أذاعتها اذعة اشبيليا، يعبرون فيها عن رعبهم في أن يتنصر انصار فرانكو، وبهذا الشكل سيحصل المغرب والجزائر على استقلالهما. والثاني [أي المؤتمر] حيث ألقى مورييس توريز خطاباً جاء مباشرة بعد الانفجارات الوطنية التي علقنا عليها والذي اتخذ الموقف التالي من المسألة الاستعمارية: «لكن كانت المسألة الحاسمة راينا هي الكماح الظاهر ضد الفاشية، فإن مصلحة الشعوب المستعمرة تكمن في الاتحاد مع الشعب الفرنسي وليس في الموقف الذي قد يساعد المشاريع الفاشية، ووضع الجزائر وتونس والمغرب مثلاً تحت ربة موسولينى أو هتلر، أو جعلها قاعدة للعمليات

نوفمبر تواتت مظاهرات عنيفة بالدار البيضاء تطالب بنفس الحقوق التي تتمتع بها المنطقة الاسبانية، ونتج عنها اعتقال قادة مهمين مثل علال الفاسي. وادى ذلك الى قام أعمال تضامنية كبرى في الدار البيضاء وفاس والرباط وسلا ووجدة وتارة وفي مدن وقرى مغربية أخرى. واصطدمت المظاهرات بالشرطة مما أدى الى إصابة عدد كبير من جرحى. واستمرت المظاهرات خلال عدة أسابيع كانت السلطات الفرنسية خلالها نموذجاً للعنف والوحشية في القمع. ونم نفي آلاف الوطنيين في معسكرات الاعتقال في بوديب في قلب الصحراء حيث تم اخضاعهم للامعمل الشاقة وتوفي بعضهم. وفي نفس الوقت عقد بالجزائر المؤتمر الاسلامي الجزائري تحت رئاسة من حلون وبمشاركة كل الانتماءات السياسية الوطنية. وصادق هذا الاجتماع على خطة المطالب التالية :

- 1 - انتخابات حرة لبرلمان جزائري ؛
- 2 - إلغاء قانون «الوصعية الالهية»، اصلاح قانون «العابات»، والغاء قانون 4 غشت 1926 المتعلق بتقولات الجزائريين، والغاء القرار الرجعي ربيبي الذي يرمي الى مكافحة من يمس بالسيادة الفرنسية في الجزائر ؛
- 3 - حذف المديرية العامة للشؤون الأهلية ؛
- 4 - الاعتراف بالعربية كلغة وطنية للجزائر ؛
- 5 - انجاز تطهير عام للادارات الجزائرية.

واجتاحت الجزائر من اقاصها الى اقاصها مظاهرات واضرابات تساند المطالب المذكورة. وكانت حركات يوم 11 في سيدي موسى ويوم 13 في بئر توتة ويوم 15 في حسين داي والروفي وكوة لما ويبر خادام ويوم 16 في كتاولة وبجاية، عنيفة بشكل خاص. وفي سيدي بنعاس انفجر صراع بين الجزائريين والفرنسيين اسفر عن حسمين جريحاً. وحدث نفس الشيء في وهران وتلمسان ومستغانم حيث قتل العديد من الوطنيين الجزائريين. ووقعت أخطر حادثة في قرية مرسى الكونت بدائرة وهران حيث اتفق مئات من الميادين على القيام بمظاهرة للتضامن مع الوطنيين. وتوجهوا لأجل ذلك الى السوق الموجود على طريق مسكارا لمنع أي كان من خرق الاضراب الذي كان له بالاضافة الى ذلك قيمة رمزية للدعوة

والاجتماع والمساواة القانونية ينظر إليها مغاربة المنطقة الفرنسية كما ينظر جنائح إلى الندماء الخالسين أمام مائدة رائعة توجد فوقها أحسن المأكولات».

وهي مأكولات سيتم سحبها قبل نهاية السنة، فمند يناير إلى نوفمبر شرع الفاشيون في الحد من الحريات التي لم يكن هم بد من إعطائها. وقدر ما كان فرانكو يتقدم في السيطرة على الأرض، كانت أهلية الوحدات المغربية تقل. ولما غدا الجيش الجمهوري مهزوما في الأبرو في الحريف لم يعد من الضروري بمجاعة الريفيين. ولذلك أقال فرانكو بيكيدير من منصبه وعين في محله الجنرال أنيسيو الذي قصى على كل الإصلاحات الديمقراطية التي ادخلت بالمغرب، في وقت وحيز. وانتهت الحرب الأهلية في فتح أبريل 1939، وعجل المدبوب السامي وتيرة التصفية إلى حد أن الريف كان في انصياف يعطي نفس المظهر الذي تقدمه اسبانيا : اعتقالات، تعذيبات، قادة مثليون... وممعت الأحزاب وحلت النقابات واعلقت الصحف، إنها «أحسن زهور حفل ورود السلم» التي اهداها فرانكو للذين ساعدوه على نشطية الحرية من اسبانيا. إن شعبين مضطهدين قد ساعدا الاضطهاد بتعرقهما. وما كان بإمكان النهاية أن تكون محالمة لما كانت عليه.

وفي 20 شتمبر 1936، كتب ميخائيل كلطسوف في يومياته لحرب اسبانيا، وهو ملاحظ يقط للحياة السياسية آنذاك ومراسل الرافدا، كتب «إن الريفيين ومائة راعون، كما هو شأن كل القبائل الحبلية التي كافحت ضد العزاة. وقد كونوا تكتيكا جيدا لاطلاق النار. اهتم يطلقون النار بدقة خارقة للعادة ودون تدبير الذخيرة. ويحكي عن الريفي خلال حروب المغرب أنه ينزل إلى السهل ويعمل عند مالك الاسباني، يعمل خلال سنة وبعد ذلك يذهب إلى السوق وبكل القود التي حصل عليها مقابل عمله يشتري خرطوشة وبذلك الخرطوشة يقتل مستخدمه. من الطبيعي أنه من الضروري في هذه الحالات اطلاق النار دون اخطاء هدف. «انهم يقاتلون جيدا الآن ويقومون بكل ما يُطلب منهم. آلاف الأشخاص،

بالنسبة إلى اليانان. العسكري. ومن أجل شروط هذا الاتحاد الحر ولأحوي مع شعبنا فإن الإصلاحات التالية ضرورية : توسيع حق التصويت في الجزائر وحذف قانون «الوضعية الأهلية»، نهج سياسة الاشغال الكبرى ذات المنفعة الاقتصادية والاجتماعية، بسط الحريات العامة والتشريع الاجتماعي القائم في المتربول ليشمل المناطق المستعمرة. إن هذه الاجراءات، ودون أن تؤدي إلى قطيعة مع المتربول، يجب أن تسمح على العكس لتلافي تفريق نفوذه ونسده. وبإسم مصادرة فرنسا تُطلب [هذه الإصلاحات] حتى لا نعطي خلال مدة أكبر الحجج الديماغوجية لفاشية التي تحاول إثارة بعض فئات السكان الأهلين ضد بلديا. إن الحق في المطلق لا يعنى وجوب التطبيق».

ونعت تلاوة هذا النص أيضاً من طرف كيودي لياسوي أحد مراجع الاداعية التي احتج فيها ضد الجرائم التي يرتكبها الاستعمار في الجزائر والمغرب، مُحملاً مسؤولية ذلك للوم وتوريز. ورددت صدى هذه الاطروحة «الاستعمار-شيوعية» مصادرة دعابة المدبوب السامي التي وزعت بالمغرب الاسباني آلاف الماشير التي تتضمن هذه الفقرة فقرات أخرى من تدخس موريس توريز مصحوبة بتعليق معاد للشيوعية بوضوح. ولا بد أن نأخذ بعين الاعتبار أن الكاتب العام للحزب الشيوعي الفرنسي كان من بين رجاح ستالين في اسبانيا الجمهورية، وكان يعيب دورا لا يستهان به في توحيه الحزب الشيوعي الاسباني ساهرا على [احترام] الارثوذكسية الستالينية.

إن الوضعية على أحسن ما يرام بالنسبة إلى بيكيدير إلى حد أنه صرح لصفحي بريطاني عشية عيد ميلاد المسيح : «إن السكان الأهلين المغاربة والجزائريين الموجودين تحت النفوذ الفرنسي يغطون نظام الحريات السياسية والبقاية التي تتمتع بها حمايتنا».

وفي فاتح يناير 1938 كتب في الوحدة المغربية : «إن اسبانيا لا تحجم عن مطاردة الحركة الوطنية فقط، بل تقدم لها ابتساما وشكرا. إن الاستقلال الذاتي الإداري والرفع من الاعنادات وحرية الصحافة والكلمة

الفلاحين الريفيين : أليس من الحماسة القتال وإراقة الدماء من أجل تقوية سلطة هؤلاء اللصوص.

والجمهوريون أنفسهم مسؤولون أيضاً عن الكثير. إهم لا يقولون أي شيء للمقاتلين عن حالة معنويات الريفيين المحدثين. ويعتبر أعضاء الميليشيا أن المعاربة أعداء لا يمكن مصالحتهم. وما زالت الأوساط المديدية - بما في ذلك أوساط مرموقة بشكل كبير - تبني مواقف استعمارية. لماذا لم تعلن الجبهة الشعبية الاستقلال الذاتي، على الأقل بنفس القدر الذي هي عليه مناطق وطنية أخرى في إسبانيا؟».

إن إخضاع الطبقة العاملة الإسبانية لمصالح الدول العظمى يُجيب عن هذا السؤال، لكن جزئياً فقط، تلعب النظرة الأوروبية المركزية لمنظرين والقادة الثوريين دورها أيضاً. فقبل 1914، لم يهتم المنظرون الماركسيون على الإطلاق، بما فهم لينين، بالمشاكل الخاصة للبلدان المستعمرة، لأنه كان يبدو من البديهي أن الثورة الاشتراكية يجب أن تنطلق من بلدان العرب الغاية التصنيع. واعتقد كل من ماركس وإنجلز أن القوة الحرة الرئيسية ستكون هي الحركة العمالية والاشتراكية لبلدان الأوروبية وهي التي ستحرر المستعمرات. وغير إنجلز شخصياً عن نفس هذه الاصروحة في رسالة موجهة إلى كاوتسكي في 12 شتمبر 1882 :

تسألونني عن رأي العمال بخصوص السياسة الاستعمارية ؛ إنه بالضبط نفس الرأي الذي لهم بخصوص سياسة عموماً : أي رأي الرخاوية. لا وجود لها لحرب عمالي، يوجد فقط محافظون وراديكاليون ليبراليون، ويشارك العمال بمرح في ولية الاحتكار الإنجليزي لسوق العالمية والاستعمارية. وفي رأيي إن المستعمرات بمعنى الكلمة، أي البلدان التي يحتتها سكان أوروبيون - كندا، جنوب إفريقيا، أستراليا، - ستستقل كلها. ومن جهة أخرى إن المستعمرات التي يسكنها سكان أهليون -أهند، الجزائر والمستعمرات الهولندية والبرتغالية والإسبانية - يجب أن تتكلف بها حالياً البروليتاريا وتقودها بأسرع ما يمكن نحو الاستقلال. وبعد تحقيق إعادة تنظيم أوروبا وأمريكا الشمالية، سيُعطي ذلك قوة عملاقة.

نفس الأشخاص الذين احضعتهم بالأمس الامبريالية الإسبانية الصغيرة والحشعة للحديد والنار. هم اليوم محدوغون، بالسلاح هذه الامبريالية، يخدمون أشرس أعدائهم، ويطلقون النار على عمال اسبانيا، على أولئك الذين يقاومون امبريالية بدهم.

«وفي 1931 في تطوان، عرضت عليّ القائل آثارها الفنية وشرحت لي كيف تقوم ثقافتها القديمة بمقاومة الضغط الوحشي للجنرالات الاسبانيين شبه الأميين. وكانت تتحدث عن الارتقاء الوطني وعن الامكانيات التي ستبرز بالنسبة إلى المغرب مع انظام اجمهوري الجديد.

«وتحولت الآن بلاد القائل الأنية إلى باب حلفي لعسكر برثوس وروما إلى مصار عسكري احتياطي لطائرات القصف الألمانية. لقد مرّغ الفاشيون ذلك البند بالوحد وبقون على كاهل «المورو» بكل المسؤولية المتعلقة بفسادهم ووحشيتهم. والمراسلي الصحف الأجنبية ؛ عندما يقع الحديث عن المذابح وعن الاعدامات الجماعية رميا بالرصاص وعن الانتهاكات وعن اغتيال الاطفال ؛ يُفسر الجنرالات الفاشيون ذلك، مخففين صوتهم: إن ذلك من فعل المعاربة، فهم قوم متوحشون لا يمكننا التعلب عليهم، ولهم طائع افريقية.

«وحتى صيحاتهم عندما يطلقون للهجوم، وهي طريقة قديمة للحرب ضد قبائل الريف، تؤخذ الآن بعين الاعتبار لتبيان أهم وحوش ودميون.

«وأخيراً بدأ المعاربة يفهمون بعض الشيء. يتقدمون فرادى ومثنى ويرفعون بنادقهم إلى أعلى ويصيحون : لا تطلقوا النار، عاش الرفيق أزانبا !

«وتتم محاولة تكوين قبلى كامل بالذين هربوا. وسيسر على ذلك شاب عربي معادٍ للفاشية هو مصطفى بن كاك، ويبحث الريفيين على السيطرة على ضيعات الجنرالات المتمردين واللفيف الاجنبي في المغرب.

«ويكتب، أنها أجود أراضي البلاد وأخصبها، وقد تم نزعها من

وبموجب كهذا، لا بد وأن تتبعنا كل البلدان المتحصرة.

إن الأشعاع الرئيسي لماركس وانحازت خصوص المستعمرات تركز حول التأثير الذي يمكن أن تمارسه المستعمرات على أوروبا الاشتراكية. وكتب ماركس : «إن المشكلة العويص بالنسبة إلينا الآن هو التالي : إن الثورة في القارة [الأوروبية] تبدو على الأبواب، وستكتسي طابعاً اشتراكياً منذ البداية. لكن أكن يتم سحقها في هذه الراوية التي لا تُعتبر ما دامت حركة المجتمع البرجوازي ما تزال صاعدة في منطفة أوسع بكثير؟».

والى حدود 1914 سادت «الاشتراكية - الاستعمارية» للأهمية الثانية في صفوف الحركة العمالية. ويدافع إدوارد برنشتين عن مبادئ امبريالية صرف معلنة بصفة ماركسية وإنسانية. وكان موقف الحرب الاشتراكي الديموقراطي الألماني لصالح تضاللات تحرير كل الشعوب في نهاية القرن XIX، إلا أنه كان يُحدد لائحة من الاستثناءات لهذا القانون، ومن بينها الشعوب الأفريقية التي تتعاطى لتجارة العبيد أو التي تعتبر أن من حقها الانقضاء على جيوشها المسلمين لاستغلالهم. وفضلاً عن ذلك إن «دعم المتوحشين والبرابرة الذين يقاومون تعلق الحضارة الرأسمالية سيكون نوعاً ما رومانسياً». وكان برنشتين يعتقد أن الحضارات «العلية» لها حقوق أكبر من حقوق الحضارات «الدنيا».

وأدى به ولعه الاستعماري الى الدفاع عن الاستعمار البريطاني للهند أيضاً، لأن اهتود عاجرون عن الخروج من حالة فقرهم : «ليس من الضروري أن يؤدي احتلال البلدان الاستوائية من طرف الأوروبيين الى الضرر بالاهيين في تمتعهم بالحياة كما تم ذلك لحد الآن. وبالإضافة الى ذلك، يمكن الاعتراف للمتوحشين بحق مشروط على الأرض التي يحتلونها فقط. إن حصاره علماً يُمكنها، عملياً، أن تلجأ الى حقوق أسمى». لقد صنف قائد الاممية الثانية هذا للغزو الروسي والشمال امريكي الذي احتل بيكين في 1900 من أجل قمع الوطنيين «البوكسر»، وذهب الى حد المطالبة أنه «يجب على ألمانيا أن تضمن لنفسها موقعا» عندما يتعلق الأمر «بمصالح هامة حقاً كما هي الحال في الصين مثلاً». وذات مرة ذهب الى

حد الاعتراف بأن أضراراً قد لحقت بالمستعمرات إلا أنه ادعى أنها «مغوضة بصراحة» بالفوائد التي تحبها الامبريالية معها [للمستعمرات].

ووصل بعض تلاميذه مثل لدفك كيسيل وكثير هارد هيلد برنيت، في بلورة نظرية تقول إن الاستعمار سيكون به مقبول ثمديني أكبر إذا تمت ادركته من طرف الاشتراكيين. وكان شعار هؤلاء الاشتراكيين الاستعماريين هو : نحن سنفسد ذلك بشكل أفضل وفي إيطاليا، صادق انطونيو ليوولا على العرو العسكري لينا من طرف الاطلس وذلك في مؤلعه «طرابلس، الاشتراكية والتوسع الاستعماري». ويور قائد آخر هو إنريكو كوماديني اطروحة تقول إن «الأمم البروليتارية» لأوروبا ستكسر الاحكار للاستعماري الذي تملكه «الأمم البوتوقراطية».

وكان جوريس أكثر وضوحاً : اد قال «تمثل فرنسا في المغرب نوعاً أسمى من الحضارة. إننا لا نوافق بشكل كامل على الظلم والعنف والنهب الذي يذهب صحبه الأهليون لأن الاستعمار بالنسبة إلينا يكمن في الاتين حضارة أسمى للأهليين». ويُدين في نفس الوقت مقاومة المعاربة المسخرة لني «تؤدي الى كثير من الفتن في صفوف أبناء فرنسا». وبعد سنوات، في 1920 مؤتمراً تور، عبر ليون بلوم عن معارضته «للخط بين حركة غرد الشعوب المصطهدة وبين مهمة تحرير البروليتاريا» : وهذا الخلط «سيُفسد الصراع الطبقي ويُشر الحرب العرقية».

وتلخيص مختلف مؤتمرات الأمانة الثانية بين الاستعمار المكتشف (-) تقوم أوروبا بمهمة تمديدية بهدف التعميل بتطور البلدان المتخمة بواسطة الاستعمار (-) ومعاداة الاستعمار بوحى موقف اخلاقي وإنساني. وكانت المقررات المصادق عليها تُحدد كمهمة تربية المستعمرين ليصبحوا اكفاء للاستقلال. وكان ذلك يُرضي الاغلبية الاستعمارية ولاقلية المعادية للاستعمار. ومع ذلك فإن الاتهامين كانا متفقين في عدم ادراك أو لُربما لادراك الحزبي جداً لظاهرة الاستعمارية والدور الذي يجب أن تلعبه لاحقاً في استراتيجيه الثورة البروليتارية.

بالفلاح الهند الصيني..

ما دام لينين على قيد الحياة، كان من الممكن النقاش حول السياسة الأكثر ملاءمة لأن تهج تجاه الشعوب المستعمرة. ومع وفاة لينين وصعود ستالين اختفى المشكل لأنه نكف عن بالانادة الجسدية للذين كانوا يطرحونه. وآخر سجال كبير هو ذلك اندي طرح من طرف سسان علييف القائد البلشفي للجمهورية التتية المؤسسة في 1920.

وقد حلل، من الناحية النظرية، ثلاث قضايا أساسية هي :

- 1 - تكيف النظام الاشتراكي مع مجتمع اسلامي ما قبل رأسمالي ؛
- 2 - دور الاسلام في العالم الاشتراكي ؛
- 3 - موقع العالم المستعمر في الاستراتيجية العامة للاممية الشيوعية.

وبصدد الجمهورية الاسلامية التتية، يتحدث سلطان علييف عن تعددية مداخل بناء مجتمع اشتراكي. ومنذ نوفمبر 1917، خاطب لينين المسلمين الروس قائلا : «إن معتقداتكم وتقاليدكم ومؤسساتكم وثقافتكم الوطنية حرة، ولا يمكن خرقها. وذلك حقكم ويجب أن تكونوا السادة في بلادكم وعلكم أن تنظروا حياتكم حسب تطلعاتكم الخاصة».

كان تطبيق هذه السياسة يخلق مشاكل عويصة بالنسبة الى بناء الاشتراكية في الجمهورية التتية. واستنادا الى البنية الفلاحية والفيودالية لبلاد، كان سلطان غيبف يدافع على أن فكرة الاعتماد على البروليتاريا المحلية ليست لها أية قيمة نظراً لاعدام طبقة عاملة تترية، إنها نظريات مبلورة في مكتب للعمل.

وما دام من غير الممكن إنجاز تكوين الأطر القيادية انطلاقاً من الحركة النقابية، فيجب أن يتم هذا التكوين انطلاقاً من الجيش وهو مدرسة حقيقية للقادة. ثم إن التصور اللينيني القائل إن الاشتراكية العلمية يجب ادخالها «من الخارج» حتى بالنسبة الى الطبقات العاملة لبلدان الرأسمالية المتصورة، إن هذا التصور يُعبر عن نفسه في البلدان الفيودالية تحت اشكال

وطرح لينين بصرامه، مقابل هذين الموقفين، أن على البروليتاريا النورية في العرب، أن تجعل من قضية الشعوب المضطهدة قضيةها، وأن تساعدنا بحرم وتعتبرها جزءاً هاماً جداً من الثورة الاشتراكية العالمية وعاملاً يساهم في القضاء على أسس الامبرالية بشكل حاسم. وبالرغم من ذلك فإن المؤتمر الأول للاممية الثالثة قد اعتبر أن تحرير الشعوب المستعمرة، لا يمكن أن يتم إلا بعد أو بشكل متوافق مع الثورة الاشتراكية في المربولات. وحررت في المؤتمر الثاني والثالث وفي مؤتمر شعوب الشرق أول مناقشة كبرى حول امشاكل الاستراتيجية والتكتيكية للحركة الثورية في البلدان المناخرة والمضطهدة من طرف الرأسمالية الأوروبية.

ووسط نقاشات كبرى - حضر 1823 مندوباً في مؤتمر شعوب الشرق الذي انعقد في باكو - وسجلات حادة مع الشيوعي الهندي روتي أساساً ومع مندوبين آخرين عن البلدان المستعمرة. أعطت الأممية الثالثة لفضال لشعوب المستعمرة دوراً من الدرجة الأولى في المسلسل الثوري العالمي، ولم تخضع بعد امكانية انتصار الثورة في المستعمرات لانتصار البروليتاريا. غير أن ذلك كان في النظرية فقط إذ تهم هوشي مه الاحراب الشيوعية بعدم تمييز أهمية النضال المعادي للاستعمار «عند مناقشته امكانية ووسائل تحقيق الثورة» وعند تهنيء حطتكم الحرية. أنتم أيها الرفاق الانجليز والفرنسيون وأنتم أيضاً يا رفاق البلدان الأخرى، تعيب عن بالكم كلية هذه النقطة الاستراتيجية الهامة. ومن ثم علي أن أصرح بكل قواي :

حذار !»

وفي المؤتمر الخامس ندد هوشي منه بالحزب الشيوعي الفرنسي وهو عضو فيه «بمكنا أن نقدم افعالاً تتجاوز الحيل وتدفع الى الاعتقاد أن حربنا يحقر بشكل مبهجي كل ما يتعلق بالمستعمرات».

وذكر سلسلة اخطاء لومانيتي التي نخت عن نشر توجهات الأممية الشيوعية، مادحة مآثر الملاك السينغالي سيكر لكن دون أن تقول ولو عبارة واحدة عن بروليتاريا دكار، ومثية على الطيار بيلوتي دورسي الذي حطم لرقم القياسي للطيران بين باريس وسابغون لكن دون أن تهتم، ولو قليلاً،

بالنهي الى سيريا على ازيد من 200.000 قنري. وبعد يومين شرحت اليرافدا أن «العديد من التتر في كرجيا المنروطوا، بتحريض من العملاء الألمان، في وحدات المطوعين التي شكلها الألمان وحاربوا الى جانبهم ضد الجيش الأحمر. ولم تعارض جماهير السكان خونة الوطن هؤلاء».

وبقدر ما كان ستالين يتقوى في السلطة كان الالحاح الذي كانت كتابة الأهمية الثالثة تضغط به على الاحزاب الشيوعية لتكون التوجيهات المعادية للاستعمار شيئا اكثر من مجرد شعارات، كان هذا الالحاح يسير نحو الاندثار. وأدى بروز السارية وقوة الامريالية الالمانية الى اندثاره نهائيا. إن مصالح الاتحاد السوفياتي مضافة الى ثقل التقليد الاستعماري الطويل للحركة العمالية، إرث الأهمية الثانية، قد أقبرا نهائيا معاداة الاستعمار كممارسة عملية. إن اللينينية، في هذه المسألة وفي غيرها، قد وضعت جانبا من طرف قادة الأهمية الثالثة، ونتيجة لذلك، كان مناضلو الشيبة الشيوعية في المستعمرات قليلين بما فيه الكفاية باستثناء الصين. وحسب فرناندو كلودين كان عددهم 22000 في آسيا و 5000 في إفريقيا، ومن بين هؤلاء الأخيرين جزء كبير من فرنسي الجزائر والمغرب وعمال بيض من بلاد امير المصري جنوب افريقيا.

ومع الاحترام الضروري لأعضاء، الاحزاب الشيوعية هؤلاء، بحق التساؤل هل كانوا، حقا شيوعيين بالمعنى اللينيني هذا المهوم. وقبل سنوات كان أهم تنظيم شيوعي في كل افريقيا هو تنظيم سيدي بلعاس المؤطر في الحزب الشيوعي الفرنسي. وقد بنور ونشر هذا التنظيم نصريحا يمكن وصفه بحق بالخطاب القدسي «للاستعمارو شيوعية». إن المستعمرين الفرنسيين بسيدي بلعاس المنخرطين في الحزب الشيوعي، يقدمون القالب النظري بتعبير شبه ماركسي لممارسة سياسية تتغاضى على الأقل عن الاستغلال الاميريالي إن لم تدعمه بشكل مكشوف :

1 - إن أهلي شمال إفريقيا، هم في أغلبهم عرب غير قابلين للتطور الاجتماعي والثقافي والاعلامي الضروري للأشخاص من أجل تكوين دولة مستقلة قادرة على بلوغ الكمال الشيوعي.

مختلفة بالضرورة تعبر بشكل عميق «النموذج» اممكن تحقيقه في البلدان المتطورة اقتصاديا.

والمشكل الثاني حسب سلطان غليلف هو دور الاسلام في العالم الاشتراكي. كان سلطان غليلف ملحد، مقسعا بأن الاسلام «ككل الاديان الأخرى مدتها الاضمحلال» وأن بزعه المحافظة الدينية هي «السبب الأول في التأخر الثقافي والفكري للمسلمين». وندفع دراسته الأساسية حول هذه القضايا لأسباب الدعاية المعادية للدين في وسط مسلم (كرس بشر في موسكو من طرف مفوضية القوميات في 1921) عن أطروحين سياسيين : تتعلق احدهما بالطبيعة الباطنية لبداية الاسلامية : أولوية العناصر الاجتماعية السياسية بالنسبة الى العناصر الاخلاقية الدينية. وتعلق الاطروحة الأخرى بالتطور الأخير للاسلام ويتم فيها التعبير بين «الملاة الحمر» انصار السبسة السوفياتية و «الملاة البيض» انصار كولشاك: «وهكذا، يقول سلطان غليلف، نعرض غينا عدة أسباب تطبق أسباب خاصة للمصال المعادي للدين مع المسلمين»، بينما كان المناضلون اللاشقة عبر المسلمين، الجاهلين لعقبة الخاصة هؤلاء السكان، يتعاطون لدعاية ليس من شأنها فقط أن لا تتسرب وسط جماهير بل كانت تهيئ هذه الأخيرة وتنجح في دفعها الى التمرد على السلطة السوفياتية لأسباب ليست طوعية.

وأخير شهر ب «التوجه القسري لتتوة الاشتراكية الأهمية نحو الغرب» باعتباره خطأ خطيرا. ووصف ستالين «السلطانعيفية» بأنها «انحاه وطني وتحريفي» وبرر اعتقال سلطان غليلف والحكم عليه بعشر سنوات من الاعمال الشاقة في سيريا لقاء «نشاطه التكتلي، المعادي للحزب والمعادي للتتوة».

لقد اختفى رجل واستمرت المشككة قائمة. مشكلة ذات حجم كبير الى حد أن العديد من التتر التحقوا بوحدات الجيش النازي لمحاربة الروس إبان الغزو الألماني [لروسيا]. وعندما انتهت الحرب ألغى قرار مجلس السوفيات الأعلى، المؤرخ ب 26 يونيو 1946، الجمهورية التتية وحكم

2 - وحيث إنهم لا يتوفرون لاد على التقنين ولا على أدوات
والعمال القادرين على استغلال الأرض وباطن الأرض الشمال إفريقية.
3 - وحيث إن البروليتاريين مستغلون على الخصوص من طرف
ابناء دينهم الرجوازيين ومن طرف رؤسائهم الدينيين ورؤساء استغلالهم
القروي.

4 - وحيث إن البرجوازيين الوطنيين هم الذين يستفيدون من
استغلالهم من أجل نهج سياسة فيودالية نهج اجماع الفلاحية الأهلية.
لهذه الاسباب، فإن القرع الشيوعي لسيد بلعباس يعتبر أن تحرير
البروليتاريا الأهلية لشمال إفريقيا لن يكون الا ثمرة للثورة المتروبية.

وبقيت المشاكل الثلاث التي عرضها سلطان غلييف بدون حل.
ولذلك تكبدت الحركة الثورية أكبر هزائنها في القارة الافريقية. إن تجاوز
المصطلحات التي انبثقت من التجربة الأوروبية والتي تدل على طواهر
اجتماعية وثقافية واقتصادية مختلفة، بالإضافة الى التخلي عن لغة متحجرة
وجامدة هما الخلاصتان اللتان برران من «السلطانغلييفية»، والآن ما زالا
تحتفظان بكل قيمتهما في الثلث الأخير من القرن العشرين.

الفصل الخامس الجلاء

خلال الحرب العالمية لثانية التزم الوطنيون افغارية موقفا سياسياً
معاديا لألمانيا دون الكف عن مكافحة الامبريالية الفرنسية - الاسبانية. إن
التناقض الذي يطرحه هذا الموقف، قد حل من طرفهم بالاكفاء بعمل
التوعية السياسية وبالععمل التنظيمي والدعاية الوطنية في صفوف القبائل.
وكانت تساعدهم بشكل فعال البرامج اليومية لاذاعة لندن وواشنطن
وموسكو التي ضاعفت نداءاتها لصالح حرية الانسان والمساواة بين
الشعوب، مساهمة بشكل كبير في توعية الشعوب المستعمرة.

وفي نفس الوقت، أعلنت حكومه مدريد عن احلامها الامبريالية
لاعتقادها أن النازيين سيكتسحون الامبريالية الانكلو سكسونية والاتحاد
السوفييتي. وإن قائمة مطالبنا الترابية : مطالب اسبانيا «التي حررها الكتاب
المأحورون الفاشيون حوسي مريادي أريلسا وفرناندو مريا كستيللا» تحدد
هدفا واضحا : جلاء الاستعمار الفرنسي عن المغرب وحلول الاسبايين
مكانه. إذن «من ثم يمكننا أن نعلن بصوت مرتفع أن وطننا لا يُطالب
بالمغرب وإنما يُطالب بشكل قسري بمهمة - مهمة سامية جداً - في
امبرطورية السلطان، تلك المهمة التي يمكننا أن نطرحها بإيمان نبيل وحاد
قائمين : «اسبانيا واحدة تساعد مغربا واحدا». ولذلك، فإن المدكرة التي
بعث بها السفير الألماني بمدريد ستوهر الى هتلر في 8 غشت 1940،
تحدد شروط الحكومة الاسبانية لتدخل الحرب ضد الحلفاء :

1 - تحقيق المطالب الوطنية حول جبل طارق والمغرب الفرنسي
والجزء من الجزائر الذي تستعمره وتسكنه أغلبية اسبانية، منطقة وهران
(كانت الامبريالية الايطالية - الجرمانية تفكر في تقسيم الجزائر الى ثلاثة
أجزاء :

منطقة الجزائر العاصمة تبقى بين أيدي حكومة فيشي، ومنطقة قسطنطينية تعود لاطالبا والمنطقة الثالثة التي ستشمل أراضي وهران لاسبانيا) ؛

2 - توسيع مناطق الصحراء وإيفي ؛

3 - توسيع غينيا الاسبانية.

إن هذه الرزمة من المطالب وهي آخر برنامج استعماري للرجعية الاسبانية، لم تذهب في الممارسة أبعد من الاحتلال المؤقت لطبقة التي اضطر الاستعمار الاسباني الى الحلاء عنها في نوفمبر 1942 عندما نزل الحلفاء في شمال افريقيا.

إن لقاء السلطان محمد الخامس بالرئيس الأمريكي روزفث بألما في ديسمبر 1943، ووثيقة الاستقلال في يناير 1944، ونهاية الحرب، قد صرحت على البساط من جديد مسألة استقلال المغرب ؛ إلا أن ذلك الطرح جاء الآن في ظروف مناسبة أكثر بالنسبة الى مطالب الوطنيين. ذلك أن الاتحاد اسوفياني أكد قوته، ودول أوروبا الشرقية هجبت الطريق غير الرأسمالي، في حين كان الشيوعيون والصينيون على وشك استلام السلطة اسياسية، وضاعف الفيتناميون والاندونيسيون والمغاشيون والسوريون والجزائريون والكوريون هجوماتهم ضد الاستعمار الذي أصيب بجروح قاتلة. لكن أحداث سطيف (الجزائر) على الخصوص هي التي كان لها وقع عميق على المعارضة ولندكر بهذه الأحداث بشكل مقتضب.

في الثلاثاء 8 ماي 1945 وهو يوم السوق الاسبوعي ناوي مدينة سطيف فيه 15000 شخص أكثر من المعتاد، أغندهم فلاحون وتجار جاؤوا الى السوق من أماكن أبعد. عشية ذلك اليوم، رحص للوطنيين بالتظاهر، وحذرهم قائد شرطة قسطنطينية بوضوح أن عليهم الاكتفاء بالمطالب الديمقراطية وإلا سيأمر باطلاق النار على المتظاهرين اذا رفعوا ارايه البيضاء والخضراء الجزائرية.

بدأت المظاهرات في ضواحي لاآثار قرب المسجد وانجهد نحو وسط المدينة وكانت محاطة بالبوليس. وقطعت المظاهرة حوالي ألف متر بالراية الجزائرية مرفوعة ولم يتدخل اندركيون. لكن على مقربة من الكران كافي دي فرانس، في قلب وسط المدينة حاول عميد الشرطة أن يزعج الراية

الوطية من يد أحد المتظاهرين. لكن المناضل قاوم واطلق الشرطي النار، وسقط قتيل وعدة جرحى. وعندئذ بدأ التمرد.

طارد المتظاهرون الاوروبيين، وأطلقت الشرطة، مدعومة من طرف الجيش، اسار على المتظاهرين، وسقط العديد من القتلى والجرحى. وعندما انسحب «لغلاثة» من المدينة حكوا للقائل ما حدث وبذلك امتد التمرد الى البو دي والقرى المحيطة بسطيف. ومات 112 فرنسي خلال ذلك التمرد.

وبالمقابل، فإن أكثر من 40.000 جزائري قد ذهبوا ضحية لقمع الشرس الذي قام به الجيش الفرنسي الذي احتل مدينة سطيف تحت قيادة احتلال ديفال. إن جلود الليف والسينغاليين والمعمرين الفرنسيين بمساعدة الدبابات والطائرات ولبوشر الحربية - (قصفت الضراة ديكي تروان قرى تكتوت وواد المرسي) - انقضوا على الجزائريين وشرعوا في عملية قس حقيقية لعربي. وقدمت الحكومة الفرنسية الاحداث على أنها نتيجة ل «مؤامرة فاشية» وأعين الحرب الشيوعي نفسه ؛ وكان له وزراء في الحكومة ؛ بل دافع وطالب بالقمع في بيان اللجنة المركزية الذي يندد فيه بالانتفاضة باعتبارها «مؤامرة فاشية» و «مستفازا [من تدبير] عملاء هتلريين». ويجب قمعها فوراً وبصرامة، يقول بيان اسجة المركزية : من «الضروري، وباستعجال، معاقبة منظمي التمرد والعملاء الذين حضروا له، بدون شفقة وبشكل سريع». وبعد ذلك بشهر، بمناسبة المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الفرنسي اتخذ موريس توريث نفس الموقف الذي اتخذه والي قسطنطينية حيث قبل المطالب التي ليست وطنية وهدد الوطنيين وفترى عليهم، واقترح أن يُجرح من سلاح «الجنود وضباط الصف والضباط الجزائريون الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية».

وبمجرد ما عرفت تفاصيل هذا الاعتقال الجماعي اندلعت حركة قوية من الاحتجاج والتضامن في منطقتي المغرب. وفي الحماية الاسبانية كان ذلك أول ظهور جديد وعلني للوطنيين منذ نهاية حربنا الأهلية. وشهدت تطوان عدة أعمال ومظاهرات تم قمعها بعنف من طرف البوليس والجيش لاساني. وخلال هذه المظاهرات، بالإضافة الى السخط الذي

أثارته مذبحة سبصف لدى الجماهير الريفية، كانت هذه الأجرة تُعر عن رعاتها في توقيف أهجرة السياسية الفاشية وتوقيف نزع الأراضي لفائدة المعمرين الأسبانيين الخلد الذي يقوم به المندوب السامي الجنرال فريلا. كما كانت تطلب أن لا تكون المساعدة الاقتصادية [التي تُقدم] للكنيسة الكاثوليكية على حساب الميزانية المغربية. وكانت المطالبة بإقامة الحريات العامة وتكوين حكومة وطنية مؤقتة ونهيء البلاد للاستقلال، هي الشعارات الأخرى المعتمدة لهذه الأعمال. وحاولت الصحافة الاستعمارية الأسبانية، بإيعاز من المندوب السامي، استغلال «غزو» ستيف في اتجاه معادٍ للديموقراطية محملة الاشتراكيين والشيوعيين جزءاً من المسؤولية فيما حدث. وإن لم يكن ذلك غير خاطئ، فلم يكن له أي تأثير في صفوف الوطنيين، الذين استفادوا من خبرة محنة «غرامهم» بالفرنكاوية وادركوا أنهم موضوع محاولة اغراء جديدة. إن التجربة السابقة، واستحالة الاستفادة من التناقضات بين الأسبانيين، والتغيرات التي وقعت في العام، أدت إلى فشل مشروعات فريلا المدافع الحارم عن الاستعمار - بشكل مدو. وبعد شهور، في فبراير 1946، بعث الوطنيون إلى القاهرة بوفد من المنطقة الخليجية سلم ملاحظات وتقارير، حول الوضعية في المغرب الشمالي، إلى مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية في أنشاس، وإلى مؤتمر بودان، وإلى مجلس الجامعة العربية. ولدى عودتهم إلى تطوان في 25 غشت، نظم الوطنيون مظاهرات سلمية في كل أنحاء الحماية، مساندةً للمندوبين سيدي محمد بن عباد وسيدي محمد الفاسي، لتلافي اعتقالهما من طرف البوليس الأسباني. وتدخلت السلطات العسكرية مما أدى إلى اصطدامات عنيفة بينها وبين المغاربة. واحتجت حكومة الحليفة التي لم تنقِ مجرد حكومة أوبريت - ضد موقف الجيش الأسباني وحذرت فريلا من النتائج الخطيرة التي قد يؤدي إليها استعمال القوة. وفي شتمبر 1946 أرسل أهم حزب في منطقة الشمال، حزب الإصلاح، وفداً بقيادة كاتبه العام الاستاذ الطيب بنونة إلى الرباط. وبعد لقائه بمحمد الخامس، عقد اجتماعاً مشتركاً مع المجلس الأعلى لحزب الاستقلال، واتفقوا على توحيد برامجهما من أجل المطالبة بالاستقلال ووحدة البلاد في ظل العرش العلوي الشريف والرفض الرسمي

لسياسة الخداع التي ينفجها فريلا في المنطقة الخليفية. ولدى عودته إلى تطوان صرح عبد الخالق الطريس بوضوح، وهو أهم أحد المدوين، أن «حزب الإصلاح في الشمال وحزب الاستقلال في الجنوب قد عاهدوا الله، وهرروا العمل شكل مشترك، من أجل تحقيق هذا الهدف، بأن لا يقللوا عن استقلال ووحدة البلاد بديلاً. وهكذا بما أنه لا وجود لاختلافات بين جنوب وشمال المغرب ولا بين السلطان والحكومة، وجب لذلك أن تتوحد توجهات حزب الإصلاح مع توجهات حزب الاستقلال».

على إثر هذه الشدات الجديدة للحركة الوطنية، قرر فريلا تقديم عرضه أمام الملأ. بمناسبة عيد إسلامي، ألقى خطاباً في حفل استقبال أمام الخليفة وعدد من الأعيان المغاربة، وأعلن في ذلك الخطاب أنه سيقدم للخليفة، مشروع اصلاحات للمصادقة عليه يرمي إلى إحداث بعض لورارات الجديدة. وهناك في الحين، رد ممثل وطني مؤكداً أن الوطنيين غير مستعدين لقبول الدحول في أية حكومة، لأن مرحلة الانهيار بالوزارات انتهت، كما أن المعارضة مقتنعون بأن اصلاحات الحماية ليست سوى خداع لفائدة الاستعمار الأسباني. وبعد أيام، اصدر حزب الاستقلال نشرة في نفس الاتجاه مؤكداً تصاميم [الحركة] الوطنية المغربية في الشمال والجنوب في مطالبها وفي أساليب عملها من أجل تحقيقها، ومخدراً مواطنيه من الانهيار ب «العبارات المعسوة» للحكومات الاستعمارية ليباريس ومديره. ورد فريلا على هذا الرقص بالقوة، ووقف الحريتين المعريتين، الوحيدين التين بقيتا كمخلفات لفترة الحريات من 1936 إلى 1938، «الوحدة المعربية»، و «الحرية» لسان حال حزب الإصلاح، وقام بعمليات التفتيش والاعتقال وطرد من عمله كل من كانت له أدنى صلة بالوطنيين.

أمام كل هذا، بعث الوطنيون مذكرة إلى الكتابة العامة للأمم المتحدة وبنسخ من نفس المذكرة إلى كتابة الجامعة العربية وإلى كل الدول الاعضاء في الجامعة العربية، ويطالب الوطنيون في المذكرة بإلغاء الحماية وإعلان الاستقلال.

واسمى المؤتمر في تصاعده الى أن انفجرت الاحداث المأساوية لبيادر
وفبراير 1948 والتي جاءت بعد المؤتمر اهام للمغرب العربي الذي انعقد
بالقاهرة.

إن الاتصال المتصاعد للوطنيين التونسيين والجزائريين والمغاربة طرح
عليهم ضرورة تنسيق جهودهم. لذلك اتفقوا مع الجامعة العربية على عقد
مؤتمر عام لدراسة قضايا المغرب العربي والبحث عن أنجع الوسائل من أجل
تداعيل نشاطاتهم وإعلان تصاميم العلم العربي بالشكل المناسب للخدمة
مصلحة التحرير. ودامت اشغال المؤتمر أسبوعاً من 15 الى 22 فبراير
1947. وحلها تمت المصادقة على اتفاقات تكنسي أهمية استثنائية :

- 1 - بطلان معاهدي الحماية المقروضة على تونس ومراكش،
وعدم الاعتراف بأي حق لفرنسا في الجزائر ؛
- 2 - مصابة الحكومات المغربية والهيئات الوطنية بإعلان استقلال
للبلاد ؛
- 3 - المطالبة بجلء القواب الأجنبية عن بلاد المغرب كلها ؛
- 4 - رفض الانضمام الى الاتحاد الفرنسي في أي شكل من
اشكاله ؛
- 5 - اعتبار أيام احتلال الجزائر (5 يونيو) وفرض الحماية على
تونس (12 مايو) وفرض الحماية على مراكش (30 مارس) أيام حدود
في جميع أقطار المغرب ؛
- 6 - تعزيز الكفاح في الداخل والخارج لتحقيق الاستقلال
والجلء.

وعرض المؤتمر بعد ذلك موضوع تنسيق الحركات الوطنية في بلاد
المغرب ولقد اتخذت فيه القرارات التالية :

- 1 - ضرورة الاتفاق بين الأحزاب الوطنية داخل كل قطر إما
بندمجها في حزب واحد أو تشكيل جبهة وطنية منها ؛
- 2 - احكام الروابط بين الحركات الوطنية في الأقطار الثلاثة.
ويوصي المؤتمر لتحقيق ذلك بما يأتي :

- أ - الاتفاق على غاية واحدة هي الاستقلال التام والجلء
- ب - تكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد
الخطط وتنسيق العمل لكفاح مشترك
- ج - العمل على توحيد المنظمات العمالية والاجتماعية والاقتصادية
في الأقطار الثلاثة وتوجيهها توجيها قومياً
- 4 - ضرورة وقوف الأقطار الثلاثة جبهة واحدة عند حدوث
الازمات في أي قطر منها.

وفيما بعد رفعت المطالبات التالية للجامعة العربية :

- 1 - بإعلان بطلان معاهدي الحماية المقروضة على تونس
ومراكش، وإعلان عدم شرعية احتلال الجزائر، وتقرير استقلال هذه
الأقطار، مع تعيين ممثلين عنها في مجلس الجامعة
- 2 - بعرض القضية المغربية على الهيئات الدولية، واستعمال كل ما
لدى الجامعة من وسائل لمساعدة اقصاد المغرب على تحقيق استقلالها الكامل.
- 3 - بإرسال لجنة تحقيق الى اقصاد المغرب
- 4 - بتعيين ممثلين في أقطار المغرب العربي للدول العربية المشتركة.
- 5 - عرض الحالة الثقافية بالمغرب على الجامعة العربية، ومطالبتها
بالعمل على نشر الثقافة العربية في كامل بلاد المغرب، وحل مشكلات
الطفلة المغربية الذين يسجأون الى المشرق بقصد اتمام دراستهم في المعاهد
العربية، وتذليل العقبات التي يلاقونها.

ثم عرض المؤتمر المشاكل الخاصة بالمغرب، وتمت المصادقة على النقاط
التالية :

- 1 - رفع مذكرة الى إحدى الدول العربية، يبين فيها بالاسم
لصحيحة، كيف أن فرنسا وإسبانيا خالفتا سياستهما الاستعمارية، كل ما
قررت به هيئة الأمم المتحدة من مقاصد ومثل عينا وحقوق للأمم والشعوب،
ويطالب بها رفع القضية الى هيئة الأمم المتحدة.
- 2 - أن ترفع المجلات السياسية المغربية مذكرة الى هيئة الأمم

المتحدة، تشرح فيها اعتداء فرنسا واسانيا على حقوق الشعب المغربي وحرياته ومنعه من استعمار حقه في تقرير مصيره. وأن تطالب بارسال لجنة للتحقيق في أعمال هاتين الدولتين التي تناقض ما قرر في ميثاق هيئة الأمم المتحدة من المبادئ.

3 ارسال مذكرات من الهيئات السياسية المغربية الى مجلس الاقتصاد والاجتماع وحقوق الانسان. تشرح فيها كيف اعتدت فرنسا واسانيا على حقوق الانسان الاساسية في المغرب العربي وحطمتا كيانه الاقتصادي والاجتماعي ويطلب رفع هذه المسائل الى هيئة وارسال لجنة الى المغرب للتحقيق.

وفي صيف نفس السنة، قدم مندوب مغربي، هو المهدي بنونة ممثل وطني المنطقة الاسبانية، مذكرة الى الكاتب العام للأمم المتحدة ترفيث لي وطالب بأن يسمح له بعرض وجهة نظره أمام اللجنة السياسية التي ستناقش علاقات اسبانيا الفرانكاوية مع الدول الاعضاء في الامم المتحدة. وطلب منويل اسنار، سفير فرانكو بواشنطن، من الاساذ سوية عدم القيام بمساعي أخرى حتى يتصل بمديرد. ورد القائد المغربي على ذلك بالانجاب شريطة أن تقوم الحكومة الاسبانية بالخطوات التالية :

- 1 - أن تعلن اسبانيا أنها تساند قيام دولة مغربية مستقلة تضم المغرب الفرنسي وطنجة والمنطقة الخليفية ؛ وأن تعلن الاستقلال العموري للمنطقة الخليفية كإجراء أولي ؛
- 2 - أن تصدر عفوا شاملا على كل المعتقلين والسحاء السياسيين؛
- 3 - أن تشرح في مفاوضات مباشرة مع الخليفة من أجل تحقيق هذه الاهداف.

وبعت أسار بالمطالب الى فرانكو، وكجواب تلقى مجموعة من الاسئلة حول مطالب الوضيين وحول معنى مفهوم «المعتقلين السياسيين». وأمام هذا الرفض الملقع بالتهرب، تابع بنونة مباحثاته مع مختلف الوفود في سان فرانسيسكو. لكن خارج العالم العربي، كان يبدو أن لا أحد من

المعسكرين مهم في ذلك الوقت بالمصير الذي ينتظر الشعوب المستعمرة. ولتسهيل القمع أكثر، قرر فريلا انتهاء مهلة القضاء الأهلي بواسطة قرار يُبعد بموجبه المخزن عن الفصل في القضايا المرتبطة بالأمن العام، متجاهلاً المعاهدات التي تنزله أمام تلك الحكومة ؛ وذلك لأنه فقد الثقة في الموظفين المغاربة الذين كانوا يعارضون تنفيذ التوجيهات التي تعطى لهم لمعاقبة الحركة الوطنية.

ومع القرار الجديد أصبحت المحاكم الاسبانية هي الوحيدة التي لها صلاحية الفصل في كل ما يرتبط بملس بالأمن العام.

ونشر حزب الاصلاح تحديراً يتخصص في العبارات التالية : «إن هذه الخطوة التي اقدم عليها الاسبانيون خطيرة جداً، وستؤدي لا محالة الى اصطدام بيننا وبينهم إن السلطات الاسبانية قد ألغت الحكومة المغربية بشكل تام لما أسندت مهمة الأمن العام لسلطات المركة الاسبانية. وبهذه الطريقة اعتدت اسبانيا على القضاء الاسلامي، ووضعت المغاربة تحت رحمة المحاكم العسكرية افاشية. ويعني هذا إعلان حالة حرب مستمرة في المنطقة».

إهم لا يبالغون لأن الفصل الثاني من القرار يُلغي الشرطة المغربية ويُسند مهمتها للشرطة الاسبانية. ويحول الفصل الثالث لبوليس الاستعماري الحق اللامشروط في تفتيش المارل ؛ ويحدد الفصل السادس أن الشرطة ستتلقى أوامر مباشرة من المندوب السامي. وبشكل ذلك خرقاً سافراً حتى لمعاهدة الحماية التي لم تُحول لاسبانيا إلا حق المراقبة. ويعطي الفصل الثامن طابعا عسكرياً لبوليس الاسباني. وبذلك أعطيت صلاحية النظر في قضايا الأمن العام للقضاء العسكري الاسباني.

وفور ما عرف النبا اجتاحت كل شمال المغرب موجة من السخط. وبقيت تطوان مشلولة باضراب لمدة 24 ساعة، بينما كانت لجنة من الاعيان، المجتمعين في المسجد الكبير، تحرر بيان يطالب بالغاء ذلك القانون.

من الخلف شعباً أعزل. وحيثما كان لهذا الشعب جيش مسلح، لم تكن الجيوش الاسبانية تقوم إلا بالتراجع.

من الاكيد أن اسبانيا وفرنسا، بالرغم من اختلافات سياستهما، متفقان ضد بلدان المغرب العربي وقد نسقتا خططهما واعمالهما من أجل القضاء على العروبة في هذه البقاع [يشير الى الاجتماع الذي عقده فريلا وجوان في طنجة في بداية 1948 حيث اتفقا على اتحاد موقف مشترك ومنسق لمواجهة الوصيين].

سأشد اخواننا عرب المشرق بأن يكونوا على حذر من الدسائس التي م فتت اسبانيا الفاشية تحاول نشر دعايتها الكاذبة في نفس لوقت الذي تُربق فيه دما.

إن التعاون الاستعماري القائم بين المرشال خوان المقيم العام لفرنسا بالمغرب والحرال فريلا المندوب السامي لاسبانيا بالمغرب، انتهى بموت الثاني في مارس 1951 وبحزل الأول في عشت من نفس السنة. وإن خنفتهم الحرالان عليوم وغرسيا فالينيو قد حرقا اتفاقية طنجة وانهجيا سياسة مختلفة وعدائية الى حد أنها، خصوصاً ابتداء من 20 غشت 1953 - حلع محمد الخامس -، أدت الى عادة طبع مزيدة ومتفحة لوصعية سنوات 1936 - 1938 : قمع عيف من طرف الاستعمار الفرنسي ودعم صريح للوطنيين المعاربة من طرف الاستعمار الاسباني. وبعد شهور من تعييه صعد عليوم القمع الى حد أن الدرك اعتال، خلال شهر واحد، قرية سبعين مغربا واعتقل اكثر من 500 مواطن مع اغلاق الحرائد الوطنية «لعلم» و «المغرب» و «الاستقلال» و «الرأي» تاركا بتداول الجريدة الشيوعية «لسوار» (الأمل) فقط. بينما منح غرسيا فالينيو بواسطة ظهور، وذلك في شتمبر 1951، مريدا من الاستقلال الذاتي لجماعات [مجانس القائل] حتى «تتبا» وتحصل على الممارسة الضرورية ؛ حتى في أقصى زوايا منطقة الحماية ؛ لقيام بمهام أخرى ومسؤوليات سياسية ذات أبعاد كبرى». وفي 7 مارس 1952 سمح بنشاط الاحزاب السياسية بالمغرب استنادا الى حجة تؤدي الى حالة الاخذ بها الى القول : إن مستوى حضارة اسبانيا

وفي نفس الوقت كانت تستظرو عوده الاستاد المهدي بونو من الامم المتحدة والاستاديين عبد الحلق الطريس ومحمد بن عمود من مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة. وأمام نبأ منعهم من دخول منطقة الحماية من طرف فريلا، كان رد فعل الشعب المغربي مدهشنا حيث وقع تمديد اضرب تطوان لمدة 72 ساعة أخرى، وفي 3 فبراير عمت المظاهرات كل المناطق الحيفية هاتفة بحياة المغرب المستقل، والموت للاستعمار الاسباني والفرنسي، وفي تطوان حوصر مقر اندونية السامية. لذلك أعلن فريلا حالة الحرب وأنزل الجيش الى الشارع. وفي 4 فبراير، بقي أبرز المستعمرين الاسبانيين محتجين حلال اريد من 20 ساعة في انتظار الاخبار القادمة من القائل ؛ واتخذوا قرار تسليح الاسبانيين إن لم يكف المغاربة عن اعمالهم في اليوم اموالي. وفي نفس ذلك اليوم حقق «الجيش الاسباني المجيد» مأثرة أخرى من مآثره وهي اغتيال مئات المغاربة ؛ ويجب أن يضاف الى ذلك آلاف الجرحى والمعتقلين والمعذبين - إن 20 وطنيا ماتوا تحت التعذيب الخ... وإن جانبهم سقط أيضا عشرات الجنود الاسبانيين وهم الصحايا الحمية والمجهولة لاستعمارنا.

واصدر عبد الحليم، البطل الشبيح، من منفاه بالقاهرة البيان التالي: «في الوقت الذي تعمل فيه كل الدول على تحسين وضعيتها بعد نهاية الحرب العالمية الأخيرة، فإن تطور الأحداث في مناطق المغرب يسير من سيء الى أسوأ. وكأن تنافسا غنياً بحري بين فرنسا واسبانيا لثبيات من منهما سيلحق أسوأ المصائب بهذا البلد الريء. لم نكد ستهي من الحديث عن التصحيحات الهائلة التي فرضتها علينا فرنسا [7 أبريل 1947 : قمع فرنسي شرس في الدار البيضاء أدى الى سقوط العديد من القتلى]، حتى سارعت اسبانيا لتحلها لتحمل تضحيات مماثلة.

وقعت الآن أحداث دموية في تطوان، وذهب ضحيتها العديد من أبناء المدينة ابطبة، لا شيء، إلا لانهم احتجوا ضد منع ثلاثة من خيرة أبنائهم من الدخول اليها. وإن دلت هذه الاحداث على شيء فإنما تدل على بطولة الشعب المغربي وعلى جبن الاسبانيين الفاشيين. [لاحظ كيف تميز الدعاية الوطنية المغربية بين الاسبانيين بعضهم بعض] إن هؤلاء طعنوا

كان عند إصدار هذا القانون، بل وإلى حد اليوم بعد عشرين سنة من ذلك التاريخ، هذا المستوى كان أدنى من مستوى الشعب المحمي من طرفها «نظراً لتطور الشعب المغربي في هذه المنطقة وسيوره الخيثة نحو مستوى ثقافي أرقى يفصل العمل الحامي لاسبانيا التي لا تدخر جهداً للقيام بمهمتها؛ ونظراً لرغبة الأمة الحامية في أن يكتسب هذا الشعب النبيل، يوماً بعد يوم، مريداً من الثقافة المدنية الضرورية لتسيير مصائره بنفسه، ثقافة يجب أن تكون ثمرة نسي نحصيل مهجي وتدرجي، وكل هذه العوامل تلي إصدار بعض القوانين الإضافية لتشريع الذي يظم قانون الجمعيات في المنطقة، هذه القوانين التي يمكنها بسهولة أكبر، توسيع مجال التعبير عن المشاعر السنية والمطامح المشروعة التي تعتبرها الأمة الحامية جديرة بكل احترام وتقدير. ولذلك، وبالرغم من أنه تم السماح عملياً بنشاط الأحزاب السياسية المغربية في مراحل مختلفة، أصبح من الضروري إضعاف الشرعية على هذه الوضعية، بتوضيح الإجراءات المعمول بها حول ممارسة حق الاجتماع بشكل مناسب، حتى تتمكن الأحزاب السياسية المذكورة أو التي تتأسس، من ممارسة نشاطاتها في إطار المشروعية».

وهكذا، كانت الأحزاب والقادة الوطنيون، في بداية 1953، يعملون بكل حرية في الشمال الإسباني، في حين كانوا مضطرين إلى إنشاء المنظمة السرية في الجنوب الفرنسي، والمقاومة السرية التي كان محمد ازرقطوني أول قادتها قد عُدب واغتيل في مراكز الشرطة الفرنسية. إن هذا التقسيم السياسي كان يلعب لصالح العدو المشترك للدولتين المستعمرتين أي «الحركة» الوطنية المغربية. لكن لماذا وضعت باريس ومديد حداً لتسويق الذي كان قائماً بينهما سنة 1948 ؟

إن الأحداث التي وقعت في المغرب الإسباني، بعد شهر من الوقوع على ذلك الاتفاق المعادي للوطنية، دفعت فرانكو إلى التفكير، إن الحركة الوطنية حقيقة متنامية لا يمكن تجاهلها. وعاجلاً أم آجلاً سيكون من الضروري حمل السلاح لمحولة سحقها، إلا أننا لم نبق في السنوات العشرين «السعيدة». إن باورما الوضع الدولي تغيرت وحصلت مجموعة من البلدان على استقلالها. وحركة تحرير وطني مثل حركة هوشي منه قضت

على الامبريالية الفرنسية في الهند الصينية، واجتاحت رياح التمرد القاهرة وأدت إلى سقوط الملك فاروق في يوليوز 1952.

وكانت المجموعة العربية الآسيوية قد طالبت بتسجيل القضية المغربية في جدول أعمال منظمة الأمم المتحدة في 4 أكتوبر 1951. وفي 10 شتمبر 1952. وأصبح سلطان المغرب يعمل إلى جانب الوطنيين صراحة، وفي رسالة مؤرخة ب 14 مارس 1952 الموجهة للحكومتين الفرنسية والاسبانية يطالب ب :

- 1 - تصفية الجو السياسي ؛
- 2 - إعطاء الحريات العامة والخاصة وعلى الخصوص الحريات النقابية ؛
- 3 - تكوين حكومة مغربية مؤقتة.

ولم تكن الوضعية الداخلية لبلادنا ملائمة لمواجهة الحركة الاستقلالية. كان الديكتاتور قد نجح في إفشال محاولات الغوارية، لكن اضطراب 1951 في برشلونة كان الدليل الملموس على أن لمعارضة اختارت طرقات أخرى لمحاربتها. لا، لم يكن بالإمكان الانهماك في حرب جديدة في المغرب. ومن جهة أخرى كان استغلال نضال العرب المعادي للامبريالية لفائدة الديكتاتورية ممكناً. كانت اسبانيا معزولة وتم طردها من منظمة الأمم المتحدة ورحل السفراء. وقد يكون اجتذاب العالم الإسلامي الذي كان، في نهاية المطاف، يتوفر على عدد لا يستهان به من الأصوات في الأمم المتحدة، أحد أشكال مقاومة هذه العزلة. وكان بالإمكان أن تتحول [اسبانيا] أيضاً إلى وسيط بين الامبريالية والشعوب العربية، وسجل ميزان حرارة الحرب الباردة عدة درجات تحت الصفر. كل ذلك كان سهل التحقيق، باعطاء غطاء وتسهيلات لجماعة من «المتحمسين» الدين وإن كانت لهم القوة لطرح الكفاح المسلح، فليست تلك القوة كافية لتنهزم الجيش الفرنسي، وحتى لو حققوا ذلك فلن يكون سلباً لأن الأمريكيين الشماليين سيتدخلون آنذاك، ولربما قاموا بتقسيم جديد للتراب المغربي الذي ستحتكر كيلو مترات أكثر منه. تلك الحسابات، تقريباً، هي الحسابات التي كان

فرانكو يقوم بها في بداية عقد الخمسينيات. وبالإضافة إليها كان له حقد عميق على فرنسا التي قضت امبراطوريتها وكانت تساند الحمر [الشيوعيين] في «الحرب الصليبية» و «تشجع» إسبانيا الوطنية.

وتتاح الفرصة الآن لرد الصفعات، بالإضافة إلى [الاحساس] بلذذه حفية لمشاهدة الكيفية التي ستحل بها فرنسا «الديموقراطية» هذه المسألة. على كل حال يعتقد فرانكو أنه من الانصاف أن يؤدي الثمن من احتكر «شرحة اللحم» المغربي. لم يكن يملك سوى 5% من أوفر الأراضي وليس من الانصاف أن يتخذ نفس الموقف الذي اتخذه باريس. وفي هذه القضية وبالرغم من اعناده على حسابات خاطئة مثل التقليل من شأن الوطنيين والتعظيم من شأن الامبريالية، وبالرغم من أنه يحاول استعمال اعطاب الوطنية المغربية مصحته الخاصة مرة أخرى، فمن البدهي أن الجنرال فرانكو تصرف بكرامة أكثر من ملكية الفونس XIII الذي قبل [القيام] بدور الوليس لخدمة الامبريالية الفرنسية - البريطانية. وبشكل مفارق، كان فرانكو يتهج السياسة الأوروبية المعادية للاستعمار الوحيدة آنذاك. إذ بينما كان النظام الفاشي لمديره يقدم المال والسلاح والملجأ والتدريب للوطنيين المغاربة، كانت الأنظمة الديمقراطية لباريس ولاهاي ولندن وبروكسيل تغتال الجزائريين والتونسيين والمغاربة والقمنايين والمغاشيين والاندونسيين و«الماوماو» وبكينا والكنغوليين الخ...

لم يكن للاستعمار الفرنسي من حل إلا الدفاع عن مبه بالحديد والنار، ومن حيث الكم والكيف كان يملك أحسن حزم من المغرب. وكانت إسبانيا تخسر المال في حمايتها في حين لم تكن باريس تخسر بل على العكس من ذلك. إن دليل الأرقام غير القابل للمجدال ومغبر أكثر من اللازم لتفادي الإشارة إليه، وكما كان أكثر اقتضابا اقرب من الحقيقة أكثر. وهكذا يرى أن المغرب كان هو الاقليم الوحيد تحت الإدارة الفرنسية الذي يزود صناعة المصب بالمنعير الضروري الذي ارتفع انتاجه من 221800 طن في 1949 إلى 334.000 طن في 1951. وكان الكولط الذي يستهلكه لفرنسيون يرد كله من الحماية وفي 1944 كان انتاجه يبلغ

1750 طناً وبلغ 7000 طن في 1952. وارتفع انتاج «شربوناج نور امريكان» من 141.000 طن في 1939 إلى 395.000 طن في 1951. وبلغ انتاج الفوسفاط 4.600.000 طن في 1951. وعلى المستوى الصناعي ردت المساحة المروعة بالحبوب بسبة حوالي 15% منذ 1947. وارتفع انتاج الحوامص بسبة 20% بالمقارنة مع موسم 1948 - 1949. وأشتت في سنة 1950 وحدها 197 شركة لمصبرات، وكانت مساحة المنشآت الصناعية الجديدة خلال نفس السنة هي 300.000 متر مربع. إن جرءاً هاماً من هذه الزيادة في الإنتاجية رجع إلى مخطط التحديث والتجهيز الذي مول ثلثي الاستثمارات الضرورية للوصول إلى نتائج من هذا القيل؛ ويبرز من بينها افتتاح اطاقه الذي كان يبلغ 144 000 000 كيلو واط ساعة في 1939 و 625.000.000 كيلو واط ساعة في 1951. ويُقدر مجموع الاستثمارات في المغرب من 1949 إلى 1952 برقم 189.350.000.000 فرنك [حوالي 300.000 مليون لسنة 1951]، ومبها حوالي 63.100 مليون من نصيب استثمارات خاصة.

إذا استحضرننا في كل وقت هذا المجهود المالي الذي لم يسمع به قط، يُصبح تشتت باريس بالتناور، من أجل البقاء على أرض مغمورة بكتنة هائلة من الرأسمال، على قاعدة الوضع القائم أو على تغييرات قبيية التعرض لحظر؛ مفسراً بشكل تام. لأن الأمر لا يتعلق فقط باستثمارات الدولة وإنما أيضاً بالرأسمال الخاص الذي يتشجع أكثر للاستثمار بقدر ما لا نكون الأرباح مرهونة بالضرائب التي تثقل الاقتصاد الخاص في التبرول. ويعوض بد عامرة رخيصة [مكونة من] الأهليين كلفة اليد العامة المتخصصة وكلها أوروبية تقريباً. لكن هذا النمو الاقتصادي المتسارع لمغرب الحبوب محل مظهرة التغيير الجذري للأسس السوسولوجية المغربية، الممتلئة في جماهير فلاحية مكونة في اغبيتها من البربر المشيشين تنقاليدهم وعاداتهم مغرب «السبية» القديم - وسكان حضريون مبحزون من التحار والصناع لتقنيين والموظفين - مغرب «الخرن» القديم وتكون [هذه الساكنة الحضرية] من بربر قلائل ومن البربر المعربين ومن أحلاف سكان الاندلس

مع العامل الأوروبي، غلاء المعيشة، احتقار تكوين يد عاملة متخصصة وتقنيين مقاربة، أو هجرة الفرنسية التي ناهزت منذ 1945 الرقم العالي لـ 40.000 من المهاجرين الذين يستقرون سنويا في المغرب، وتحول الحماية إلى منطقة للاستعمار المكثف. لقد نجح الوطنيون في كسب البروليتاريا المغربية الشابة إلى جانبهم، وكانت تجد فيهم احساساً جديدا بالوحدة الوطنية، وصيفاً تبدو صالحة لتجاوز وضعيتها الاجتماعية، كما لو أن مجرد تغيير قانون سياسي سيؤدي بشكل آلي إلى تغيير جذري في طرح المسألة الاقتصادية.

وكان على الاستعمار الفرنسي أن يواجه حركة جماهيرية، ولم يبق له اختيار آخر سوى محاولة اتخاذ تدابير قوية، فبالقضاء على أصل الداء يُقصى على الداء؛ إنه أسلوب حذري كانت له فعالية سياسية كبرى في بعض الماسسات. ولذلك كان من الطبيعي أن يحاول [الاستعمار الفرنسي] تطبيقه. لكن، كان ثمة مشكل إذا تشكل رهط حقيقي فالكلاّب المدجّنة التي كانت تسير على موال الكلاّب لم تكن مكافئة، باستثناء الكلاوي. إن عقد الآمال الاستعمارية على مستقبل صافٍ من السحب الاستعمارية على المدى الطويل، اعتماداً على قصاص ضعيف، مشكل لا يناقش من اسكان العرب، أمر لم يكن له من معنى. وكتب مسونروس رومانونس في مذكراته، أن الذكرى التي يحتفظ بها عن يوم 2 ماي 1808 في مدريد هي تشوش وقتل عائلته على ورم وقع له لما سقط. إن مجموعة من العائلات المشغلة بورم أولادها في الوقت الذي يُطرح فيه تحديد مصير شعب، ليس ذلك ولن يكون أبداً هو التعبير الصادق عن إرادة شعب سواء في الرباط أو مدريد أو أي مكان.

وفي يوم 20 غشت 1953، عندما خلعت فرنسا محمد الخامس بالقوة، وأعلنت محبة الدمية محمد بن عرفة، دشت آخر مرحلة من النضالات الوطنية بالمغرب. وكان الكلاوي، وهو سيد اقطاعي من مراكش، هو السند الوحيد الذي وجدته الجنرال غيوم الذي نفى السلطان إلى الجزيرة الملغاشية. وفي وجدة والرباط والدار البيضاء قتل 36 مغربياً

وقد اندمجوا تقريباً في الحصار العربي وهم، على كل حال، متأثرون في عقليتهم وعاداتهم وثقافتهم بالوجود الفرنسي. إن هذه الخطاطة لم تعد تعكس الواقع كلياً. إن الاستعمار الفلاحي الذي بدأ يكتسب من المثارة بعساره نجاحاً بالنسبة إلى المعمرين الفرنسيين بعد الحرب العالمية الأولى، أصبح يُرحل نحو الممدد الشاطئية مجموعات من الفلاحين يبحثون عن عمل. إن النمو الديموغرافي وسهولة المواصلات ضاعفت، يوم عن يوم، تمركزاً حضرياً لم يكن من مميزات المغرب. إن ظهور البروليتاريا هو لعامل الذي عبر البانوراما السوسولوجي المغربي. وبالرغم من اسلامها لم تكن هذه الطبقة العامة تختلف بشكل كبير في مميزاتها الأساسية عن تلك [الطبقة] التي برزت في أوروبا في بداية التصنيع في القرن الماضي.

انقرضت النيات التقليدية تركة الفرد معزولاً في مواجهة مجتمع مدني يحركه الربح الاقتصادي والبرعة في السيطرة. إن البؤس وعدم استقرار الوضعية العمالية، والخوف من البطالة أو الطرد، كان يخلق قلقاً مستمراً، وكان يؤدي إلى البحث عن حماية في يقين وتأكيدات جماهيرية تعرض لآطار تقليدي الذي تقوض. وهكذا، وبطريقة شبه حتمية كان الفرد ينتهي إلى الاندماج في المنظمات الوطنية. إن تعايش أبوية فلاحية وافدة من قبائل مختلفة؛ كانت من قبل في اتصال فيما بينها وكانت تجعل من المغرب بلداً [مكوناً] من أجزاء؛ والابتعاد عن الاطار الاجتماعي العائلي وعن الحساسيات التقليدية نحو المجموعات البشرية الأجنبية عن النظام القبلي، حملت مسلسل انصهار أدى إلى ظهور احساس بالانتماء للمغرب وليس لهذه القبيلة أو تلك.

إن التحريض الوطني الذي اقتصر آنذاك على أقلية من البرجوازيين ومتقفي المدن، بالرغم من الصدى الذي كانوا يبقونه لدى الشعب، تجاوز بشكل كبير الحدود الضيقة التي كان يتحرك فيها. وكان يجد في هذه البروليتاريا المستجدة قاعدة جماهيرية لمنظّماته. وكان يقوم بدعايته الوطنية على أرض مُسمّدة - الوعي بأنها مفككة كأمة - ويزيد من انتشار هذه الدعاية ارتكازها على معطيات ملموسة: عدم المساواة في الأجر

وفي بداية 1954، في 21 يناير، في تجمع سياسي حاشد أمام أزيد من 30.000 مغربي، حذر المندوب السامي من «أن فرنسا حطت خطوة لا رجعة فيها، وعليها أن تواجه الآن مسؤولياتها وحدها»، وأعلن عن تضامنه مع صحايا «القمع الفرنسي الشرس». وفي نفس الحفل تلا تصريحاً موقفاً من طرف 430 من المثشين بالمغاربة :

«إن الأحداث ذات الخطورة الاستثنائية التي وقعت في الشهور الأخيرة ملأت بالأم عميق قلب كل وطني مخلص، إن الاهابات التي الحقها الحكومة الفرنسية بكل المعارضة والجراحة لأبيل مشاعرهم ولاكثرها صميمية، أدت الى استنكار عام يُعبر عن نفسه بالرغم من الاجراءات القمعية والاجبارية الصوية المطبقة في كل المنطقة، التي أصبحت بذلك لس فقط غارقة في الألم، وإنما أيضاً قلقاً بشكل عميق على تطور وضعية مليئة بالمخاطر، ومناقصة الى حد كبير لما يجب أن يكون عليه عمل الحماية. إننا نمرق القلب بهذا الألم وهذا القلق عن مصير شعبنا، إن كل الموقعين على هذا التصريح يعبرون عن قلقهم ويحددون رعايتهم كما يلي :

1 - نرفض بعزم، ودون أي تساهل، السياسة المتبعة في منطقة الحماية الفرنسية من المغرب، ونرفض الاجراءات التي أدت الى خلع الملك الشرعي محمد بن يوسف [والذي جاء] نتيجة لمناورات الاقامة الفرنسية باتفاق مع عناصر محلية من طينتها ومن وراء الشعب المغربي برمتيه في هذه المنطقة، مبينة بذلك عن احتقار تام لارائه ومشاعره وطاعته في الاتفاقيات التي ثقرها الحماية.

2 نعبّر عن تأييدنا اللا مشروط، فضلاً عن امتناننا وامتنان الشعب المغربي قاطبة، للسياسة المتبعة في منطقة الحماية الاسبانية، ونتيجة لهذا التأييد نعلن لكم أننا لا نعترف بسلطة مولاي بن عرفة لأنه فرض بشكل تعسفي من طرف فرنسا ضدنا على مشاعر الشعب المغربي وباحتقار لها ولا نعيش إلا لسطاننا المحبوب فقط. واستناداً الى العكرة الاساسية، التي ما هتأت اسانيا تدافع عنها، لوحدة المغرب، نطالب بالفصل الظرفي للمنطقة الاسبانية، ما لم تتغير الظروف السياسية التي تهيمن في المنطقة الفرنسية، ونطالب بأن تكون تخليفتنا السيادة الكاملة فيها دون أية تبعية

وخرح 40 آخرون جروحاً خطيرة عندما فرق للدرك بالرصاص أعمال احتجاج الوطنيين. وحاول علال بن عبد الله، وهو عامل، اغتيال بن عرفة واستشهد دون أن ينجح في ذلك. وفاجأ الاحراء الخطير الذي اتخذه الفرنسيون فرائكو إذ لم يكن ينظر أنهم سيذهبون بعيداً الى ذلك الحد. وقد أسرته الخبر : بالرغم من نشعل ياله به نظراً للانعكاسات التي قد تكون به في الحماية الاسبانية، لأن فكرة تدخل لأمريكيين وحصول فرائكو على توسيع لنصفه الاسبانية كانت تخافه في ذلك الوقت. وكان حذمه يركز على آخر تصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة عقب التصويت الأمريكي لصالح اقتراح المجموعة العربية - الآسيوية بتسجيل القضايا المغربية في المرتبة الثانية ولثالثة من حدود أعمال الدورة، وكان ذلك يعنى إترام فرنسا بالمتول أمم هيئة الأمم المتحدة ووضع صلاحيات فرنسا بين حوسين عبد التصويت على ثلاثة مقررات متعلقة ب «حق الشعوب في تقرير مصيرها»، صوتت الولايات المتحدة ضدها. وصادر الدكتاتور أمره الى عرسا فالبيو باستنكار الاجراء الفرنسي وإطلاق حريات الوطنيين المغاربة الى أقصى حد.

ولذلك، قدم المندوب السامي بعد ستة أيام، احتجاجاً الى المقيم العام لأن استشارة اسبانيا م تتم في مسألة مثل خلع السطان، ونية الى أن اتعاون سيكون حد صعب من الآن فصاعداً «لأنه لم يعط لاسبانيا سوى اعتبار قليل الى هذا الحد، إسبانيا لني لها شأن أكبر من أية دولة أخرى في لمسألة المغربية». وفي 25 نوفمبر صرح المندوب السامي لحريرة «أ.ب.س» أن الاحراء الذي اتخد في المغرب الفرنسي خطير لأن جرءاً كبيراً من سكان المغرب يعتبر نفسه معتدئ عليه : وفي نفس الوقت أشار غرسيا فالبيو أن هناك ثلاثة مسؤولين عن لوضعية :

ولاً، فرنسا التي لا تعتبر إلا رأي المعمرين ؛

ثاني، السطان، الذي يُصغي لديماغوجية الوصيين ؛

وثالثاً، حرب لاستقلال لأنه يطالب «باستقلال لس المغرب مهيئاً

له».

لعرفة».

وبعد خمسة أيام، أصدر فرانكو عفوا شاملا عن كل المعتقلين السياسيين المعارفة. وفي بداية فبراير، استقبل فرانكو في قصر، الرادو وهذا من الوطنيين ونسلم منه «تصريح تطوان» وعبر لتوفد عن الله ن «الاحداث المحزنة التي نأسف لها اليوم» وندد بالتواطؤ مع الاستعمار الفرنسي. «إن الترام الصمت من طرف أمم أخرى مهمة أمام وضعية التوتر الخطير، لا يعني أنها توافق وأن ليس ها تحمضات إزاء عفو وشدوذ العمن الفرنسي»، وأكد بشر أونوموي» يقينه بأن «مطلق العقل سيتهى بالانصر على منطق القوة». وانتهى الشهر باحتجاج فرنسي يقول «إن فرنسا تلقت باندهاش موقف الحكومة الاسبانية»، وقد قام السفير جاك ميري بتسليم نص الاحتجاج الى وزارة الشؤون الخارجية.

وفي نفس الوقت وجهت المؤسسات الرأسمالية الرئيسية في المغرب الفرنسي، رسالة الى الغرفة التجارية للمغرب الاسباني، تعبر فيها عن ذهولها وهي ترى الشركات الاسبانية الخاصة توافق على مساعي المندوب السامي «التي تعني في الواقع انتحار الوجود الاسباني - الفرنسي». إن صعود عبد الناصر الى السلطة، بعد استقاله بحجب، ساهم في تجديد كفاح المنظمة اسرية. ففي 6 مارس ألقى الميكانيكي الشاب بن علي بفنيلة على س عرفة؛ وفي 6 ماي تمت تصفية عميلين أساسيين هما إمام مسجد فاس وباشا نفس المدينة. وسجلت عشية الذكرى الأولى لخلع محمد الخامس تصاعدا هائلا للنشاط الارهابي: 32 قتيلا و 66 جريحا في الاسوع الأول من غشت، 9 قتلى و 32 جريحا خلال يوم واحد - 8 غشت في بور ليوطي [القبضة]: 75 قتيلا و 244 جريحا في الأيام العشرة الأولى من غشت التي ثوجت بالاحتلال العسكري لفاس من طرف جنود اللصيف الاجنبي والسعاليين. وفي نفس التاريخ الحاسم، 20 غشت، تمت تصفية باشا الدار البيضاء من طرف مناضلين وطنيين. وفي نفس الوقت شهدت

شواهد في نسبة الى أونامونو «UNAMUNO»

تطوان مظاهرة للتناضل بقيادة عبد خالق الطريس، بعد أن استمعت الى خطاب غرسيا فالينيو «عينا أن نواصل السير في طريقنا المستقيم الذي يستهدف تسهيل وتشجيع تطور الشعب المغربي الى أقصى حد، بسخاء وعطف حقيقي وخطي ثابتة».

وان خطاب آخر للحديقة: «إن عحه الزمان لا تتوقف عن انسير وفي يوم ماء قريب أو بعيد، سنصل الى أسمي أهدافنا». وفي نفس اليوم، نشرت جريدة «ألكسار» بمريد مقابنه مع علال الفاسي: قال فيها «إن الاحداث الدموية لسي أثارها الفرنسيون بالمغرب حاياء، لا تسمح بالتسو بمستقبل متعائل».

وعنسية الذكرى 27 لتربع السلطان على العرش في 18 نوفمبر التي أعلنت عيدا في المنطقة الاسبانية، عرض المندوب السامي موقفه، وهو من شقين، قائلاً من الواضح ان التفكير في استقلال ذاتي سياسي غير مناسب مادام الشعب المغربي ليس مؤهلا لتسيير نفسه بشكل فعال. نطرح على عاتقنا هذين الشرطين: اعطاء شهادات التأهيل التقني لكل مغربي يستحق ذلك مهما كان عدد المستحقين، وأن لن يبقى مغربي واحد يتوفر على شهادة التأهيل لقيام مهمة ماء، دون أن يقوم بتلك المهمة، وهكذا تقلص المندوب السامي من كل التبعات: إن الحل الذي يستند الى القوة ليس حلا، ومن المنتظر أن تتصاعد موجة العنف. وعلى الفرنسيين أن لا يهتموا أحدا، لأنهم يتحملون المسؤولية كية.

وفي شهر ماي شهدت السنة التي انتهت حدثا حاسما له تأثير عميق على كل الشعوب المستعمرة، ففي 6 ماي سقطت ديان بيان فو. إن الوطنية القتنامية هزمت الامبريالية الفرنسية. وظهرت أن أقدام الاستعمار من طين وأن هزيمته ممكنة. وارتفعت معويات مقاتلي المنظمة السرية بشكل كبير بهزيمة الجنرال دي كاستري.

بدأت سنة 1955 بحكومة جديدة للخليفة، ظهر فيها من جديد قادة وطنيون بارزون من منطقة الشمال يشعلون فيها وزارات العمل

ممارسة مصارعة الثيران بالسياسة. الا يشكل ذلك انعكاساً للاشعوره ؟
 وخرج عن صمته في 25 شتمير عندما قدم بيان مدريد : «تعتبر الحكومة
 الاسبانية أن إعادة قامة الشرعية في المنطقة الفرنسية من المغرب، باعتبارها
 قضية تهم فرنسا، لا يجب على اسبانيا، التي لم تكن لها أية صلة بتغييرها
 إطلاقاً أن تتدخل.

بكن، إذا تعقق الأمر بإدخال تغييرات على النظام الحالي للحماية
 تؤدي الى مراجعة الاتفاقيات المعمول بها، عند إقامة الشرعية في المنطقة
 الفرنسية، فحب أن تكون اسبانيا حاضرة منذ اللحظة الأولى في
 المفاوضات التي لا بد وأن تكون اسبانية - فرنسية - مغربية. إن اسبانيا
 لن تقبل أبداً ما قد يتم التفاوض بشأنه حول المغرب في غيبتها.

وبالرغم من استقالة بن عرفة في 3 أكتوبر 1955، تصاعدت
 أعمال المنظمة السرية التي كانت تجد كل مرة مريداً من التسهيلات للعمل
 في المنطقة الاسبانية. ولذلك ففي 17 أكتوبر، استنكرت باريس (من
 المعروف جيداً أن المنشقين المغاربة وجدوا المساعدة والملاجئ والسلاح في
 المنطقة الاسبانية) وردت مدريد - على اسطط الفرنسية أن لا تنتظر
 من الاسبانيين أن يقترحوا أنفسهم لتعاون في القمع -

وفي عز الخريف تسارعت الأحداث. ففي 3 نوفمبر استقالت الهيئة
 العميلة الرئيسية، وهي مجلس التاج. وقبل أربعة أيام وافق الكلاوي نفسه
 على عودة محمد الخامس والتمس منه العفو. وخلال الأسبوع الأول من
 نوفمبر اجتمع السلطان بالحكومة الفرنسية بباريس، وفي يوم 16 نوفمبر
 استقبل 600.000 مغربي محمد الخامس بالرباط. وفي نفس اليوم احتفلت
 مطاهرة من 25.000 شخص بالعودة في تطوان، وأمامها هتف غرسيا
 فالينيو «أصدقائي المغاربة، إنه ليوم سرور كبير بالنسبة إلي كما هو الشأن
 بالنسبة إليكم» إنه انتصار الحق على الباطل وتحقيق لنقطة أولى من المثل
 الأعلى للمغاربة. وإيكم تعلمون أنه لم تكن هنا إلا تسهيلات من كل
 نوع.

الاجتماعي واعدل والتربية والحيوس. بينما كان العنف يحصد كل يوم مزيدا
 من الضحايا، كان الهدوء يسود في الحماية الاسبانية الى حد أن الجمعية
 XIII للفدرالية الوطنية لجمعيات الصحافة اجتمعت في تطوان. وفي
 عشت، اقترح لمقيم العام لفرنسا كرفال على حزب الاستقلال أن يشعل
 ثلث الوزارة في حكومة بن عرفة. وكان رد علال الفاسي حارما .

1 - خلع بن عرفة ؛

2 - عودة محمد الخامس ؛

3 - حكومة مؤقتة للمفاوضات بأفق الاستقلال.

تنته الذكرى الثانية لفي الملك الشرعي، في 20 عشت، بقرية
 1400 قتل. وأعلنت حالة الحرب في الدر البيضاء ؛ ومن جديد عصت
 تطوان باللافات والاعلام الوطنية. وأحرقت خريكة من طرف مناصدين،
 وهي مركز صناعي هام يصدر 15.000 طن من الفوسفات يوميا،
 واصرمت النار في الاوراش والمصانع والآلات تعبيرا عن الاحتجاج. ومات
 رمون ديفل، قائد حيوش الاحتلال الفرنسية، في حادثة طيران حسب
 الرواية الرسمية، والحقيقة أنه ذهب ضحية اعتيال ؛ وم يكن 140.000
 حندي كافياً ونم استدعاء 60.000 من الاحتياطيين. وأخير جورج
 بشيبي، مراسل لوموند، أنه شاهد عملية عقاب فرية عربية : «يعتقد أن
 بعض اتمردين خرجوا منها وما أن الشبان رحلوا وبقي الشيوخ والاصفال
 والنساء فقط، فقد تم اغتيالهم جميعا».

ووصل مدى الاعمال الى حد أن الحكومة الفرنسية، بعد خمسة
 أيام في 25 عشت، قررت الاعتراف بالحركة الوطنية المغربية رسمياً. وبدأت
 المفاوضات في ايكس ليبان. وفاحاً النبأ فرانكو الذي امارت حساباته. إن
 الفرنسيين أضعف مما كان يتوقعه، وكان يحس بأنه وقع في الفخ الذي
 نصه. وتنوع الخطوات الأولى للمفاوضين وسجل أن الصراع سيستمر
 والتزم بصمت مطلق خلال شهر بالصط وبعده نشر مذكرة للحكومة
 الاسبانية. وخلال هذه الثلاثين يوما الطويلة صممت غرسيا فالينيو،
 وتدخله العلي الوحيد كان هو تكريم كريكوريو كروشانو حيث شه

وشهد دحبر 1955 ويناير 1956 آخر مجهود للاستعمار الاسباني من أجل ابقاء المعارية تحت ربقته. إن تصريحات فرانكو وغرسيا فالينيو لوكالة الانباء «إفي» وبيان الحكومة الاسبانية وضعت من جديد البقط الاستعمارية على حروف الوطنيين.

وفي 15 دجنبر أوضح الديكتاتور «أن الخطوات التي يجب على الشعب المعربي أن يقطعها في الطريق لا بد أن تكون ثابتة ومضمونة، ويجب عدم ترك هذا البلد عرضة للدسائس والمطامع بحثاً عن تأثيرات سياسية وقتية». وبعد أربعة أيام كرر المنسوب السامي التحذير «لا بد من قطع مراحل طويلة ومعقدة لكي يُحقق المغرب مثله العليا بشكل كامل. وأعتبر أن تسرع وعصية بعض الاحزاب السياسية المغربية تؤدي الى عكس النتيجة المتوخاة».

نشرت الحكومة الاسبانية في يوم 18 يناير، المذكرة التالية :

1 - «تعلن عن إرادتها الراسخة في الاستمرار في الدفاع، بسلطة الملك لشري محمد الخامس، عن وحدة الامبراطورية وعن استقلال المغرب»

2 - تعمل على توفير الوسائل لكي يتم الاتفاق مع الخليفة في إطار السلم والنظام الداخلي والحكم الذاتي للمنظمة من طرف سلطاتها الطبيعية ؛
3 - مواصلة المساعدة والتعاون مع الشعب المغربي من أجل ضمان عدم الاخلال بالتطور السلمي للمنطقة من طرف الشيوعية أو أي نوع آخر من التخريب ؛

4 - متابعة تطور الوضعية العامة في المغرب والعمل في المنطقة المجاورة بمحذر من أجل تحقيق رغبات الشعب المغربي دون الاضرار بالمصالح المشروعة للأمة الاسبانية».

وقد أثار هذا التصريح استياءً عميقاً في الاوساط الوطنية، لأن لهجته الملتبسة لم تنجح في احفاء مضمونه الاستعماري. وبسرعة بدأ يظهر أن القصة الثالثة تتضمن نية اعتقال أبرر مناضلي الاحزاب السياسية المغربية

تحت ذريعة الشيوعية الكاذبة. وفي نهاية الشهر تم توقيف جريدة «الأمة» لسان حال حزب الاصلاح بسبب «انتقادات منهجية وحائرة، لأنها غير معقولة، ومفاجئة لأنها متحمسة». وتم اعتقال قادة مرموقين، وقامت المظاهرات بقساوة «في الأيام الأخيرة وقعت في بعض القبائل محاولة الاخلال بالنظام... والنتيجة هي أن السلطة التي تم تحايلها فرضت نفسها، وأعيد النظام الذي تمت محاولة الاخلال به» [صحافة تطوان ليوم 8 فبراير]. ومنعت الدعاية الوطنية في مجموع المنطقة الاسبانية.

لكن، كيف يفسر هذا التصلب غير المتوقع لفرانكو ؟ لقد عاد محمد الخامس لكن حكومة باريس لم تتحدث بعد عن الاستقلال. وأخرج غي موليه من كفه مفهوما لا يفهمه أحد ويرفضه المغاربة «الاستقلال المتبادل». إنها طريقة كأي طريقة أخرى للاستمرار في مراقبة المغرب مع بعض التنازلات التي لها صفة الاستقلال الذاتي. وبهذا الشكل ينوي القائد الاشتراكي ارضاء المطالب الوطنية الملحة أكثر فأكثر. وفي 11 يناير كتب السلطان الى روني كوتي، رئيس الجمهورية الفرنسية، مطالبا إياه بالاستقلال التام والكامل. وفي نفس اليوم أجرى غرسيا فالينيو مقابلة مع ديوان المقيم العام الفرنسي، وأكد خلالها هذا الأخير للاسباني أن فرنسا لن تذهب أبعد من «الاستقلال المتبادل». وبموازاة هذا العرض، صادقت الجمعية الوطنية الفرنسية، في 9 فبراير، على اعطاء سطات استثنائية لغني موليه من أجل سحق جبهة التحرير الوطني الجزائرية التي ما لبثت أن رفضت بالضبط الدخول في دائرة استقلال متبادل مماثل. إن النواب الفرنسيين، بما فيهم 150 من الشيوعيين وعن رأسهم خاك ديكلو، أعطوا لغني موليه «أوسع سلطة لاتخاذ كل الاجراءات الاستثنائية التي تتطلبها الظروف من أجل إعادة اقامة النظام وحماية الاشخاص والممتلكات والحفاظ على الاقليم الجزائري : وقال ريمون كيو، أحد اشيعيين، في تدخله إنه «يُوصي بإقامة روابط سياسية واقتصادية وثقافية قوية للغاية بين فرنسا والجزائر».

إن مثل هذا الحزم وهذا الاجماع - الذي لم يصوت ضده إلا

الوحداتيون - إضافة إلى الحكم بالاعدام على 200 من الوطنيين الحزائرين، يوم دخول القرار حيز التطبيق أدى فرانكو إلى ارتكاب حصراً جديد حيث ظن أن باريس ستبقى في المغرب، ولذلك، بعد عودة السلطان، من المناسب تقديم أظافر الوطنيين الذين عملوا بسهولة كبرى في المنطقة الاسبانية.

وإذا صوت الشيوعيون أيضاً بشكل إيجابي، فذلك يعني أن الإدارة الفرنسية صلبة فيما يخص عدم التخلي عن شمال إفريقيا. إن تحليلاً من هذا القبيل أدى إلى أن المنطقة الاسبانية عرفت تصعيداً قمعياً، إلى حدود منتصف مارس، وسجلت الصريبات الارهابية الأولى للمناضلين المسلمين. وفر عيد الخالق الطريس إلى طنجة للهروب من الشرطة الاسبانية، وتكرست موجة من الدعاية الاستعمارية [للنيل] من شخصيته. وهكذا كتبت «دياريو دي أفريكا» في 7 مارس «لا يمكن لشوارع تصوان ولا لسطام والسلطة أن تصبح بين يد تمرد أقلية ليس لها تأثير في قطاعات أخرى من المنطقة. وهذا الموقف الذي يتحول بموجبه زعيم إلى محرض» موقف قليل اللباقة، سيما إذا أخذ بعين الاعتبار أن القائد المذكور قد هرب ورحل إلى طنجة لتوجيه العملية من هناك.

وفي اليوم السابق وقعت مظاهرات وطنية في الناظور والشاون وبرثيمست وتطوان حيث سقط بعض القتلى. وبعد ساعات تفجرت قنصلتان في وسط عاصمة الحماية، أحدها في فندق درسة والأخرى في مديرية المالية. وعلق بيان لغارسيا فالسيو على الوضعية بهذا الشكل : «من أجل تعزيز فرحة الشعب المغربي السلمية، وتطبيقاً لتوجيه، مفروض تسرب مجموعات من المحرضين غير المرعوب فيهم إلى مظاهرات سلمية في عدة مدن، وبالحجارة التي وفروها وقضبان الحديد وبأسلحة قاطعة أخرى مستعملة، هاجموا بهتافات مخربة، عناصر من الشرطة المكلفة بحفظ النظام وجرحوها وحاولوا الاستيلاء على الأسلحة التي كانت تحمى وأرغموها على استعماها في النهاية مما أدى إلى سقوط عدة قتلى في صفوف المتمردين. إن صيحات هذه العناصر تدل على أنها في خدمة أعداء اسبانيا».

في بداية نفس الشهر تخلت فرنسا عن الصراع. وكانت تبارل في الحلية الاستعمارية عدة شعوب مستعمرة في نفس الوقت ولا يمكنها أن تنصر عليها. ولذلك قررت الاحتفاظ بالجزائر أعني المستعمرات وإقامة تحصينات فيها. وذلك هو معزى تصويت 9 فبراير في الجمعية الوطنية. وقد أدرك فرانكو ذلك عندما أطلع على النص الذي تعترف فيه باريس بالاستقلال الواضح والصريح للمغرب. «إن نفس التصرف الاجنبي الذي فرض علينا في يوم ما إمامة الحماية، يضعنا من جديد أمام ضرورة مراجعته سياسياً : ولم يكن هناك الا طريق واحد...»، ذلك ما سيقوله الديكتاتور أمام الكورطيس في 17 ماي 1958.

وبدأ يسير على تلك الطريق. ففي 15 مارس وبموجب مرسوم خرج إلى الشارع من حديد كل المعتقلين السياسيين المغاربة. وفي 18 مارس، وصل إلى مدريد الخليفة تهيء مفاوضات مدريد مع السلطان. وفي 20 مارس كان الوطنيون يسيطرون بشكل كامل على منطقة شمال المغرب : تجمعات سياسية وتظاهرات وأغاني ورقصات ورايات وصور الابصار الرئيسيين للمنظمة السرية ظهرت حتى في القنصل الأقل تسيباً ووقعت عدة حوادث مع جيوش الاحتلال. وإن لم تضع اسبانيا بعد، توقيعها على وثيقة الاستقلال، فالاستقلال قائم فعلاً في الحماية. وبالرغم من كل شيء قاوم فرانكو حتى آخر لحظة محاولاً البحث عن صيغة تسمح لها بالاستمرار في «حماية» العرب. وأعلن محمد الخامس عن نيته في الذهاب إلى مدريد، وعشية وصوله، في 14 أبريل، نشرت «السيويورك هيرالد تريبيون» مقابلة مع فرانكو أكد فيها «سيتم اتفاق سلمي في شمال إفريقيا يؤدي إلى انقراض منطقة الحماية الاسبانية في الوقت المناسب».

وبعد 72 ساعة. في 17 أبريل 1956. وقع فرانكو عن اعلان استقلال المغرب، وسيشرح في الخطاب المذكور الذي ألقاه أمام لكورطيس في 17 ماي 1958 : «إن حكمتنا كانت تصطدم بمكر الذين يحاولون تأليب كل اتجاه الرأي العام ضد الأمة الاسبانية، وهذا الرأي كان إلى حدود الأمس يتركز على فرنسا». و «اتجاه الرأي» هذا من الواضح أنه هو الذي

كانت تمثل الحركة الوطنية المغربية التي، بعد أن حققت الاعتراف بالاستقلال من طرف الامبريالية الفرنسية، كانت تطالب الاستعمار الاسباني بنفس الشيء.

وبعد 44 سنة من الاضطهاد الاستعماري، استقبل أزيد من 100.000 مغربي، في 9 أبريل، محمد الخامس في تطوان الحرة وكان الى جانبه غرسيا فالينيو. وانتقد محمد الخامس بشدة الذين كانوا المضطهدين الى حدود يومين من قبل وقال : «لقد شهدت هذه الناحية من مملكتنا الشريفة نفس المراحل التي اجتازها باقي المغرب في تاريخه ونالها من خيرها وشرها ما ناله. فبعد أن كانت البلاد موحدة في عهود الاستقلال الطويل الآماد تجلت في مطلع هذا القرن ظروف وأحوال وظهرت مطاعم دولية استهدفت لها بلادنا وأدت في النهاية الى تجزئتها وتقسيمها مناطق وقطعا تقوم بينها حواجز مصطنعة ؛ وهكذا فرض على المغرب نظام حجر وحماية وأصبح مناطق مختلفة الأنظمة والوضعية فنال ذلك من السيادة المغربية ولم يتح لأرجاء البلاد انسجام في تطورها ورقيا ؛ ولقد كانت هذه الوضعية الشاذة التي لم يرض عنها الشعب المغربي في يوم من الايام ولا في منطقة من هاتيك المناطق مدعاة قلق وتوتر حيناً ومقاومة حيناً آخر».

RUPERTO AGUIRRE : Expédition al Rif, MADRID, 1959.

FRANCISCO FRANCO : Diario de una bandera, MADRID, 1922.

PEDRO ANTONIO de ALARCON : Diario de un testigo de la guerra de Africa, MADRID, 1920.

Anuario militar.

GARCIA FIGUERAS : Africa en la acción española, MADRID, 1947.

MANUEL AZAÑA : Memorias intimas. MADRID, 1939.

FRANZ FANON : Los condenados de la tierra.

ANTONIO AZPEITUA : Marruecos, la mala semilla, MADRID, 1929.

JOSE MARTI :Obras completas. LA HABANA, 1963.

FRANCISCO BASTOS ANSART : EL desastre de Annual, BARCELONA, 1922.

ARTURO BAREA : La forja de un rebelde, BUENOSAIRE.

MANUEL BENAVIDES : La escuadra la mandan los cabos, MEXICO, 1944.

MOSTAFA LACHERAF : Argelia, nación y sociedad.

DAMASO BERENGUER : Campañas en el Rif y yebala, 1919 - 1920. MADRID, 1948.

LUIS BERENGUER : EL ejercito de Marruecos, TETUÁN, 1922.

ELISEO BERMUDO SORIANO : EL Raisuni, MADRID , 1941.

HUGH THOMAS : La guerra civil española, PARIS, 1962.

MIJAIL KOLTSOV : Diario de la guerra de España,

international, PARIS, 1970.

Pensamiento Crítico (Número dedicado a HO. CHI MINH).

ANOUAR ABDELMALK : El pensamiento político árabe contemporáneo.

ENRIQUE LISTER : El pueblo español lucha por la paz, PARIS, 1968.

RAYMOND CARR : Spain 1808. 1939. OXFORD, 1966.

MAX GALLO : Historia de la España franquista, PARIS, 1972.

RAOUL GIRARDET : La idea colonial en España.

MAOTSE - TUNG : EL libro rojo, PEKIN, 1972.

LUIS RAMIREZ : Francisco Franco, PARIS 1964.

AIMÉ CESAIRE : Discurso sobre el colonialismo.

HISTORIA del partido comunista francés (EDICIONES SOCIALES).

JAVIER TUSSET : Las elecciones del frente popular.

FERHAT ABBAS : La noche colonial

SULTAN GALIEV : Notas de propaganda antirreligiosa en el medio musulmán.

SULTAN GALIEV : La revolución social y el Oriente.

JUAN BERENGUER : Melilla, la ciudad del pan.

TOMAS MALDONADO : EL Rogui, MELILLA 1949.

JOSE MARIA AREILZA Y FERNANDO MARIA CASTIELLA : Reivindicaciones de España, 1941.

Prensa de la época.

PARIS, 1963.

SALVADOR CANALS : Los Sucesos de España en 1909, MADRID 1909.

JOSE MARIA CORDERO : organización del protectorado español. MADRID 1942 - 1943.

ANGEL DOMENECH LAFUENTÉ : Un oficial entre moros, LARACHE 1948.

ESTADO Mayor Central del Ejército ; Historia de la guerra de Liberación

VIZCONDE de EZA : Mis responsabilidades en el desastre de Melilla como ministro de la guerra, MADRID, 1923.

LUIS GALINSOGA : Centinela de Occidente, BARCELONA, 1956.

VICTOR RUIZ ALBÉNIZ : España en el Rif, MADRID, 1921.

QUEIPO DE LLANO : El general Queipo de Llano perseguido por la dictadura, MADRID, 1930.

LENIN : El imperialismo.

LENIN : Tesis sobre las cuestiones coloniales.

MARX - ENGELS : la revolución en España, BARCELONA, 1929.

MARX - ENGELS : Sobre el sistema colonial del capitalismo

ENGELS : Temas militares.

STANLEY G. PAYANE : Los militares y la política en la España contemporánea, PARIS, 1968.

DOLORES IBARRURI : Discursos, Moscú, 1968.

DOLORES IBARRURI : Guerra y revolución en España, MOSCÚ, 1966.

FERNANDO CLAUDIN : la crisis del movimiento comunista

فهرس

| | |
|-----|-----------------------------|
| 5 | تقديم الترجمة العربية |
| 8 | مقدمة |
| 12 | الفصل الأول : التقسيم |
| 39 | الفصل الثاني : الاحتلال |
| 88 | الفصل الثالث : التهدة I |
| 122 | الفصل الرابع : التهدة II |
| 175 | الفصل الخامس : الجلاء. |
| 203 | بيليوغرافيا موجزة. |

